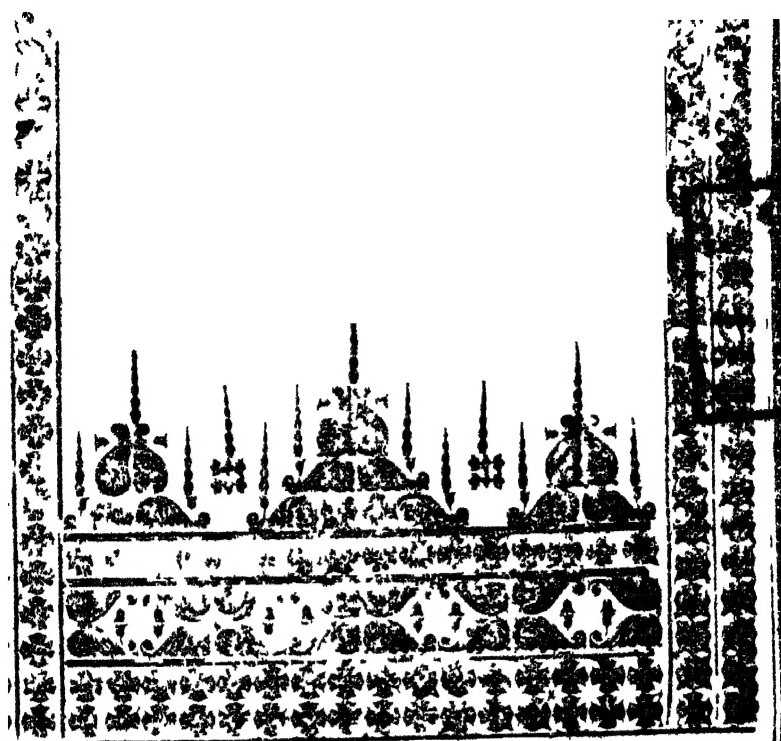


هذا كتاب اعلام الناس بمواقع
للبرامكة مع بني العباس تأليف
الامام ابراهيم بن محمد دياب .
الاتميدى نفعنا الله
به والمسلمين
آمين



* بسم الله الرحمن الرحيم *

الحمد لله الذي أنزل الكتاب المبين * على أشرف الأنبياء والمرسلين
وقص عليه أخبار المتقدمين والمتأخرين * وعلمه ما كان وما يكن
إلى يوم الدين * فحمده ادجعلنا من أمته * ونشكره على عطا
ومنته * ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له اذ من علينا بعم
أحوال من مضى من الأمم * ولم يكشف عما ستره اذ ازل بنا الف
وجعلنا أمة عدولا وسطا وشهدنا بذلك في الكتاب المعظم المكرم
فقال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون
المكر * فظهر الفضل بما جاد به وتكرّم * ونشهد أن سيدنا ونبينا
عبده ورسوله الذي قال أدبني ربي فأحسن تأديبي فساد على جيب
الأنبياء وعليهم تقدم * صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وس

(و بعد) فيقول العبد الفقير الضعيف ذوالعجز والتقصير والتغريب
 في أيامه وكثير التخليط وزيادة آثامه محمد يعرف بدياب الالتهدي
 من أقليم المنية الخصبية سألني بعض الاخوان الموفقين من لايسعني
 مخالفتي أن أجمع له شيئا مما وقع في زمن الخلفاء المتقدمين من بني أمية
 والخلفاء العباسيين فاجبته لذلك مع علي اني لست أهلا لذلك فقد
 قالوا الامتثال خير من الادب * وسميته اعلام الناس * بما وقع
 لابرامكة من بني العباس * وابتدأت في ذلك بأمر المؤمنين عمر بن
 الخطاب رضي الله عنه تبركاه وبذكره * قيل لما رجع عمر رضي الله
 عنه من الشام الى المدينة انفرده عن الناس ليتعرف أخبار رعيته فر
 بجوز في خباء لما قصدها فقالت ما فعل عمر رضي الله عنه قال قد أقبل
 من الشام سالما فقالت يا هذا لا جزاء الله خيرا عني قال ولم قالت لانه
 ما أنالني من عطايا من ذولي أمر المسلمين دينار ولا درهما فقال وما
 يدري عمر بحالك وأنت في هذا الموضع فقال سبحان الله والله ما طمنت
 أن أحد ابلي على الناس ولا يدري ما بين مشرقها ومغربها وبكى عمر
 رضي الله عنه وقال واعمر اكل أحد أذقه منك حتى الهجأ نزياع عمر ثم قال
 لها يا أمة الله بكم تبيعيني ظلامتك من عرفاني أرجو من النار فقالت
 لا تهزأ بنا برجل الله فقال عمر لست أهرأبك ولم ينزل بها حتى اشترى
 ظلامتها بخمسة وعشرين دينارا فبينما هو كذلك اذا قبيل علي بن
 أبي طالب رضي الله عنه وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما فقالا
 السلام عليك يا أمير المؤمنين فوضعت العجوز يدها على رأسها وقالت
 واسوأتاه شمت أمير المؤمنين في وجهه فقال لها عمر رضي الله عنه
 لا بأس عليك برحمتك الله ثم طلب قطعة جلد يكتب فيها فلم يجد فقطع
 قطعة من مرقعته وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم * هذا ما اشترى عمر

من فلانة ظالمتها منذ ولي الخلافة الى يوم كذا وكذا بخمسة وعشرين
دينارا مما تدعى عليه عند وقوفه في المحشر بين يدي الله تعالى فحمر
بريء منه شهد على ذلك علي وابن مسعود ثم دفعها الى ولده وقال اذا انا
مت فاجعلها في كفي التي بهاري * وقال شرف الدين حسين بن
ريان أغرب ما نقلته من الاخبار وأعجب ما عقلته عن الاخبار من كان
يحضر مجلس عمر بن الخطاب خليفة الاسلام ويسمع كلامه قال بينما
الامام جالس في بعض الايام وعنده أكابر الصحابة واهل الرأي
والاصابة وهو يفصل في القضايا ويحكم بين الرعايا اذا قبل شاب
حسن الشباب نظيف الاثواب يكنسه شبان من أحسن الشباب
نظيفة ان الثياب قد جذباه وسججها وأوقاه بر يدي امير المؤمنين وليها
فلما وقفوا بين يديه نظر اليهم ما واليه فارها بالكف عنه وأذنوه منه فقالوا
يا امير المؤمنين نحن اخوان شقيقان جديران باتباع الحق حقيقان
كان لنا أب شيخ كبير حسن التدبير معظم في قبائله منزعه عن رذائله
معروف بفصائله ربنا صغارا وأعزنا كبارا وأولانا نفعنا مغرارا كما قيل
لنا والد لو كان لنا س مثله * أبا آخر اغناهم بالمناقب

خرج اليوم الى حديقة له تنزه في أشجارها * ويقطف يافع ثمارها
فقتله هذا الشاب وعدل عن طريق الصواب ونسألك القصاص عما
جناه والحكم به بئرا كالله (قال الراوي) فظفر عمر الى الشاب
وقال له قد سمعت في الجواب والعلام مع ذلك ثابت الجشاش خال من
الاستحياش * قد خلع ثياب الملح * ونزع جلباب الجزع * فتبسم
عن مثل الثمان وتكلم بأفصح لسان وحياء بكلمات حسان * ثم
قال يا امير المؤمنين والله لقد وعيا ما ادعيا وصدقا فيما نطقا وخبرا بما
جرى * وعبرا بما طرى * وسأتهى قصتي بين يديك * والامر

فيها اليك * اعلم يا أمير المؤمنين أني من العرب العربا * نبت في مازل
 البادية وصحبت على أسود السنين العادية فأقبلت إلى ظاهر هذا
 البلد بالاهل والمال والولد فافضت في بعض طرائقها إلى المسييرين
 حداثتها * بفياف حبيبات إلى * عزيزات على * بينهن فحمل
 كريم الاصل كثير الفسل مليح الشكل * حسن الساج * يمشي
 بينهن كأنه ملك عليه تاج * فدنيت بعض النوق إلى حديقة قد ظهر
 من الحائط شجرها وتساوته بمشفرها * فلرדתها عن ذلك الحديقة
 فاداشيع قد ظهر وزور * وتسدر الحائط وظهر * وفي يده اليمنى حجر
 يتهادى كالليث اذا خطر * فضرب الحقل بذلك الحجر فقتله *
 وأصاب مقتله * فلما رأيت الفعل قد سقط بحبه وانقلب * توقدت
 في جرات الغضب * فتماولت ذلك الحجر بعينه فضربت به * فكان
 سبب حينه * ولقي سوء مقلبه * والمرء مقتول بما قتل به * بمد
 ان رماح صبة عظيمة وصرخ صرخة أليمه فاسرعت من مكاني فلم
 يكن بأسرع من هذين الشابين فامسكاني أحضرائي كما تراني *
 فقل عمر قد اعترفت بما اقترفت ونعذر الخلاص ووجب القصاص
 ولات حين مناص فقام الشاب سهم الماحكم به الامام ورضيت
 بما اقضته شريعة الاسلام لكن لي أخ صغير كان له أب كبير خصه
 قبل وفاته بمال جزيل وذهب جليل وأحضره بين يدي وأسلم
 أمره إلى وأشهد الله على وقال هذا لأخيك عندك فأحفظه جهدي
 فاتخذت لذلك مدفنًا ووضعت فيه ولا يعلم به إلا أنا فان حكمت الآن
 بقتلي ذهب الذمب وكنت أنت السبب وطالبك الصغير بحقه
 يوم يقضى الله بين خلقه وان أنظر نفي ثلاثة أيام أقمت من يتولى أمر
 الغلام وعدت وأفيا بالزمام ولي من يضمنني على هذا الكلام *

فاطرق عمر ثم نظر الى من حضر وقال من يقوم على ضمائه والعود
 الى مكانه قال فنظر الغلام الى وجوه أهل المجلس الناظرين وأشار
 الى أبي ذر دون الحاضرين وقال هذا يكفاني ويسمى قال عمر يا أبا
 ذر تضمه على هذا الكلام قال نعم أضمنه الى ثلاثة أيام فرضى
 الشابان بضمائه أبي ذر وأبشراه ذلك التقدر فلما انقضت مدة الامهال
 وكاد وقتها يزول أو قد زال حضر الشابان الى مجلس عمر والصحابه
 حوله كالتيحوم حول القمر وأبذروا قد حضر والحصم ينتظر فقالا
 أين الغريم يا أبا ذر كيف يرجع من فر لا تبرح من مكاننا حتى تفي
 بضمائنا فقال أبوذروا بحق الملك الغلام ان انقضت تمام الايام ولم
 يحضر الغلام وفيت بالضمان وأسلمت نفسي وبالله المستعان فقال
 عمر والله ان تأخر الغلام لامضين في أبي ذر ما اقتضته شريعة الاسلام
 فهت عبرات الناظرين اليه وعلمت رورات الحاضرين عليه وعظم
 الضجيج وتزايد التشبيح فعرض كبار الصحابة على الشاب ان أخذ
 الدين واغتنام الاثنيه فاصرا على عدم القبول وأبى الا الاخذ بنار
 المقتول وبينما الناس يموجون تلهف الماسر ويضجون تأسفا على أبي ذر
 اذا قبل الغلام ووقف بين يدي الامام وسلم عليه أتم السلام ووجهه
 يتهل مشرقا ويتكأل عرقا وقال قد أسلمت الصبي الى اخواله *
 وعرفتهم بخفي أحراله وأطلعتهم على مكان ماله ثم افتحت هاجرات
 الحر ووفيت وفاء الحر فعجب الناس من صدقه ووفائه واقداسه على
 الموت واجترأه فقال من غدر لم ينف عنه من قدر ومن وفارحه
 الطالب وعفا وتحققت ان الموت اذا حضر لم ينبج منه احتراس
 كي لا يقال ذهب الوفاء من الناس فقال أبوذروا والله يا أمير المؤمنين
 لقد ضمنت هذا الغلام ولم أعرفه من اى قوم ولا رأيت قبل ذلك النبوء

ولكن نظر الى دون من حضر فقصصني وقال هذا يضميني فلم استحسن
 رده وأبت المروءة أن تخيب قصده اذ ليس في اجابة القصص من بأس
 كي لا يقال ذهب الفضل من الناس فقال الشبان عند ذلك يا أمير
 المؤمنين قد وهبنا هذا الغلام دم أيينا فبدل وحشته يا بناس كي لا يقال
 ذهب المعروف من الناس فاستنشر الامام بالعفو عن الغلام ومصدق
 ووفائه واستغزر مروءة أبي ذر دون جلسائه واستحسن اعتماد
 الشبان في اءطاع المعروف واثق عليهم ما أحسن ثنائه وتمثل بهذا
 البيت من يصنع الخير لم يعدم جوائزه * لا يذهب العرف بين الله
 والناس ثم عرض عليهم أن يصرف من بيت المال دية أبيهما اليهما فقالا
 انما عفونا ابتغاء وجه ربنا الكريم ومن نيته هكذا لا يتبع احسانه منا
 ولا أدى * قال الراوى فأنتهى في ديوان الغرائب وسطرته في عنوان
 العجائب انتهى * وأحضر الهرمزان بين يدي أمير المؤمنين عمر بن
 الخطاب رضي الله عنه مأسورا فدعاه الى الاسلام فابي غامر بضرب
 عنقه فقال يا أمير المؤمنين قبل أن تقتلني اسقني شربة من الماء ولا تقتلني
 ظمأنا فامر له عمر بقدر مملوء ماء فلما صار القدح في يده الهرمزان قال أنا
 آمن حتى اشربه قال نعم لك الامان حتى تشربه فالتقى الهرمزان الاناء من
 يده فارقه ثم قال الوفاء يا أمير المؤمنين فقال عمر رضي الله عنه دعوه
 حتى أنظر في أمره فلما رفع السيف عنه قال أشهد أن لا اله الا الله وأن
 محمدا رسول الله قال عمر رضي الله عنه لقد أسلمت خيرا لا سلام فأنحرك
 قال خشيت أن يقال اني أسلمت خوفا من السيف فقال عمر انك
 لفارس حكيم استعقيت ما كنت فيه من الملك ثم ان عمر رضي الله عنه
 بعد ذلك كان يشاوره في اخراج الجيوش الى أرض فارس ويعمل برأيه
 انتهى * وسيأتي نظير ذلك في أخذ الامان بالحيلة ومما ذكره عبد

الملك بن بدرون شارح قصيدة عبد المجيد بن عبدون عما وقع لجميلة بن
الايهم حين لطم الغزاري على وجهه لما داس على رداؤه وقال له عمر
رضي الله عنه دعه يقتص منك أو ما هذا معناه فقال لعمر وهل
أستوى أنا وهو في ذلك فقال له نعم الاسلام ساوى بينكما فقال
أجلى الى غد فلما أصبح مضى الى قيصر ملك الروم وارتدت ثم ندم وقال
أييأنا وهي هذه

تنصرت الانراف من أجل لطمة * وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفني منها لجاج ونخوة * فبعت بها العين الصغيرة بالعمور
فيا ليت أُمي لم تلدني وليتني * رجعت الى الامر الذي قاله عمر
ويا ليتني أرعى المخاض بقفرة * وكنت أسير في ربيعة أو مضر
ويا ليت لي بالشام أدنى معيشة * أجالس قومي ذاهب السمع والبصر
ولما تنصر جميلة بن الايهم ولحق به رقل صاحب القسطنطينية أقطع له
هرقل بالاموال والضياع وبقى ماشاء الله ثم ان عمر رضي الله عنه بعث
الى قيصر رسولا يدعوه الى الاسلام أو الى الجزية فلما أراد الانصراف
قال هرقل للرسول ألقيت ابن عمك هذا الذي عندنا يعني جميلة
الذي أنا نار اغبا في ديننا قال لا قال فالفه ثم اثنى أعطك جواب
كتابك قال الرسول فذهبت الى دار جميلة فاذا عليه من القهارة
والحجاب والبهجة وكثرة الجمع مثل ما على باب هرقل قال فلم أزل اتلطف
بالاذن حتى أذن لي فدخلت عليه فرأيت أوصاف اللحية ذاسبال وكان
عهدي به أسود اللحية والرأس فانكرته فاذا هو قد دعبس بحالة الذهب
فدرها على لحيته حتى أصهبت وهو فاعد على سير من قوارير على
قوائمه اربعة أسود من ذهب فلما عرفني رفعني معه على السرير فجعل
يسألني عن المسلمين فذكرت له خيرا وقد أضعفوا وأضعافا على ما تعرف

فقال وكيف تركت عمر بن الخطاب فقلت بخير قال فرأيت النعم في وجهه لما ذكرت من سلامة عمر ثم انحدرت عن السير فقال لم تأبى الكرامة التي أكرمناك بها فقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا فقال نعم نهى صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك ولا تمبال على ما فعلت فلما سمعته يقول صلى الله عليه وسلم طمعت فيه فقلت له ويحك يا جبلة ألا تسلم وقد عرفت الاسلام وفضله فقال أبعد ما كان منى قلت نعم قد فعل رجل من فرارة أكثر مما فعلت ارتد عن الاسلام وضرب وجوه المسلمين بالسيف ثم رجع الى الاسلام وقبل منه وخلقه بالمدينة مسلما وانما ذكرت له ان الذي فعل هذه الفعلة من فرارة واه ضرب وجوه المسلمين بالسيف وارتد ورجع الى الاسلام لان الرجل الذي كان تنصر جبلة من أجله حين لطمه وأراد عمر أن يقتص منه كان فراريا أيضا فقلت له أمرك أخف من أمره ان رجعت الى الاسلام فانك لم تضرب وجوه المسلمين بالسيف كما فعل فقال زدني من هذا ان كنت تضمن لي ان تزوجني عمر ابنته ويولينى الامر من بعده رجعت الى الاسلام فضمنت له التزويج ولم أضمن له تولية الامر قال ثم أومأ الى خادم كان على راسه واقفا فذهب مسرعا فاذا خدام قد جاؤا يحملون الصاديق فيها الطعام فوضعت ونصبت موائد الذهب وصحاف الفضة وقال لي كل فقبضت يدي وقلت رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الاكل في آنية الذهب والفضة قال نعم نهى صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك وكل فيما أحبت قال فأكل في الذهب وأكلت أنا في الخلج ثم دعا بطسوت الذهب وأباريق الفضة فغسل يديه في الذهب وغسلت في الصفر ثم أومأ الى خادم بين يديه فرمسها فسمعت حسا فاذا خدام معهم كراسى مرسعة بالجواهر فوضعت عشرة عن يمينه وعشرة عن شماله

ثم جاءت الجوارى وعليهن قبعان الذهب فقعدن عن يمينه وعن يساره
على تلك الكرسي ثم جاءت جارية أيضا كانتها الشمس حسنا على
رأسها تاج على ذلك التاج طائر لم أر أحسن منه وفي يدها جامة فيها
مسك فتيت وفي يدها الأخرى جامة فيها ماء ورد فأومأت تلك الجارية
وصفرت بالطائر الذي على تاجها فوقع في جامة المسك فاضطرب فيها
ثم صفرت به فانيا فوقع في جامة ماء الورد فاضطرب فيها ثم أومأت إليه
فطار ونزل على صليب في تاج على جبلته فلم يزل يرفرف حتى نقض
ما في ريشه عليه فضحك جبلته من شدة السرو حتى بدت أنيابه
ثم التفت إلى الجوارى اللواتي عن يمينه فقال لهن اضحكنا فاندفعن
يغنين فجعلن تحفق عيدانهن ويقلن

لله در عصاة نادته — م — * يوما يجلق في الزمان الأول
يسعون من برد الضرب نديهم * راحا يصفق بالرحيق السلسل
أولاد جفنة حول قبر أبيهم * قبر ابن مارية الكريم المفضل
قال فضحك جبلته حتى بدت أنيابه ثم قال أتدرى من يقول هذا قلت لا
قال حسان بن ثابت شاعر النبي صلى الله عليه وسلم ثم أشار إلى
الجوارى اللواتي عن يساره وقال أبكيننا فاندفعن يغنين تحفق
عيدانهن ويقلن شعرا

ي — انذار أقفرت بالعماء * ن بين أعلى اليرموك فالجمان
ذاك سفن لال جفنة في الدهر — مر محلا لحادث الزمان
قال فبكى جبلته حتى سالت دموعه على لحيته ثم قال أتدرى من يقول
هذا قلت لا قال حسان ثم أنشد الأبيات التي أولها اتشهرت الاشراف
إلى آخرها ثم سألتني عن حسان أحى هو قلت نعم فأمر له بكسوة ولى
أيضا كذلك ثم أمر لحسان بمال ونوق موقورة برا ثم قال لي ان وجدته

حيا فادفع اليه الهدية وأقرته مني السلام وان وجدته ميتا فادفعها
 الى أهله وانحر النوق على قبره قال فلما أخبرت عمر رضى الله عنه بخبره
 وما اشترطه على وما ضمنته له قال فهل اضمنت له الامر فاذا أفاء الله بحكمه
 وقضى علينا بحكمته ما كان الا ما أراد ثم جهزنى عمر ثمانية الى هرقل
 وأمرنى ان اضمن له ما اشترط فلما دخلت القسطنطينية وجدت الناس
 منصرفين من جنازته فعلمت ان الشقاء غلب عليه فى أم الكتاب *
 انتهى * وقيل انه قدم أهل الكوفة على عمر بن الخطاب رضى الله
 عنه يشكون سعد بن أبي وقاص فقال من يذرنى من أهل الكوفة
 ان وليتهم التقي ضعفوه وان وليتهم القوى فجزوه فقال له المغيرة بن شعبه
 يا أمير المؤمنين ان التقي الضعيف له تقاه ولك ضعفه وان القوى الفاجر
 لك قوته وغايه فجوره قال صدقت أنت القوى الفاجر فخرج اليهم فلم
 نزل عليهم أيام عمرو أيام عثمان رضى الله عنهم أو أيام معاوية حتى مات
 المغيرة انتهى * وقيل دخل عمرو بن معدى كرب الزبيدى على عمر بن
 الخطاب رضى الله عنه فقال عمر أخبرنى عن أحب من لقيت وأحبل
 من لقيت * وأشجع من لقيت قال نعم يا أمير المؤمنين خرجت مرة أريد
 الغارة فبينما أنا سائر اذ ابفرس مشدود ورمح مركوز اذ ارجل جالس
 كأكظم ما يكون من الرجال خلة وهو محببى بحمائل سيفه فقلت له
 خذ حذرک فانى قاتلك فقال ومن أنت قلت أنا عمرو بن معدى كرب
 الزبيدى فشقق شهقة فمات فهذا يا أمير المؤمنين أحب من رأيت
 * وخرجت مرة حتى انتهيت الى حى فاذا أنا بفرس مشدود ورمح
 مركوز اذ صاحبه فى وهدة يقضى حاجته فقلت خذ حذرک فانى قاتلك
 فقال ومن أنت فاعلمته بى فقال يا أبا ثور ما أنصفتى أنت على ظهر
 فرسك وأنا على الارض فأعطنى عهدا انك لا تقتلنى حتى أركب فرسى

فاعطيته عهدا فخرج من الموضع الذي كان فيه واحتج بمماثل سيفه
 وجلس فقلت ما هذا فقال ما أنا براكب فرسي ولا بمقاتلك فان نكثت
 ههنا فانت أعلم بنا كثر العهد فتركته ومضيت فهذا يا أمير المؤمنين
 أحيل من رأيك * وخرجت مرة حتى انتهيت الى موضع كنت أقطع
 فيه الطريق فلم أر أحدا فأجريت فرسي يميني او شمالي واذا أنا بفارس
 فلما دنا مني فاذا هو غلام حسن نبت عذاره من أجل ما رأيته من
 القتيان واحسنهم واذا هو قد أقبل من نحو اليمامة فلما قرب مني سلم على
 فرددت عليه السلام وقلت من القتي قال الحارث بن سعد فارس
 الشهباء فقلت له خذ حذرَكَ فاني قاتلك فقال الويل لك فن أنت قلت
 عمرو بن معدى كرب الزبيدي قال الذليل الحقير والله ما يمنعني من قتلك
 الا استصغارك فصاغت نفسي يا أمير المؤمنين وعظم عندي
 ما استقبلني به فقلت له دع هذا وخذ حذرَكَ فاني قاتلك والله
 لا ينصرف الا أحدنا فقال اذهب بكتلك أملك فاما من أهل بيت
 ما نكلكنا فارس قوم قات هو الذي تسمعه قال اختر لنفسك فاما ان
 تطرد لي واما أن تطرد لك فاغتنمتها منه فقلت له اطرد لي فأطرد
 وسمت عليه فظننت أني وضعت الرمح بين كتفيه فاذا هو صار خزاما
 لفرسه ثم عطف على قنقع بالقنطرة راسي وقال يا عمرو خذها اليك واحدة
 ولولا اني أكره قتلي لمثلك لانتدك قال فصاغت نفسي عندي وكان
 الموت يا أمير المؤمنين أحب الي مما رأيته فقلت له والله لا ينصرف الا
 أحدنا فعرض على مقالته الاولى فقلت له اطرد لي فأطرد فظننت أني
 تمكنت منه فاتبعته حتى ظننت أني وضعت الرمح بين كتفيه
 فاذا هو صار ليلى لفرسه ثم عطف على قنقع بالقنطرة راسي وقال خذها
 اليك يا عمرو ثانية فصاغت على نفسي جدا وقلت والله لا ينصرف

الأحدنا فاطرد لي حتى ظلمت أني وضعت الرمح بين صكنتيه فوثب
عن فرسه فاداه وعلى الأرض فأخطأته فاستوى على فرسه وأتبعني
حتى قنع بالقناة رأسى وقال خذها إليك يا عمرو ثالثه ولولا كراحتي
لقتل مثلك لقتلتك فقلت اقتلني أحب الي ولا تسمع فرسان العرب
هكذا فقال يا عمرو انما العفوع عن ثلاث واذا استمكت منك الرابعة
قته لك وأنشد يقول

وكدت أغلا طامن الايمان * ان عدت يا عمرو الى الطمان
لتجدن لب السنان * أولا فلست من بني شيان

وهبة هبة شديدة وقلت له ان لي اليك حاجة قال وما هي قلت اكون
صاحبك قال لست من أصحابي فكان ذلك أشد علي وأعظم مما صنع
فلم أزل أطلب محبة حتى قال ويحك أتدري أن أريد قلت لا والله
قال أريد الموت الا جرعا فقلت أريد الموت معك قال امض بنا فسرنا
يومنا جمع حتى أنانا الليل ومضى شطره فوردنا على حي من أحياء العرب
فقال لي يا عمرو في هذا الحي الموت الا جرعا فأتيتك على فرسي
فأنزل وأتى بجاحتي وأما أن تنزل وأمسك فرسك فة تبنى بجاحتي
فقلت بل انزل أنت فانت اخبر بجاحتك مني فرمى الى بعن ان فرسه
ورضيت والله يا امير المؤمنين بأن اصكون له سائسا ثم مضى الى قبة
فاخرج منها جارية لم ترعيناى احسن منها احسنها وجمالا فجعلها على ناقه
ثم قال يا عمرو فقلت ليلى قال اما أن تحميني وأقود الناقة أو احميك
وتقودها أنت قلت لا بل اقودها وتحميني انت فرمى الى بزمام الناقة
ثم سرنا حتى اذا أصبحنا قال يا عمرو قلت ماتشاء قال التفت فانظر هل
تري احدا فالتفت فرأيت جمالا فقلت ارى جمالا قال اغرز السير ثم قال
يا عمرو انظر فان كانوا قايلا فالجلد والقوة وهو الموت الا جرعا وان كانوا

كثيرا فليسوا بشي^ء فالتفت وقلت هم اربعة أو خمسة قال اغرز السيف
ففعلت ووقف وسمع وقع حوافر الخيل عن قرب فقال يا عمرو كن عن
يمين الطريق ووقف وحول وجهه دوابنا الى الطريق ففعلت ووقفت عن
يمين الراحلة ووقف عن يسارها ودنا القوم منا واذاهم ثلاثة نفر
شبابان وشيخ كبير وهو أبو الجارية والشابان اخواها فسلموا فرددنا
السلام فقال الشيخ خل عن الجارية يا ابن أخي فقال ما كنت لاخلها
ولا لهذا أخذتها فقال لاحد ابنيه أخرج اليه فخرج وهو يجترع رموحه
فحمل عليه الحارث وهو يقول

من دون ما ترجوه خضب الذابل * من فارس ملتئم مقاتل
ينهى الى شيبان خـير وائل * ما كان يسرى نحوها باطل
ثم شد على ابن الشيخ بطعنة قد منها صلبه فسقط ميتا وقال الشيخ لابنه
الآخر اخرج اليه فلا خير في الحياة على الذل فاقبل الحارث وهو يقول
لقد رأيت كيف كانت طعنتي * والطعن لا قرن الشديدا لهمة
والموت خير من فراق خلتي * فقتلتني اليوم ولا مذلتني
ثم شد على ابن الشيخ بطعنة سقط منها ميتا فقال له الشيخ خل عن الظعينة
يا ابن أخي فاني لست كن رأيت فقال ما كنت لاخلها ولا لهذا أقصدت
فقال الشيخ يا ابن أخي اختر لنفسك فان شئت نازلتك وان شئت
طاردتك فاغتنمها الفتى ونزل فنزل الشيخ وهو يقول شعرا

ما أرتجى عند فناء عـري * سأجعل التسعين مثل شهر
تخافني الشجعان طول الدهر * ان استباح البيض قسم الظهر
فاقبل الحارث وهو ينشد ويقول شعرا

بعد ارتجالي وطال سفرى * وقد ظفرت وشفيت صدري
فالموت خير من لباس الغدر * والعار أهديه لحي بكر

ثم دنا فقال له الشيخ يا ابن أخي ان شئت ضربتك فان ابقيت فيك بقية
 فاضر بني وان شئت فاضر بني فان ابقيت في بقية ضربتك فاغتنمها
 القتي وقال أنا ابدأ فقال الشيخ هات فرفع الحارث يده بالسيف فلما
 نظر الشيخ أنه قد اهوى به الى رأسه ضرب بطنه بطعنة قد منها أمعاء
 ووقعت ضربة القتي على رأس عمه فسقطا ميتين فاخذت يا أمير المؤمنين
 أربعة أفراس وأربعة أسياف ثم أقبلت الى الناقة فقالت الجارية
 يا عمر والى ابن ولست بصاحبك ولست لي بصاحب ولست كمن
 رأيت فقلت أسكتي قالت ان كنت لي صاحبا فاعطني سية أو رمحا فان
 غلبتني فأنا لك وان غلبتك قتلتك فقلت ما أنا بمط ذاك وقد عرفت
 أهلك وجراة قومك وشجعائهم فرمت نفسها عن البعير ثم أقبلت تقول
 أبعد شينى ثم بعد اخوتى * يطيب عيشى بعدهم ولذتى
 وأصحابى من لم يكن ذا همتى * فهل تكون قبل دامنيتى

ثم أهوت الى الرمح كادت تنزعه من يدي فلما رأيت ذلك منها خفت ان
 ظفرت بي قتلتنى فقتلتها فهذا يا أمير المؤمنين أشجع ما رأيت (قيل)
 أتى رجل الى عمر بن الخطاب يستعمله فقال له خذ لك بعيرا من ابل
 الصدقة فتناول ذنب بعير فجذبه فاقتلعه فتعجب عمر رضى الله عنه من
 شدته وقوته فقال له هل رأيت أقوى منك من أحد قال نعم خرجت
 يا امرأة من أهلى أريد بها زوجها فنزلت على حوض فأقبل رجل معه ذود
 فضرب ذوده الى الحوض فسار رها يعنى المرأة فنادتنى فاستهتت اليها
 حتى خالطها فحبست لادفعه عنها فأخذ رأسى بين عضديه وجنبه فما
 استطعت التحريك حتى قضى وطره فقالت أى فحل هذا لو كان منيحة
 فاهلته حتى امتلأ نوما فقممت له بالسيف فضربت ساقه فانتهى فقتلته
 فقتلته فقال عمر

رضي الله عنه ما فعلت بالمرأة فقال هذا حديث الرجل فسكرر عليه
السؤال فلم يزده على هذا فظن انه قتلها انتهى (ويحكى) أن عبد الله بن
أبي رواحة رضي الله عنه كان عنده جارية جميلة وكان يحبها محبة
شديدة ولم يكن منها خوف من زوجته فقصت يوما زوجته الحاجة
ثم عادت فوجدته هو والجارية معتنقين نائمين فالتأفعتها قال
لم أكن فاعلمها قالت فاقرا قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قال
علمت بأن وعد الله حق * وأن المارثوى الكافر بنا
وان العرش فوق الماء طاف * وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة كرام * ملائكة الاله مسومينا

قالت صدقت وكذبت عيناى قال فذهبت وأخبرت النبي صلى الله عليه
وسلم فضحك حتى بدت نواجذه وصار يكثرها ويقول كيف قلت انتهى
* (أول دولة بني أمية معاوية بن سفيان رضي الله عنه) *

جلس يوما في مجلس كان له بدمشق وكان الموضع معق الجوانب الاربع
يدخل فيه النسيم من كل جانب قال فينبأها وجالس ينظر الى بعض
الجهات وكان يوما شديد الحر لا نسيم فيه قال وكان وسط النهار وقد
لغحت الهواجر اذ نظر الى رجل عشي نحوه وهو يتلوى من حر التراب
ويحجل في مشيته حافيا فتأمله وقال لجلسائه هل خلق الله سبحانه
وتعالى اشقى ممن يحتاج الى الحركة في هذا الوقت وفي مثل هذه الساعة
فقال بعضهم له انه يقصد امير المؤمنين فقال والله لئن كان قاصدي لاجل
شيء لاعطينه واستجلب الامر به أو مظلوما لانصرنه بأغلام قف بالباب
فان طلبني هذا الاعرابي ولا تمنعه من الدخول على فخرج فوافاء فقال
ما تريد قال امير المؤمنين قال ادخل فدخل فسلم فقال له معاوية ممن الرجل
قال من تميم قال فما الذي جاء بك في هذا الوقت قال جئتكم مستكبرا

وبك مستقيرا قال بمن قال من مروان بن الحكم عاملك وانشد يقول
 معاوي يا ذا الجود والحلم والبذل * ويا ذا المداد والعلم والرشد والنيل
 أتبتك لما ضا في الارض مذهبي * فيا غوث لا تقطع رجائي من العدل
 وجدلي بانصاف من الجائر الذي * بيلا في بشي كان أيسره قتلي
 سباني سعدا وابرا الحسو متي * وجار ولم يعدل وأغصني أهلي
 وهم يقتلي غـير أرميني * تانت ولم أستكمل الرزق من أجلي
 قال فلما سمع معاوية كلامه والمارتو قدم فيه قال له هلا يا أخا العرب
 أذكر قصتنا وابن لي عن أمرك فقال يا أمير المؤمنين كانت لي زوجة
 وكنتم لها محبا وبها كاهنا وكنتم بها قريرا العين أيب النفس وكانت لي
 جذعة من الابل كنت أستعين بها على قوام حالي وكفارة أودي
 فأصابنا سنة أذهبت الخف والخافر فبقيت لا أملك شيئا فلما قل
 ما بيدي وذهب مالي فسد حالي بقيت معها نائقيلا على الذي يالغي
 وأبعدني من كان يشتهي قربي وأرور من كان يرغب في زيارتي فلما
 علم أبوها مالي من سوء الحال وشر المآل أخذها مني وخذني وطردني
 وأغلظ علي فأتيت الى عاملك مروان بن الحكم راجيا الصرقي فلما حضر
 أباهما وسأله عن حالي قال ما أعرفه قط فقلت أصلى الله الأميران رأي
 أن يحضرها ويسأله عن قول أبيها ففعل وبعث خلفها فلما حضرت بين
 يديه وقعت منه مواقع الانجاب فصار لي خصما وعلى منكر أو أظهر لي
 الغضب وبعث بي الى السجن فبقيت كائنما خرت من السماء
 واستهوى بي الريح في مكان حقيق ثم قال لا يباهل لك أن تزوجنيها
 على ألف دينار وعشرة آلاف درهم وأنا ضامن خلاصهما من هذا
 الاعرابي فرغب أبوها في البذل وأجاب به الى ذلك فلما كان من الغد بعث
 الي وأحضرني ونظر الي كالأسد النسيبان وقال طلق سعدا فقلت لا

فسلط على جماعة من غلمانه فأخذوني يعذبونني بأريع العذاب فلم
أجد لي بدا من طلاقها ففعلت فأعادتني إلى السجن فكنت فيه إلى أن
انقضت هذتهم فترجعت بها وأطلقني وقد أتيتك راجيا وبك مستجيها
واليك مله بأؤنسديقول

في القلب مني عار * للنا فيه استعار
والجسم من بسهم * فيه الطيب يحار
وفي فؤادي حر * والجرف فيه نار
والعين تهطل دما * قدمها مدرار
وليس إلا برني * وبالأمر انتصار

قال ثم اضطرب واضطربت لهاته وصار غشيا عليه وأخذ يتلف
كالخية قل فلما سمع معاوية كلامه واشتاده قال قد ذى ابن الحكم
في حدود الدين وظلم واجترأ على حرم المسلمين ثم قال لقد أتيتني
يا أعرابي بحديث لم أسمع بمثله ثم ادعى بدواة وقرطاس وكتب إلى
مروان بن الحكم كتابا يقول فيه انه قد بلغني انك تعذبت علي رعيلا
في حدود الدين وينبغي لمن كان واليا أن يكف بصره عن شهواته
ويزجر نفسه عن لذاته ثم كتب بعد كلام طويل اختصرته فقال
وأؤنسديقول

وليت أمر اعظيما لتدركه * فاستغفر الله من فعل امرئ زاني
وقد أنا الفقي المسكين منجبا * يشكو البنايت ثم أخراني
أعطى الإله يميني لا أكفرها * فسم وأبرأ من ديني وإيماني
ان أنت خالفتني فيما كتبت به * لا حيل لك لهما بين عقباتي
طلق سم ماد وعجلها بمهزة * مع الكيت ونهر بن ذئبان
ثم طوى الكتاب وطبعه واستدعى بالكيت ونهر بن ذئبان وكان

يستقنهما في المهمات لامتتهما ، أخذنا الكتاب وسارا حتى قدما
 لمدة ودخلا على مروان بن الحكم وسلماء عليه وسلماء اليه الكتاب
 وأعلماء بصورة الحال فصار مروان يقرأ ويبكي ثم قام الى سعاد وأعلماء
 ولم يدعه مخالفة معاوية فطلقها بمحضرة الكميث ونصر بن ذئبان
 وجهزهما وصحبتهما سعدى ثم كتب مروان آتيا يقول فيسه هذه
 الابيات

ما تهلل أمير المؤمنين فقه — * أو في بنذك في سر واعلان
 ما أتيت حراما حين أعجبني * فكيف أدعي باسم الخائن الزاني
 اعذرة نك لو أبصرتها لجرت * فيك الاماني على تمثال انسان
 فسوف تأنيك شمس ليس يدركها * عند الخليفة من انفس ومن جان
 ثم ختم الكتاب ودفعه الى ارسولين وسارا حتى وصلا الى معاوية
 وسلماء اليه الكتاب وقرأه فقال لقد أحسن في الطاعة وأطنب في ذكر
 الجارية ثم أمر باحضارها فلما رآها رأى صورة حسنة لم ير أحسن
 منها ولا مثلهافي الحسن والجمال والقدر والاعدال فخطبها فوجدتها
 فصيحة اللسان حسنة البيان فقال على بالاعرابي فأنتي به وهو في غاية
 من تغير الحال فقال يا أعرابي هل لك عنهما من سلة وعوضك عنها
 ثلاث جوارهد أبكار كأنهن الاقمار مع كل جارية ألف دينار وأقسم
 لك في بيت المال كل سنة ما يكفيك وما ينيلك قال فلما سمع الاعرابي
 كلام معاوية شفق شهقة من معاوية أنه مات فقال لمعاوية ما بالاك
 بشرب الودوء قال فقال الاعرابي استعجرت بعدلاك من جور ابن
 الحكم فبين أستجير من جورك وأنشد يقول

لا تجعلني فذلك الله من ملك * كالمستجير من الرمضاء بالنار
 أردد سعاد على حيران مكتئب * يمسي ويصبح فيهم وتذكار

اطلق وثاقي ولا تبخل علي بها * فان فعلت فاني غير كمار
ثم قال والله يا أمير المؤمنين لو أعطيتني الخلافة ما أخذتها دون
سعدى وأنشده قول

أبي القلب الأحب سعدى وبغضت * على فساء ما لمن ذنوب
فقال له معاوية أنك مقر بأنك طلقتهم وأمر وان مقر بأنك طلقها وأنك
تخبرها أن اختارت سواك زوجاتها وان اختارتك حولها ما اليك
قال افعل فقال معاوية ما تقولين يا سعدى أيما أحب اليك أمير
المؤمنين في عز وشرفه وقصوره وسلطانه وأمواله ومأسرتيه عنده
أومروان بن الحكم في تعسفه وجوره أو هذا الاعرابي في جوعه
وفقره فأنشدت تقول

هذا وان كان في جوع واضرار * أعز عندي من قومي ومن جاري
وصاحب التاج أومروان غمليه * وكل دي درهم عندي وديناري
ثم قالت والله يا أمير المؤمنين سأنا بخاذلته لحارة الرمان ولا لغدرات
الايام وان له صحة قديمة لا تنسى ومحبة لا تبلى وأنا أحق من صبره معه
في الضراء كما تعصمت معه في السراء فتمحجب معاوية من عقابها مودتها
وموافاته اودع لها عشرة آلاف درهم ودفع مثليها للاعرابي وأخذها
وانصرف تنهي

(ومن غرات لا وراق عن الاجوبة المشية وبلاغتها في المحل الزريع)
في أجل ذنائه اجتمع عنده معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنه
والوليد بن عتبة وعتبة بن أبي سفيان والمغيرة بن شعبة فقالوا يا أمير
المؤمنين ابعث الى الحسن بن علي أحضره له قال لهم ولم قالوا سي
نوبخه ونمرفه أن أباه قتل شيمان فقال لهم معاوية انكم لن تطيقوه
ولا تنتصفوا منه ولا تقولوا له شيئا الا كذبكم لا يقر لكم ببلاغته

شيئاً الا مدقه الناس فقالوا ارسل اليه فانا نكفيه فأرسل اليه معاوية
 فلما حضر قال يا حسن اني لم أرسل اليك ولكن هؤلاء أرسلوا اليك
 فاسمع مقالهم فقال الحسن رضي الله عنه فليتكما موافقن فسمع فقام
 عمرو بن العاص رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا حسن هل
 تعلم ان أباك أول من أثار الفتنة وطلب الملك فكيف رأيت صنع الله
 تعالى ثم قام الوليد بن عتبة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا بني هاشم كنتم
 أصهار عثمان بن عفان فنعى الدهر كان لكم لقربه من رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يقربكم ويفضلكم ثم بغيت عليه وقتلتموه وقد أردنا
 قتل أبيك فأنقذنا الله منه ولو قتلناه ما كان علينا من الله ذنب ثم قام
 عتبة بن أبي سفيان فقال يا حسن ان أباك قد تعدى على عثمان فقتله
 حسداً على الملك والدينا فسلم ما الله منه ولا قد أردنا قتل أبيك حتى
 قتله الله تعالى ثم قام المغيرة بن شعبه وكان كلامه سباً على وتعظيماً
 لعثمان فقام الحسن رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه وقال يا أبا
 يا معاوية لم يشتمني هؤلاء ولكن أنت تشتمني بغضا وعداوة وخلافاً لمجدي
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم البغت الى الناس وقال أنشدكم الله
 ان الذي شتمه هؤلاء أما كان أبي وهو أول من آمن بالله وصلى الى
 المبلتير وأنت يا معاوية كافر تشرك بالله وكان مع أبي لواء النبي صلى
 الله عليه وسلم يوم بدر ولواء المشركين مع معاوية ثم قال أنشدكم الله
 تعالى أما كان معاوية يكتب مجدي صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه
 يوماً فرحح الرسول وقال هويأ كل فرد اليه الرسول ثلاث مرات كل
 ذلك يقول هويأ كل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا أشبع الله بطنه
 يا معاوية أما تعرف ذلك من بطلك ثم قال وأنشدكم الله أما تعلموا ان
 معاوية كان يقود بأبيه وهو على جبل وأخوه هذا يسوقه لرسول

الله صلى الله عليه وسلم ما قال وأنت تعلم ذلك هذا كله لك يا معاوية
 وأما أنت يا عمرو تنازعك خمسة من قريش فغلب عليك شبه الأثيم
 وهو أفلهم حسبا وأسوءهم منصبا ثم قيت وسط قريش فقلت أني
 شاني محمد ابنا لآل بيتي من الشعر فقال النبي صلى الله عليه وسلم
 اللهم اني لأحسن الشعر اللهم العن عمرو بن العاص بكل بيت
 عنة ثم انطلقت الى النجاشي بماءات وعلمت فكذبك وردك
 لخاصباف أنت عدو بني هاشم في الجاهلية والاسلام فلانلومك على
 بغضك الآن وأما أنت يا ابن أبي معيط فكيف ألومك على سبك
 لابي وقد جلدك أبي في الخمر فآل من جلدة وقتل أبالك بهرا بأمر جدتي
 وقتله جدي بأمر ربي ولما قدمه للقتل قال من لأبيية بعدى يا محمد
 فقال جدي لهم النار فلم يكن لهم عند جدي غير النار ولم يكن لهم عند أبي
 غير السوط والسيوف وأما أنت يا عتبة فكيف تعيب أحدا بالقتل فلم
 قتلت الذي وجدته على فراشك مضاجعا لزوجتك ثم أسكتهم بعد
 ان بغت وأما أنت يا عورثقيف فقي أي شيء تسب عليا في بعده من
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لحكم جائر في رعيته في الدنيا فان
 قلت في شيء من ذلك كذبت وكذبت الناس وان زعمت ان عليا
 قتل عثمان فقد كذبت وكذبت الناس وانما مثلك كمثل بعوضة
 وقعت على نخلة فقالت لها استمسكي فاني أريد أن أظير فقالت لها
 النخلة ما علمت بوقوعك فكيف يشق على طير انك فكيف يا عور
 ثقيف يشق علينا سبك ثم بغض ثيابه وقام فقال لهم معاوية ألم أقل لكم
 لا تنهفون منه فوالله لقد أظلم على البيت حتى قام وروى ان معاوية
 رضى الله عنه خرج يوما حاجا فترابا المدينة ففرق على أهلها أموالا جزيلة
 ولم يحضر الحسن بن علي رضى الله عنهم فالحاضر قال له معاوية مرحبا

مرحبا برجل تركنا حتى نقدماء عندنا وتعرض لنا ليبعثنا فقال له الحسن
رضي الله عنه كيف تقدماء عندك وحراج الدنيا يجي اليك فقال له
معاوية قد أمرت لك بمثل ما أمرت به لاهل المدينة وأنا ابن هند فقال
الحسن قد ردته عليك وأنا ابن فاطمة الزهراء رضي الله عنها وقيل
ان معاوية رضي الله عنه جلس يوما بين أصحابه اذا قبلت فاطمة من
البرية فقال لبعض من كان بين يديه انظروا هؤلاء القوم واشوفوا
بأخبارهم فصوا وعاودوا وقالوا يا أمير المؤمنين احداهما من اليمن
والاخرى من قريش فقال ارجعوا اليهم وادعوا قريشا يا نونسا
وأما اهل اليمن يزلون في أمّا كنهم الى أن فاد لهم بالدخول فلما دخلت
قريش سلم عليهم وقربهم وقال أتدرون يا اهل قريش لما أخرت اهل
اليمن وقربكم قالوا لا والله يا أمير المؤمنين قال لانهم لم يزلوا يطاولون
عليها بالمعمار ويءولون ما ليس فيهم واني أريد اذا دخلوا غدا وأخذوا
أما كنهم من الجلوس أقوم فيهم نذيرا وألّى عليهم من المسائل ما أقل
به اكرامهم وأرخص به مقامهم فاذا دخلوا وأخذوا أما كنهم من
الجلوس وسألوا عن شيء فلا يجيبهم أحد غيري قال الراوي وكان
المقدم عليهم رحل يقال له الطرماس الحكم الباهلي فاقبل على
أصحابه وقال أتدرون يا اهل اليمن لم أخرجكم ابن هند وقدم قريشا قالوا لا
قال لانه في غداة غد يقوم فيكم نذيرا ويلقي عليكم من المسائل ما يقل به
اكرامكم ويرخص به مقامكم فاذا دخلتم عليه وأحدثتم أما كنهم من
الجلوس وسألهم عن شيء فلا يجيبه أحد غيري فلما كان من الغد
دخلوا عليه وأخذوا أما كنهم فنهض معاوية قائما على قدميه وقال
أها الناس من تكلم بالعربية قبل العرب وعلى من أنزلت العربية
فقام الطرماس وقال نحن يا معاوية ولم يقل يا أمير المؤمنين فقال لهاذا

فقال لاه لما نزلت العرب ببابل وكانت العبرانية لسان الناس كافة
 أرسل الله تعالى العربية على لسان يعرب بن قحطان الباهلي وهو جدنا
 فقرأ العربية وتداولته اقومه من بعده الى يومنا هذا فنحن يامعاوية
 عرب بالجنس وانتم عرب بالتعليم فسكت معاوية زمانا ثم رفع رأسه
 وقال أيها الناس من أقرب العرب ايمانا ومن شهد له بذلك فقال
 الطرماخ نحن يامعاوية قال ولم قال لان الله بعث محمدا صلى الله عليه
 وسلم فلقد تيموه وسفهموه وجعلتموه مجنوننا ونساء ونصرنا فأنزل الله
 والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا وكان النبي صلى الله
 وسلم محسنا لنا متجاوزا عن سيئاتنا فلم لم تفعل أنت كذلك كما لم
 خالفت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسكت زمانا ثم رفع رأسه
 وقال أيها الناس من أفصح العرب لسانا ومن شهد له بذلك قال الطرماخ
 نحن يامعاوية قال ولم ذلك قال لان امرء القيس بن حجر الكندي منا قال
 في بعض قصائده

يطعمون الناس غبا * في السنين المحلات

في جفان كالجواب * وقد ورر راسيات

وقد تكلم بالقرآن قبل أن ينزل وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بذلك قال فسكت معاوية زمانا وقال أيها الناس من أقوى العرب
 شجاعة وذكرا ومن شهد له بذلك قال الطرماخ نحن يامعاوية قال ولم
 ذلك قال لان منا عمرو بن معدى كرب الزبيدي كان فارسا في الجاهلية
 وفارسا في الاسلام وشهد له بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال له
 معاوية وأين أنت وقد أتى به مصفدا بالحديد فقال له الطرماخ ومن أتى
 به قال معاوية أتى به على حال الطرماخ والله لو عرفت مقداره لسميت اليه
 الخليفة ولا طمعت فيها أبدا فقال له معاوية أتحنجني يا معجوزا لين قال

نعم أجلك يا مجور مصر لا رجور الين بلفيس آمنت بالله ونزوت
 بنبيه سليمان بن داود عليهم السلام ومجور مصر جددت الى قال الله
 في حقها وامراته جمالة الخطب في حيدها جبل من مسدد قال فسكت
 معاوية زمانا ثم رفع رأسه وقال جزك الله خيرا من صاحب ووفر عقلك
 ورحم سلفك وأعطاء وأحسن اليه انتهى قال الراوى وخطب
 معاوية يوما فقال يا أيها الناس ان الله تعالى قال وان من شيء الا عندنا
 خزائنه وما ينزله الا بقدر معلوم فعلى م تلوموننى ادا قصرت عنكم
 فى عطاياكم فقال له الاحنف بن قيس انا والله ما يلومك فيما فى خزائن
 الله ولكن وصعت يدك على ما أنزل الله من خزائنه فجعلته فى خزائنك
 وحلت بينه وبينه ومما روى عن الشعبي قال استأذنت سودة بنت
 عمار بن الاسد على معاوية س أرى سفيان فأذن لها فلما دخلت عليه
 قال لها ما نيت الاسد أألت العائله شعرا

شمر كفعل أبيلك يا ابن عماره ❖ يوم الطعان وملتقى الاقران
 وانصر عليا والحسين ورهطه ❖ واقعد لهند وانهاهوان
 ان الامام أحا لبي محمد ❖ علم الهدى ومنازة اليمان
 وقد الجيوش وسر امام لوائه ❖ وارمى بأبيض صارم وسنان

قالت بلى يا معاوية وما مثلى من رغب عن الحق واعتذر قال فما حلك
 على ذلك قالت حب على واتساع الحق قال والله ما أرى عليك من أثر
 على شيأ قالت أنشدك الله يا معاوية لا تدكر عادة ما مضى قال هيئات
 وما مثلك ومقام اخيك يسبنى وما لقيت من أخيك قالت صدقت
 يا معاوية لم يكن احى ذميم المعام ولا حبي وهو والله كقول الحسناء
 وان صخرنا لتأتهم الهداة به ❖ كأ به علم فى رأسه نار
 وأنا أسألك يا معاوية اعفك عما استعفين به قال قد فعلت فما حاجتك

قالت يا معاوية انك أصبحت للناس سيدا ولا مورهم واليا والله سأثلك
عن أمرنا وما افترض عليك من حقنا ولا نزال تقدم علينا من بغرك
ويطش بسططائك ويحصدنا حصدا السنبل ويدرسنا درس العصفور
ويسومنا الخسف ويسلبنا الخيل هذا ابن اوطاة قدم علينا قتل رجالى
وأخذ مالى ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة فاما عزولته فشكرناك
واما أقررتة فعرفناك فقال لها بقولك تهددني هممت أن أحلك على
قتب جل أشرس وأسيرك اليه لينفذ فيك أمره فأطرق وبكت
وأنشدت تقول

صلى الاله على روح تضمنه * قبر فأصبح فيه الحق مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به بدلا * فصار بالحق والايمان مقرونا
قال ومن ذا الثألت أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه قال
ولم قالت أتيت في رجل ولا علينا ولم يكن بيننا وبينه الا كباين الغث
والسمين * فوجدته قائما يصلى فلما نظر الى انفات من صلاته ثم قال
برأفة ورجة ألك حاجة فأخبرته فبكى ثم قال اللهم اشهد على وعليهم
انى لم أولهم وأمرهم بظلم خلقك ولا ترك حقك ثم أخرج من جيبه قطعة
من جلد كهيشة طارف الجراب فكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم
قد جاء تكلم بينة من ربكم فأوفوا السكيل والميزان ولا تبغسوا الناس
أشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين بقية الله خير لكم ان كنتم
مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ اذا قرأت كتابي هذا فاحفظ بما فى يدك
حق يقدم عليك من يقبضه منك والسلام فأخذته منه وأوصلته اليه
فامثل ورجع عما كان فيه فقال معاوية اكتبوا لها برد ماله والعدل
فى أحوالها فقالت ألى خاصة أملى ولقوى قال بل أنت قالت هى والله
اذا الفحشاء واللؤم اما عدلا شاملا والا أنا كسائر قوى قال اكتبوا لها

بجاحتها هي وقومها ولما اتصلت ميسون بنت مجدل بمعاولية رضى الله عنه وقتلها من البدو الى الشام كانت تكثر الحنين على ناسها والتذكر لسقط رأسها فاستمع عليها ذات يوم فسمعها تنشد وتقول

ليت تخفق الارباح فيه * أحب الى من قصر منيف
وأكل كسيرة من قعر بيتي * أحب الى من أكل الصنوف
وأصوات الرياح بكل فجج * أحب الى من نقر الدفوف
ولبس عباءة وتقرعيني * أحب الى من لبس الشغوف
وكلب ينبج الطراق حولي * أحب الى من قط ألوف
وبكر يتبع الاطعان طعنا * أحب الى من بغل زفوف
وخرق من بني عى ضعيف * أحب الى من عجل عنوف

قال الراوى فلما سمع معاوية الابيات قال ما رضيت ابنة مجدل حتى جعلتني بحالا غيفا انتهى (حكاية اجنبية عن المقام) يحكى أن بهرام لما ولي الملك بعد أبيه اقبل على الالهو واللذات والنزه والصيد ولا يفكر في ملكه ولا في رعيته حتى خرجت البلاد عن يده وخربت في ايامه وقلت العمارة وخلت بيوت الاموال فلما كان في بعض الايام ركب الى بعض منازره وصيده وهو يسير نحو المدائن وكانت ليلة مقمرة فدعا بالموذب والموذب عند المحوس كالحاخان عند اليهود والقسيس عند النصارى لامر بخطر بباله فجعل يحادثه فتوسطا في سيرهما بين خرابات كانت من أمهات الضياع قد خربت في مدة ملكه لا انيس فيها الا البوم واذا بوم يصيح وصاحبه يجاوبه من تلك الخرابات فقال بهرام أنرى ان أحدا من الناس اعطى فهم لغة هذا الطائر المصوت في الليل البهيم فقال الموذب أيها الملك أنا ممن خصه الله بذلك قال فما يقول هذا الطائر وما يقول الطائر الا خرف قال الموذب هذا بوم ذكر ينحط بومة

ويقول لها متعيني نفسك حتى يخرج من بيننا أولاد يسهون الله
ويبقى لنا في هذا العالم عقب يذكرون الترحم علينا فأجابت البومة أن
الذي تدعوني إليه لي فيه الحظ الأكبر والنصيب الأوفر في العاجل
والآجل الأني أشترط عليك خصالا أن أعطيها اجبتك إلى ذلك
فقال لها الذكر وما تطالبه مني قالت أن تعطيني من خرابات امهات
الضياح عشرين قرية مما خربت في أيام هذا الملك السعيد فقال له الملك
فما الذي قال لها الذكر قال المؤبد كان من قوله لها أن دامت أيام هذا
الملك السعيد أقطعتك منها ألف قرية خراب فما تصنعين بها قالت
في اجتماعنا يحصل ظهور النسل وكثرة الذكرك فمما قطع لكل ولده من
أولادنا ضيعة من هذه الخرابات فقال لها الذكر هذا أسهل أم سأنتفيه
وانا ملي بذلك ما حيي هذا الملك فلما سمع الكلام من المؤبد عمل في نفسه
واستيقظ من نومه وفكر فيما خوطب به فنزل من ساعته ونزل بنزوله
الناس وخلا بالمؤبد فقال أيها القائم بأمر الدين والناسح للملك
والمنبه له عما أغفلت من أمور ملكك وانذاعة بلاده ورعيته ما هذا
الكلام الذي خاطبتني به فقد حرت مني ما كان ساكنا فقال المؤبد
صادفت من الملك السعيد جددة وقت سعد العباد والبلاد فجعلت
الكلام مثلا وموعظا على لسان الطائر عند سؤال الملك إياي عن
ما سألت فقال له الملك أيها الناسح اكشف لي عن هذا الغرض
ما المراد منه فقال أيها الملك أن الأمر لا يتم إلا بالشرعية والقيام لله
بطاعته ولا قوام للشرعية إلا بالملك ولا عز للملك إلا بالرجال ولا قوام
للرجال إلا بالمال ولا سبيل للمال إلا بالعمارة ولا سبيل للعمارة إلا بالعدل
وهو الميزان المنصوب بين الخليفة نصبه الرب جل وعلا وجعل له قوما
وهو الملك فقال الملك أما ما وسفت فحق فابن لي عما إليه تقصد وأوضح لي

في البيان قال نعم أيها الملك انك عدت الى الضياع فاقطعنها الخدم
 وأهل البطالة فعمدوا الى ما تجل من غلاتهم فاستجعلوا المفعة وتركوا
 العمارة والنظر في العواقب وما يصلح الضياع وسومحوها في الخراج لقربهم
 من الملك ووقع الحيف على الرعية وعمار الضياع فأنحلوا عن ضياعهم
 رقت الاموال وهلك الجنود والرعية وقطعت في ملك فارس من
 أطاف بها من الملوكة والامم لعلمهم بانه قطاع المروءات التي بسببها تستقيم
 دعائم الملك فلما سمع الملك ذلك أقام في موضعه ثلاثة أيام وأحضر الوزراء
 والكتاب وأرباب الدواوين فانتزعت الضياع من أيدي اناسه
 والحاشية وردت الى اربابها وجملوا على رسومهم الساقطة وأخذوا
 في العمارة وقوى من ضعف منهم فعمرت البلاد بذلك واخصبت وكثرت
 اموال عند الجباة وقويت الجنود وارتفعت مواد الاعداء وأقبل
 الملك مباشرة الامور بنفسه فحسنت سيرته وانتظم ملكه حتى كانت
 أيامه بعده تدعى بالاعيان دما عم الناس من الخصب وشملهم من العدل
 اه * (حكاية اخرى أجبية) * حكى عن الاصمعي انه قال
 دخلت البصرة أريد بادية بنى سعد وكان على البصرة يومئذ خالد بن عبد
 الله القشيري فدخلت عليه يوما فوجدت قوما متعلقين بشاب ذي جمال
 وكال وأدب ظاهر بوجه زاهر حسن الصورة طيب الرائحة جميل البزة
 عليه سكية ووفار فقدموه الى خالد فسألهم عن قصته فقالوا هذا الص
 أصبناه البارحة في منازلتنا فنظر اليه خالد فأعجبه حسن هيئته ونظامته
 فقال خلوا عنه ثم أدناه منه وسأله عن قصته فقال ان القول ما قالوه
 والامر على ما ذكروه فقال له خالد ما حملك على ذلك وانت في هيئة
 جميلة وصورة حسنة قال حملني الشره في الدنيا وبذا قضى الله سبحانه
 وتعالى فقال له خالد كذلك أملك أما كان لك في جمال وجهك وكمال

عقلك وحسن أدبك زاجر لك عن السرقة قال دع عنك هذا أيها الملك
الأمير وانفذ في ما أمرك الله تعالى به فذلك بما كسبت يداي وما الله
بظلام للعبيد فسكت خالد ساعة يفكر في أمر الفتى ثم أدناه منه وقال له
إن اعترافك على رؤس الأشهاد قد رابني وأنا ما أظنك سارقا وإن لك
قصة غير السرقة فأخبرني بها فقال أيها الأمير لا يقع في نفسك شيء
سوى ما اعترفت به عندك وليس في قصة اشرحهالك إلا أني دخلت
دار هؤلاء فسرقت منها ما لا فأدركوني وأخذوه مني وجرلوني إليك فامر
خالد بحبسهم وأمر مناديا بنادي في البصرة الامن أحب أن ينظر إلى
عقوبة فلان اللص وقطع يده فلم يضر من الغد فلما استقر الفتى في الحبس
ووضع في رجليه الحديد تنفس الصعداء ثم انشأ يقول

هددني خالد بقطع يدي * إذا لم أبع عنده بقصتها
فقلت هيئات أن أبيع بما * تضمن القلب من محبتها
قطع يدي بالذي اعترفت به * أهون للقلب من فضيحتها
فسمعه الموكلون فأتوا خالد وأخبروه بذلك فلما جن الليل أمر بإحضاره
عنده فلما حضر استنطقه فرآه أدباء أقلال يباظرون فاعجب به فامر له
بطعام فأكلوا وتحادنا ساعة ثم قال له خالد قد علمت أن لك قصة غير
السرقة فإذا كان غدا وحضر الناس والقضاة وسألتك عن السرقة
فإنكراها وإذا كرفيها شهدت رثي عنك القطع فقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ادروا الحدود بالشبهات ثم امر به إلى السجن فلما
أصبح الناس لم يبق بالبصرة رجل ولا امرأة إلا حضر ليرى عقوبة ذلك
الفتى وركب خالد ومعه وجوه أهل البصرة وغيرهم ثم دعا بالقضاة
وأمر بإحضار الفتى فأقبل يحجل في قيوده ولم يبق أحد من النساء إلا بكى
عليه وارتفعت أصوات النساء بالبكاء والنحيب فامر بتسكين الناس

ثم قال له خالد ان هؤلاء القوم يزعمون أنك دخلت دارهم وسرقت ما لهم
فما تقول قال صدقوا أيها الأمير دخلت دارهم وسرقت ما لهم قال خالد
لعلك سرقت دون النصاب قال بل سرقت نصاباً كاملاً قال فلعلك سرقت
من غير حرز مثله قال بل من حرز مثله قال فلعلك شريك القوم في شيء منه
قال بل هو جميعه لهم لاحق لي فيه فغضب خالد وقام اليه بنفسه وضربه
على وجهه بالسوط وقال متملاً بهذا البيت

يرد المرء أن يعطى مناه * ويأبى الله إلا ما يريد

ثم دعا بالجلاد ليقطع يده فحضر وأخرج السكين ومديده ووضع عليها
السكين فبادرت جارية من صف النساء عليها آثار وسخ فصرخت
وأرمت نفسها عليه ثم أسفرت عن وجهه كأنه البدر وارتفع اللباس
ضجة عظيمة كاد أن تقع منها فتنة ثم نادى بأعلى صوتها يا شدة الله
أيها الأمير لا تعجل بالقطع حتى تقرأ هذه الرقعة ثم دفعت اليه رقعة
فقبضها خالد فاذا هو مكتوب فيها هذه الايات

أخالد هذا منسـ تهام متيم * رمته لحاظي من قسي الجمال ق

فاصمأهم اللخط مني فقلبه * حليف الجوى من دأبه غير فائق

أقر بمالم يقترفه لانه * رأى ذاك خيرامن هتيكة عاشق

فهلا على الصب الكتيب لانه * كريم السجايا في الهوى غير سارق

فلما قرأ الايات تنحى وانعزل عن الناس وأحضر المرأة ثم سألهما عن
القصة فأخبرته ان هذا الفتى عاشق لها وهي له كذلك وانه أراد زيارتها
وأن يعلم بإمكانه فرمى بحجر الى الدار فسمع أبوها وأخوتها صوت الحجر
فصعدوا اليه فلما أحس بهم جمع قاش البيت كله وجعله صرة فأخذه
وقالوا هذا سارق وأتوا به اليك فاعترف بالسرقة وأمر على ذلك حتى
لا يفضني بين اخوتي وهان عليه قطع يده لكي يستر على ولا يفضني

كل ذلك لغرارة مروءته وكرم نفسه فقال خالد انه خليف بذلك ثم
استدعى الفتى اليه وقبل ما بين عينيه وأمر باحضار أبي الجارية وقال له
يا شيخ انا كنا عزمنا على انفاذ الحكم في هذا الفتى بالقطع وان الله
عز وجل عصمني من ذلك وقد أمرت له بعشرة آلاف درهم لبذله يده
وحفظه لعرضك وعرض ابنتك وصيانتك لسكنا من العار وقد أمرت
لا بنتك بعشرة آلاف درهم وانا أسألك أن تأذن لي في تزويجها منه
فقال الشيخ قد أذنت أها الامير بذلك قال فحمد الله وأثنى عليه
وخطب خطبة حسنة وقال للفتى قد زوجتك هذه الجارية فلانة
الحاضرة بأذننا ورضاها واذن أيها على هذا المال وقدره عشرة آلاف
درهم فقال الفتى قبلت منك هذا التزويج وأمر بحمل المال الى دار الفتى
مرفوقا في الصواني وانصرف الناس مسرورين ولم يبق أحد في سوق
البصرة الا نثر لهم ما الاوز والسكر حتى دخلوا نزلهم مسرورين
مرفوفين قال الاصمعي فإريت يوما أعجب منه أدله بكاء وترج وآخره
سرور وفرح (وهذه حكاية تشابه ما تقدم) قال حماد الراوية
كنت عند جعفر بن سليمان بالبصرة اذا أتني بشاب حسن الوجه ومعه
جارية كأنها قضيب بان فقال صاحب الشرطة أصح الله الاميراني
وجدت هذا وهذه مجتمعين في خلوة وليس لها محرم فقال جعفر للفتى
ماتوا فقال صدق واتدطال والله غرامي بها منذ ثلاثة سنين والله
ما أمكنني الخلوة بها الا في هذا الوقت وان شدي يقول شعرا

تمنيت من ربي أفوز بقرها * فلما تهيأ لي المنا عاقه العسر
ووالله بل والله ما كان ربة * وما كان الا اللفظ والضحك والبشر
فدوبكم جلدي ولا تجلدونها * فكلم من حرام كان من دونه ستر
قال فجعلت الجارية تبكي بكاء شديدا فقال لها وانت لم تبكين فقالت

والله شفقة على ما حل بنا وكيف احتلت حتى خرجت وكيف بلينا
هذه البلية قال أتحينه قالت فلم غررت بنفسى قال لها أنت خرة أم
مملوكة قالت بل مملوكة فأمرها فدخلت الدار وأحضرت مولاها
فاشتراها منه بمائتي دينار وأعتقها وزوجها الفتى ووهب له مائة دينار
وكساها وأنشد الفتى يقول

لقد جدت يا ابن الأكرمين بنعمة * جمعت بها بين المحبين في ستر
فلا زلت بالأحسان كهفا وملجأ

وقد جل ما قد كان منك عن الشكر
قال فضحك وأمر لها بجايزة وانصرفا مرسورين انتهى * وفي أيام دولة
عبد الملك بن مروان وهو أول من تسمى عبد الملك في الإسلام وكان يلقب
برشح الحمرز كره في حياة الحيوان وذكره محمد بن واسع الهيثمي أن عبد
الملك بن مروان بعث كتابا إلى الحجاج بن يوسف يقول فيه بسم الله
الرحمن الرحيم إلى الحجاج بن يوسف إذا ورد عليك كتابي هذا فقرأته
فسير لي ثلاث جوار مولدات نهد أبكار يكون اليهن المنتهى في الجمال
واكتب لي بصفة كل واحدة منهن ومبلغ ثمنها من المال فلما ورد الكتاب
على الحجاج دعا بالثغاسين أي بالأسرجية ثم أمرهم بما أمر به أمير
المؤمنين وأمرهم أن يغوصوا في البلاد حتى يقعوا على الغرض فلم يزالوا
من بلد إلى بلد ومن إقليم إلى إقليم حتى وقعوا على الغرض ورجعوا إلى
الحجاج بثلاث جوار نهد أبكار مولدات ليس لهن مثيل وكان الحجاج
مصبيا فجعل ينظر إلى كل واحدة منهن وثمنها من المال فوجد هن
لا يقومن بقيمة وإن ثمنهن ثمن واحدة منهن ثم كتب كتابا إلى عبد الملك
ابن مروان يقول فيه بعد التماس الجليل وصلني كتاب أمير المؤمنين متعني
الله ببقائه يقول فيه إن اشتري له ثلاث جوار مولدات نهد أبكار

وان اكتب له بصفة كل واحدة منهم ونمها أما الجارية الاولى أطال
الله بقاء أمير المؤمنين فانهم الطيفة السوالف عظيمة الروادف كحلات
العينين حلوة الوجنتين قد أنهدت نهداها والتفت فخذها كانهما
ذهب شيب بفضة وهي كاقيل

بيضاء في طرفها دمع يزينها * كأنها فضة قد شابها ذهب

ونمها يا أمير المؤمنين ثلاثون ألف درهم وأما الجارية الثانية فانها
فائقة في النحال معتدلة القد والكامل يشفي السقيم كلامها الرخيم ونمها
يا أمير المؤمنين ثلاثون ألف درهم وأما الجارية الثالثة فانها فاترة
الطرف لطيفة الكف عميمة الردف شاكرة لاقيل مساعدة
للخليل بديعة الجمال كأنها خشف غزال ونمها يا أمير المؤمنين ثمانون
ألف درهم ثم أطلب في الشكر والثناء على أمير المؤمنين وطوى
الكتاب وختمه ودعا بالنحاسين وقال تجهزوا للسفر بهؤلاء الجوار
لامير المؤمنين فقال أحد النحاسين أيد الله الامير اني رجل كبير
وضعيف عن السفر ولي ولدي نوب عني أفتأذن لي أن اجهزه قال نعم
فتجهزوا وخرجوا في بعض مسيرهم نزلوا ليستريحوا في بعض الاماكن
فمن الجوارى فهبت ريح فأنكشفت احداهن وهي الكوفية فظهر نور
ساطع وكان اسمها مكنوم فنظر اليها ابن النحاس وكان شابا جميلا
ففتن بها الساعة فأتاها على غفلة من أصحابه وجعل يقول

امكنوم عيني ماتل من البكا * وقلبي باسها الماسى يترشق
امكنوم كم من عاشق قتل الهوى * وقلبي رهس كيف لا تعشق
فأجابته تقول

لو كان حقا ما تقول لزرتنا * ليلا اذا هجعت عيون الحسد
فما جنى الليل انقض ابن النحاس بسيفه وأتى نحو الجارية فوجدها قائمة

تنتظر قدومه فأخذها وأراد الهرب بها ففغان به أصحابه فأخذوه
وأته فوه وأوثقوه بالحديد ولم يزل مأسورا معهم إلى أن قدموا على عبد
الملك فلما قدموا بالجواري بين يديه أخذ الكتاب وفتح وقرأه فوجد
الصفة موافقة في اثنين ولم توافق في الثالثة ورأى بوجهها صفرة وهي
الجارية الكوفية فقال للخصاسين ما بال هذه الجارية لم توافق عليها
الصفة التي ذكرها الحجاج في كتابه وما هذا الاصرار الذي بها وهذا
الافتحال فقالوا يا أمير المؤمنين نقول وعليها الامان قال ان صدقتم أمنتم
وان كذبتهم هلكتم فخرج أحد الخصاسين وأتى الفتى وهو مصفد
بالحديد فلما قدموه بين يدي أمير المؤمنين بكى بكاء شديدا وأيقن
بالعذاب ثم أنشأ يقول هذه الايات

أمير المؤمنين انت رغبنا ❖ وقد شدت الى عنقي يديا
مقربا بالقيح وسوء فعلى ❖ ولست بمأرميت به برياً
فان تغفل ففوق القتل ذنبي ❖ وان تغفو فن جود عليا

فقال له عبد الملك يا فتى ما جئت على ما فعلت أستخفا فإنا أم هو
للجارية فقال وحقت يا أمير المؤمنين وعظيم قدرك ما هو الا هو
بالجارية فقال هي لك بما اعد لها وأخذ الغلام الجارية بكل ما اعد لها
أمير المؤمنين من الحللى والحمان وسار بها فرحاً مسروراً حتى اذا كانا
ببعض الطريق نزلا منزلاً ليلاً فنعانقا فلما أصبح الصباح وأراد الناس
الرحيل نبهوهما فوجد اميتين قبكو اعليم ما ودفنوهما في الطريق ومضى
خبرهما الى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فبكى عليه ما وقع من
ذلك انتهى (وهذه حكاية تشابهها في العشق) حكى عن عبد
الله بن معمر القيسى أنه قال حججت سنة الى بيت الله الحرام فلما قضيت
حجى عدت لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فبينما أنا ذات ليلة جالس

بين القبر والروضة اذ سمعت أنينا عاليا وحنينا باديا فأنتصت اليه فاذا هو
يقول هذه الايات

أشجاك نوح حاتم الصدر * فاهجن منك بلابل الصدر
أم عز نومك ذكر غانية * اهدت اليك وساوس الفكر
باليلة طالت على ذنف * يشكو الغرام وفلة الصبر
أسلت من هوى لخرجوى * متوقد كمتوقد الجمر
فالبدر يشهد انني كلف * مغرا محب شبيهة البدر
ما كنت أحسبني بها شجنا * حتى بليت وكنت لا أدري
قال ثم انقطع الصوت ولم أدر من أين جاءني فبقيت حائرا واذا به
قد أعاد البكاء والحنين وأنشأ يقول هذه الايات

أشجاك من ريا خيال زائر * والليل مسود الذواب عاكر
واعتاد مقلتك الهوى برشيشة * واحتاج قلتك الخيال الراهر
فاديت ليلى والظلام كأنه * يم تلام فيه موج زاهر
والبدر يسرى في السماء كأنه * ملك ترحل والنجوم عساكر
باليل طلت على محب ماله * الا الصباح مساعد ومواز
فأجابني متحتف أنفك واعلمني * أن الهوى لهو الهوان الحاضر
قال فنهضت عند استدائه الايات أوام الصوت فانتهي لآخر الايات
الا وأنا عنده فرأيت غلاما كمارل عذاره وقد خرق الدمع وجنتيه
خرقين فقلت نعمت غلاما فقال وأنت فن الرجل قلت عبد الله بن ماهر
القيسي قال أفلك حاجة قلت له كنت جالسا في الروضة فمارعني
في هذه اليلة الاموتك فبنفسي أفديك ما الذي تجده قال اجلس
فجلست قال أنا عتبة بن الحباب بن المنذر بن الجوح الانصاري غدوت
الى مسجد الاحزاب فبقيت راكعا وساجدا ثم اعتزلت عن بعيد

واذ بنسوة يتهادين كالاقمار وفي وسطهن جارية بديعة الجمال كاملة
 الملاحاة فوقفت على وقالت يا عتبة ما تقول في وصل من يطلب وملك
 ثم تركتني وذهبت فلم أسمع لها خيرا ولا قفوت لها أثرا فأنا حيران اتقل
 من مكان الى مكان ثم صرخ وانكبت على الارض مغشيا عليه ثم أفاق
 كأنما صبغت ديباجتي خذيه بورس ثم أنشد يقول هذه الايات
 أراكم بقلبي من بلاد بعيدة * تراكم تروني بالقلوب على بعدى
 فؤادى وطرفى بأسفان عليكم * وعندكم وروحي وذكركم عندى
 ولست ألد العيش حتى أراكم * ولو كنت فى الفردوس أوجنة الخلد
 قال فقلت له يا ابن أخي تب الى ربك واستقل من ذنبك فان بين يديك
 هول المطلاع فقال هيئات ما انابسه ال حتى يثوب القمارضان ولم أر له
 حتى طلع الفجر وقلت قم بنا الى مسجد الاحزاب فقمنا اليه فجلسنا حتى
 صلينا الظهر واذا بنسوة قد أقبلن وأما الجارية فليست فيهن فقلن
 يا عتبة ما ظنك بطالبة وملك وكاشفة مايك قال وما بالها قلن أخذها
 أبوها وارتحل الى السماوة فسألنهن عن الجارية فقلن هي رباب بنت
 القطريف السلمي فرفع رأسه وأنشأ يقول

خليلى رباب قد أحبب كورها * وسار الى أرض السماوة غيرها
 خليلى انى قد غشيت من البكا * فهل عند غيرى عبرة أستعيرها
 فقلت له يا عتبة انى وردت بمال جزيل أريد به أهل الستر ووالله
 لا بد لى أمامك حتى تبلغ رضاك وفوق الرضا قم بنا الى مجلس الانصار
 فقمنا حتى أشرفنا على ملائهم فسلمت فأحسنوا بالرد ثم قلت أيها الملاء
 ما تقولون فى عتبة وأبيه قالوا من سادات العرب قلت فانه رعى بداهية
 من الهوى فأريد منكم المساعدة الى السماوة قالوا سمعنا وطاعة وركبنا
 وركب القوم معنا حتى أشرفنا على منازل بنى سليم فأعلم القطريف

بمكاننا فخرج مبادرا واستقبلنا وقال حيتيم يا كرام قلنا وأنت حيت
 أنا لك اضياف فقال نزلتم باكرم منزل ثم نادى يا معشر العبيد انزلوا منزل
 العبيد ففرشت الانطاع والتمارق وذبحت النعم والغنم فقلنا لسننا
 بذائقين طعامك حتى تقضى حاجتنا فقال وما حاجتكم قلنا انخطب
 ابنتك الكريمة اعتبة بن الخباب بن المذر العالى المفخر الطيب العنصر
 فقال يا اخي ان التي تخطبونها أمرها الى نفسها وأنا أدخل وأخبرها ثم
 نهض مغضبا ودخل الى ربا فقالت يا أبت ما لي أرى الغضب بيننا عليك
 فقال ورد على قوم من الانصار يخطبونك منى فقالت سادات كرام
 استغفر لهم النبي صلى الله عليه وسلم قلن الخطبة فيهم قال لفتى يعرف
 بعتبة بن الخباب قالت سمعت عن عتبة هذا أنه يفي بما وعد ويدرك
 ما طالب قال أقسمت لا زوجتك به أبدا فقد غني الى بعض حديثك معه
 قالت ما كان ذلك قال ولكن أقسمت أنى ما أزوجك به قالت
 احسن اليهم فان الانصار لا يردون مورد اقبعا فأحسن الرذ قال باي
 شئ قالت اغلظ عليهم المهر فانهم يرجعون قال ما أحسن ما قلت ثم
 خرج مبادرا فقال ان فتاة الحى قد أجابت ولكن أريد لها مهر مثلها فبن
 القائم به قال عبد الله فقلت أنا فقال أريد لها ألف سواراة من ذهب أحمر
 وخمسة آلاف درهم من ضرب هجر ومائة ثوب من الابراد والخبر وخمسة
 أكرشة من العنبر قال قلت لك ذلك فهل أجبت قال اجل فانفذ عبد الله
 نفرا من الانصار الى المدينة المنورة وأنوا بجميع ما ضمنه وذبحت النعم
 والغنم واجتمع الناس لا تكل الطعام قال فاقمنا على هذا الحال أربعين
 يوما ثم قال خذوا فئاتكم فحملوها على هودج وجهزها بثلاثين راحلة
 من التحف ثم وودعنا وانصرف وسرنا حتى اذا بقى بيننا وبين المدينة
 المنورة مرحلة خرجت علينا اخيل تريد الغارة وأحسب انها من بني سليم

فحمل عليهم امة بن الحباب فقتل عدة رجال واحترف راجعا وبه طعة
ثم سقط الى الارض وانتما البصرة من سكان تلك الارض فطردوا عما
الخيول وقد قضى عتبة نجبه فقلنا واعتناه فسممنا الجارية تقول
واعتناه ألفت نفسها من على البعير وانكبت عليه وجعلت تصيح
وتقول بجرقة هذه الابات

نصبرت لأنى صبرت وانما * اعلل نفسي انهابك لاحقه
ولو انصفت روى لكنت الى ازدا * أما ملك من دون البرية سابقه
فما أحد بعدى وبعدك منصف * خليل لا ولا نفس لنفس موافقه
ثم شهت شهقة واحدة قضت نجها واحترقنا لها مقبرا واحدا وواريناها
التراب ورحمت الى ديار قومي واقمت سبع سنين ثم عدت الى التجار
ووردت المدينة المورة لازيارة فقلت والله لا عودن الى قبر عتبة فأنتيت
الى القبر فاد اشجرة عليها عصاب جرو صفر وخضر فقلت لارباب
المزل ما يقال لهذه الشجرة فقالوا شجرة العروسين فأقمت عند القبر
يوما وليله وانصرفت وكان آخر العهد به ومثل ما تقدم من العشق
وما ورد في كتمان الهوى مع تحقق النظر عند اعلانه ما حكى عن بعض
المميرين من ذوى النعم قال بينما أنا في منزلى اذ دخل على خادم لي
ومعه كتاب فقال رجل بالباب دفع الى هذا الكتاب ففقتنه فاذا
فيه شعر

تجنبك البلاء وناث خيرا * وبجالك المليك من الغموم
فعمدك لومنت شفاء نفسي * واعضاء ضنين من الكلوم

فقلت عاشق والله وقلت للخادم أخرج واثنى به فخرج فلم ير أحدا
فعجبت من أمره وأحضرت الجوارى كلهن من يخرج منهن ومن لم يخرج
منهن وسألتهن عن ذلك فحلفن أنهن لا يعرفن من حديث هذا الكتاب

شيأ فقلت اني لم افعل ذلك بخلا بمن هوى منك من عرف بحال هذا
 الفتى فهي هبة مني له بمالها ومائة دينار وكتب جوابه أشكركم
 على ذلك وأسأله قبولها ووضع الكتاب في جنب البيت ومائة دينار
 وقلت من عرف شيأ فليأخذه فمكث الكتاب والذهب أياما لا يأخذه
 أحد فغمي ذلك وقلت هذا وقع من يحبه بالنظر فمضت من يخرج من
 جوارى من الخروج فما كان الا يوما أو بعض يوم اذ دخل على الخادم
 وبعه كتاب وقال هذا من بعض أمد فأنت بعته اليك فقلت اخرج
 واتنني به فخرج فلم يجدته ففقت الكتاب فاذا فيه هذه الايات

ماذا آتيت الى روح معلقة * عند التراقي وحادي الموت حادها
 حننت حادها ظالما فجدتها * في السبر حتى تخلت عن تراقها
 والله لو قيل لي تأتي بفاحشة * وان عقباك دينانا وما فيها
 لعلت لا والذي أخشى عقوبته * ولا باضعافها ما كنت آتيا
 لولا الحياء لبعنا بالذي سكنت * بيت الفزاد وأبدنا أمانيها
 قال فغمي أمره وقلت للخمار لا ينيلك أحد بكتاب الا قبضت عليه
 قال وقرب موسم الحاج قال فيمنأنا قد أفضت من عرفة واذا في الى
 جاني على ناقة لم يبق منه الا الخيل فسلم على فردت عليه السلام
 ورخت به فقال أتعرفني فقلت وما انكرك بسوء فقال أنا صاحب
 الكتابين فانكيت عليه فقلت له يا أخي لقد غني أمرك وقلقتي كتمانك
 لنفسك ووهبت لك طلبك ومائة دينار فقال بارك الله لك انما أنت لك
 مستحلامن نظر كنت انظره على غير حكم الكتاب والسنة فقلت غفر
 الله لك وللجارية فسر معي الى منزلي لاسلمها اليك ومائة دينار ومثلها
 في كل سنة فقال لا حاجة لي بذلك فألححت عليه فلم يفعل فقلت له
 أما اذا آتيت فعرفني من هي من جوارى لا كرمها من أجلك ما حيت

فقال ما كنت لاسمها لاحد وودعني وانصرف وكان آخر العهد به اه
 * (وعدا الى الكلام على ما وقع في زمان عبد الملك بن مروان) *
 روى انه لما ولي الحجاج الحرمين الشريفين حظى عنده ابراهيم بن محمد
 ابن طلحة فلما اراد الحجاج الرجوع الى الشام الى عبد الملك بن مروان
 وقدمه ابراهيم بن محمد بن طلحة وقال آتيتك برجل الحجاز في الشرف
 والابوة والفضل والمروءة يا أمير المؤمنين مع ما هو عليه من حسن الطاعة
 وحيل المسامحة والله لم يكن في الحجاز له نظير فبإذن الله عليك يا أمير
 المؤمنين الافعلت معه من الخير ما هو مستحقه فقال عبد الملك من هو
 يا أبا محمد قال له ابراهيم بن محمد بن طلحة قال يا أبا محمد اعد ذكرك لتبايحي
 وأجب نذرك في الدخول ولما دخل على عبد الملك أمر بمجلوسه في صدر
 المجلس ثم قال ان أبا محمد الحجاج ذكر لسا مانعته من كمال مروءته
 وحسن بصيغته ولا تدع في صدرك حاجة الا أعلمتها حتى تقضيها لك
 ولا تضيع شكر أي محمد الحجاج فيك قال ابراهيم ان الحاجة التي
 ابتيها وجه الله تعالى والتفرب الى النبي صلى الله عليه وسلم
 في القيامة ونصيحة أمير المؤمنين فانا أبايها يا أمير المؤمنين قال قل قال
 لا أقولها وبيني وبينك ثالث قال ولا صديقك الحجاج قال لا قال قم فقام
 خجلا وهو لا يعرف أين تخطأ رجله فلما مضى قال الى هات نصيحتك
 فقال ابراهيم يا أمير المؤمنين وليت الحجاج الحرمين الشريفين وفيهم ما
 من تعرف من أولاد المهاجرين والانصار وصحابة رسول الله صلى الله
 عليه وسلم مع ما تعلمه من ظلمه وعسفه وجوره وبعده عن الحق وقربه
 الى الباطل يسومهم الخسف ويطوهم بالعسف فليت شعري أي
 جواب اعدته لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سألك في عرصات
 القيامة عن ذلك وبالله عليك يا أمير المؤمنين الاعزلة وادخرتها قربة

الى الله تعالى فقال عبد الملك لقد ظن الحجاج الخير بغير أهله ثم قال
يا ابراهيم قم فقامت على أنحس حال وخرجت من المجلس وقد اسودت
الدينا في وجهي فتبعني حاجبه وقبض على زندي وجلس بي في الدهليز
ثم دعا عبد الملك بالحجاج فدخل فكث طويلا فاشككت الالاهما
يتشاوران في قتلي ثم دعاني فقامت ودخلت فوافاني الحجاج داخلا
فما نقتي وقال جزاك الله عني خيرا في هذه النصيحة أما والله لئن عشت
لارفعن قدرك وتركني وخرجت ودخلت وأنا أقول يهزأ بي وهو
معدور فدخلت على عبد الملك فأجلسني مجلسي الاول ثم قال لي
قد علمت صدقك وقد عزلته عن الحرمين ووليته العراق وأعلمته أنك
استغلت له الحجاز واستدعيت له العراق وأنت تطلب له الزيادة
في الأعمال وهو يظن أنك السبب في توليته العراق وقد تهلل وجهه
فرح بذلك فسرعه أينما توجه يولك خيرا ولا تقطع نصيحتك عنا والله
أعلم وفي مروج الذهب للسعودي وشرح السيرة وغيرهما أن أم الحجاج
ابن يوسف وهي الفارعة بنت همام ولدت له مشوها لا دبر له فنقب دبره
وثبي أن يقبل ندى أمه أو غيرها فأعياهم أمره فيقال ان الشيطان
تصور لهم في صورة الحارث بن كادة فقال ما خبركم فقالوا ولد لي يوسف
الثقي من الفارعة ولد وقد أتي ان يقبل ندى أمه فقال اذبحوا له نيسا
اسود والعقوه دمه ثم اذبحوا له اسود سائحا وأولعوه من دمه واطلوا به
وجهه ثلاثة أيام ففعلوا فقبل الندى في اليوم الرابع فكان لا يصبر عن
سفل الدم وأرتكاب امور لا يقدر عليهم اغيروه انتهى من حياة الحيوان
في حرف التاء وحكي ان الحجاج انفردي يوما من عسكره فأتى أعرابيا
فقال له يا وجه العرب كيف الحجاج فقال ظالم غاشم قال هلا شكوته
الى عبد الملك بن مروان قال اظلم واغشم عليهم العنة الله فينما هو كذلك

اذ نلاحظت به عسا كره فعلم الاعرابي انه الحجاج فقال الاعرابي اها
 الامير السر الذي بيني وبينك لا يطلع عليه أحد الا الله فتبسم الحجاج
 وأحسن اليه وانصرف وذكر أهل التواريخ أن الحجاج بن يوسف
 الثقفي سهر ليلة وعنده جماعة منهم خالد بن عرفة فقال يا خالد انني
 بمحدث من المسجد والناس اذ ذلك يطلبون المقام في المسجد فاستهي الى
 شاب قائم يصلي فجلس حتى سلم ثم قال أحب الامير قال أبعثك الامير
 الى قاصدا هل نعم فمضى معه حتى انتهى الى الباب فقال له خالد كيف
 أنت ومحادثة الامير قال سببتني كما يجب ان شاء الله تعالى فلما دخل
 عليه قال له الحجاج هل قرأت القرآن قال نعم وقد حفظته قال فهل
 تروي شيئا من الشعر قال ما من شاعر الا أروى عنه قال فهل تعرف
 من أنساب العرب ووقائعها قال لا يذهب عني شيء من ذلك فلم يزل
 يتحدث به بكل ما أحب حتى اذا هم بالانصراف قال يا خالد مر لفتي
 برزون و غلام ووصيفة وأربعة آلاف درهم فقال الفتى أصلح الله
 الامير بقي من حديثي أطرفه وأعجبه فعاد الحجاج الى مجلسه وقال
 حدثني فقال أصلح الله الامير هلك والدي وأنا طفل صغير فنشأت في حجر
 عمي وله ابنة بسني وكان في الصبا من التصابي وما كفا فيه أعجوبة حتى
 اذا بلغت وبلغت تنافس الخطاب فيها وبذلوا فيها أموالا بمجالها وكما لها
 فلما رأيت ذلك خامرني السقم وضئت ورميت على الفراش ثم عدت
 الى خابية عظيمة فملا ثيابا وملا وصغرا واقبرت رأسها ودفنتها تحت
 فراشي فلما تم على ذلك أيام بعثت الى عمي فقلت يا عم اني كنت أريد
 أسافر فوقعت على مال عظيم وخفت أن أموت ولا يعلم أحد فان
 حدث بي أمر فأخرجه وأعنتني عشر نسمة وأجج عني عشر حبيب
 وجهز عني عشر رجال بخيولهم وأسلحتهم وتصدق عني بألف دينار

ولاتبال يا عم فان المال كثير فلما سمع عني مقالتي اتى امرأته فأخبرها
بقولي فما كان بأسرع من أن أقبلت بجواربها حتى دخلت على فوضعت
يدها على رأسي ثم قالت والله يا ابن أخي ما علمت بسقمك وما حل بك
حتى أخبرني أبو فلان الساعة وأقبات تلاطفني وتعالجني بالادوية
وجئت الى لطائف وردت الخطاب عن ابنتها فلما رأيت ذلك تحاملت
ثم بعثت الى عني فقلت يا عني ان الله عز وجل قد أحسن الى وعافاني
فابتع لي جارية من خصالها وكمالهما وجمالها كيت وكيت ولا يسألونك
شيأ الا أعطيتيه فقال يا ابن أخي ما يمنعك من ابنة عمك فقلت هي من
أعز خلق الله تعالى علي غير أني قد خطبتها قبل ذلك فامتنعت قال
كلان الامتناع كان من قبل أمها وهي الان قد سميت ورضيت
بذلك قلت شأنك فرجع الى امرأته فأخبرها بقولي فجمعت عشرين
فزوجوني اياها فقلت بحمل على بابنت عني كيف شئت ثم أريك الخباية
فأهديت الى ولم تدع شيأ يصنع بأشرافي النساء الا فعلته ثم زفت
ابنتها على وأحضرتها بكل ما وجدت اليه سبيلا وأخذ عني متاعا
من التجار بعشرة آلاف درهم وكان يأتمناني كل صباح من قبل أبيها
لطائف وتحف مدة فلما كان بعد ذلك بأيام أتاني عني وقال يا ابن أخي انا
قد أخذنا من التجار متاعا بعشرة آلاف درهم وليسوا صابرين على
حبس الثمن قلت شأنك والخباية فزمرسعا حتى جاء بالرجال
والحبال فاستقروها وجملها ومرضعها الى منزله فلما بطمها كان
فيها ما علمت فلما كان بأسرع من أن جاءت أمها بجواربها فلم تدع
في منزلي قليلا ولا كثيرا الا حملته فبقيت مها تاعلى الارض وجفتنا
كل الجفا فهذا حال أصح الله الامير فأنا من نخلي وضيق صدرى آوى
المساجد فقال الحجاج يا خالدمر للفقى ثياب ديباج وفرس أرمنية

وجارية وبرزون وغلام وعشرة آلاف درهم وقال يا فتى أغد الى خالد
غدا حتى تستوفي منه المال فخرج الفتى من عند الحجاج قال فلما
انتهيت الى باب دارى سمعت انسة عمنى تقول ليت شعرى ما يبطل أبان
عمنى أقتل أم مات أم عرض له سبع قال فدخلت عليها وقلت يا انسة عمنى
أبشرى وقرى عينا فاني أدخلت على الحجاج فكان من القصة كيت
وكيت وحكيته لها ما كان من أمرى فلما سمعت الفتاة مقاتلى لطمت
وجهها وصاحت فسمع أبوها وأمتها وأخوتها صراخها فدخلوا عليها
وقالوا لها ما شأنك فقالت لا يبها الا وصل الله رجلك ولا جراك عمنى وعن
ابن أخيك خيرا أجفيته وضيعته حتى أصابه الخفة وذهب عقله اسمع
مقاتله فقال العم يا ابن أخى ما حالك فقلت والله ما بى من بأس الا أنى
أدخلت على الحجاج وذكر له من أمره ما كان وأنه أمر له بمال جزيل
فقال العم لما سمع مقاتله هذه مرة صفراء نائرة فباتوا يحرسونه ذلك اليلة
فلما أصبحوا بعثوا الى المعالج يجعل يعالجه ويسعطه مرة ويسميه أخرى
فيقول الفتى والله ما بى من بأس وانما أدخلت على الحجاج فكان كيت
وكيت فلما رأى الفتى ان ذكر الحجاج لا يزيد الا بلاء كف عنه وعن
ذكره ثم قال له ما تقول فى الحجاج قال ما رأيته ثم خرج الماء فجعل
لهم قد ذهب عنه الاذى وانما لا تعجلوا بحل قيده فبقى الفتى مقيدا
مغولا فلما كان بعد أيام ذكره الحجاج فقال يا خاذه ما فعل بالفتى فقال
أصلح الله الامير ما رأيته منذ خرج من حضرة الامير قال فابعث اليه
أحدا قال فبعث اليه خالد حرسيا فمرا الحرسى على عم الفتى فقال له
ما فعل ابن أخيك فان الحجاج يطلبه قال ان ابن أخى لى شغل عن
الحجاج قد ابتلى ببلاء فى عقله قال لا أدري ما تقول لا بد من الذهاب به
الساعة فدخل عليه العم فقال له يا ابن أخى ان الحجاج قد بعث فى طلبك

فأحلك قال لا الابن يديه فحمل في قبوده وغله على ظهور الرجال حتى
 أدخل على الحجاج فلما ذكروه من بعد جعل يرحب به حتى انتهى إليه
 فكشف قيده وغله وقال أصليح الله الأمير أن آخر أمرى أعجب من أوله
 وحدثه بحديثه وهب الحجاج وقال يا خالدا ضعف لافقي ما كنا قد أمرنا له
 فقبض المال أجمع وحسن حاله ولم يزل مسامرا الحجاج حتى مات انتهى
 صرأعراني عند الحجاج فقدم الطعام فأكل الناس منه ثم قدمت
 الحلوى فترك الحجاج الاعرابي حتى أكل منها القصة ثم قال من أكل من
 الحلوى ضربت عنقه فامتنع الناس من أكلها وبقي الاعرابي ينظر إلى
 الحجاج مرة وإلى الحلوى مرة ثم قال أيها الأمير أوصيك بأمرين خيرا
 ثم اندفع يأكل فضحك الحجاج حتى استلقى على قعاه وأمر له بصلته انتهى
 وحكى أن الحجاج أمر صاحب حراسته أن يطوف بالليل فن وحده
 بعد العشاء ضرب عنقه وطاق في ليلة فوجد ثلاثة صبيان يتمايلون وعليهم
 أثر الشراب فأحاط بهم وقال لهم من أنتم حتى خالفتم الأمير فقال الأول
 أنا ابن من دانت الرقاب له * ما بين محزومه وأهائه
 تأتي إليه الرقاب صاغرة * يأخذ من مالها ومن دمها
 فأمسك عن قتله وقال لعلمه من أقارب أمير المؤمنين وقال الثاني
 أنا ابن الذي لا ينزل الأرض قدرد * وإن نزلت يوما فسوف تعود
 ترى الناس أفواجا إلى ضوء ناره * فنههم قيسام حولها وقعود
 فأمسك عن قتله وقال لعلمه من أشرف العرب وقال الثالث
 أنا ابن الذي خاض الصفوف بعزمه * وقومها بالسيف حتى استقامت
 ركابها لا تنفك رجلا منها * إذا الخيل في يوم الكريهة ولت
 فأمسك عن قتله وقال لعلمه من شجعان العرب فلما أصبح رفع أمرهم إلى
 الحجاج فأحضرهم وكشف عن حالهم فاذا الأول ابن حجام والثاني ابن

فوال والثالث ابن حائل فتعجب الحجاج من فصاحتهم وقال لجلسائه
علموا أولادكم الأدب فوالله لولا الفصاحة لضربت أعناقهم ثم أطلقهم
وأفسد

كن ابن من شئت واكتسب أدبا * يغنيك محمودة عن النسب
ان الفتى من يقول هأناذا * ليس الفنى من يقول كان أبى
وقيل أمر الحجاج بقتل أسرى فقتل منهم جماعة فقال رجل منهم وقد
عرض للقتل يا حجاج ان كنا أساءنا في الذنب فأحسننا في العفو والله
نعالي يقول فاذا القيم الذين كفروا فاضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم
فشدوا الوثاق فاما منابعدوا ما فداء فهذا قول الله في الكفار فكيف
بالمسلمين وقد قال الشاعر

وما نقتل الأسرى ولكن نفكهم * اذا نفل الاعناق حمل الغلائل
فقال الحجاج أف لهؤلاء الجيف والله لو قال هؤلاء مثل ما قال هذا
الرجل ما قتلت منهم أحدا ولكن أطفأوا بقيتهم قال الراوى ولما ولى
الحجاج العراق قال على بالمرأة الحروية لما حضرت قال لها أنت
بالأمس في وقعة ابن الزبير تحرضين الناس على قتل رجائي ونهب
أموالي قالت نعم قد كان ذلك يا حجاج فانتفت الحجاج الى وزرائه وقال
ما ترون في أمرها فقالوا بحمل بقتلها فضحك المرأة فاغتاط الحجاج
وقال ما أضحكك قالت وزراء أخيك فرعون خير من وزرائك هؤلاء
قال وكيف ذلك قالت لانه استشارهم في موسى فقالوا أرحمه وأخاه
أى أنظره الى وقت آخر وهؤلاء يستألفونك فبحيل قتلى فضمن الحجاج
وأمر لها بعطاء وأطلقها وقيل ان هند بنت النعمان كانت أحسن نساء
زمانها فوسن للحجاج حسمها فخطبها وبذل لها مالا جريلا تزوج بها
وشرها لها عليه بعد المداق مائتي ألف درهم ودخل بها ثم انها انحدرت

معه الى بلد أبيها المعرة وكانت هند فصيحة أديبة فأقام بها الحجاج
 بالمعرة مدة طويلة ثم ان الحجاج رحل بها الى العراق فأقامت معه
 ما شاء الله ثم دخل عليها في بعض الايام وهي تنظر في المرآة وتقول
 وما هند الا ماهرة عربية * سلالة أفراس تحللها بغل
 فار ولدت لخلافته درها * وان ولدت بغلا نجاء به البغل
 فلما سمع الحجاج كلامها انصرف راجعا ولم يدخل عليها ولم تكن
 علمت به فأراد الحجاج طلاقها فأنفذ اليها عبد الله بن طاهر وأنفذ
 لها معه مائتي ألف درهم وهي التي كانت لها عليه وقال يا ابن طاهر
 طلقها بكلماتين ولا ترد عليهما ما دخل عبد الله بن طاهر عليه افقار
 لها يقول لك أبو محمد الحجاج كمت فبنت وهذه المائتا ألف درهم التي
 كانت لك قبله ففالت اعلم يا ابن طاهر انما والله كنا فيما حمدنا وبنينا فما
 ندمننا وهذه المائتا ألف درهم هي لك بشارتك بخلاص من كلب
 نقيف ثم بعد ذلك بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان خبره او وصف
 له جمالها فأرسل اليها بخطبها بنفسه فأرسلت اليه كتابا تقول فيه
 بعد الثناء عليه اعلم يا أمير المؤمنين أن الكلب ولغ في الاناء فلما قرأ
 عبد الملك بن مروان الكتاب ضحك من قوله واكتب اليها يقول اذا
 ولغ الكلب في اناء أحدكم فليغسله سبعا احداهن بالتراب فاغسلي
 الاناء يحل الاستعمال فلما قرأت كتاب أمير المؤمنين لم يمكنها المخالفة
 فكتبت اليه تقول بعد الثناء عليه اعلم يا أمير المؤمنين أني لا أجرى
 العقد الا بشرط فان قلت ما الشرط أقول أن يقود الحجاج محلي من
 المعرة الى بلدك التي أنت فيها ويكون ماشيا حافيا بحليته التي كان فيها
 أولا فلما قرأ ذلك الكتاب عبد الملك ضحك ضحكا شديدا وأرسل
 الى الحجاج يأمره بذلك فلما قرأ الحجاج رسالة أمير المؤمنين أجاب

ولم يخالف وامتنع من الامر وأرسل الحجاج الى هندية بأمرها بالتجهز
فجهزت وسار الحجاج في موكبه حتى وصل المعرة ببلد هندية فركبت هندية
في محمل الزفاف وركب حوله أجوارها وخدمها وترجل الحجاج
وهو حاف وأخذ بزمام البعير يقوده ويسير بها فأخذت تهزأ عليه
وتضحك مع الهيفاء داينهم انهم قالت لدايتها يا ذاتي اكشفي لي ستارة
الرجل لنشتم رائحة النسيم فكشفته فوقع وجهه ها في وجهه بضحك
عليه فأنشد يقول

فان تضحكي يا هندية يا طول ليلة * تركك فيها كالقباء المفرج
فأجابه تقول

وما نبي الى اذا أرواحنا سلمت * بما فقدناه من مال ومن نسب
فالمال مكتسب والعز مرتجع * اذ النفوس وقها الله من عطب
ولم تنزل قلعب وتضحك الى أن تربت من بلاد الخليفة فلما قربت من البلد
رمت من يدها ديناراً على الارض وقالت يا جبال انه سقط منادى
فادفعه اليها فنظر الحجاج الى الارض فلم ير الا ديناراً فقال انما هو دينار
فقالت بل درهم قال بل دينار فقالت الحمد لله سقط منادى درهم فعمدنا
الله ديناراً نجعل الحجاج وسكن ولم يرد جواباً ثم دخل بها على عبد الملك
ابن مروان فترج بها وكان من أمرها ما كان (ذكر في حياة الحيوان)
قال عون بن أبي شاذان العبدى بلغني أن الحجاج بن يوسف لما ذكر له
سعيد بن جبيل أرسل قائداً من الشام يسمى المتلمس بن الاخوص ومعه
عشرون رجلاً فينمواهم يطلبونه اذا هم براهب في صومعة له فسالوه
عنه فقال الراهب صفوه لي فوصفه فدلهم عليه فانطلقوا فوجدوه
ساجداً ساجداً ربه بأعلى صوته فدنا منه وسلموا عليه فرفع رأسه قائماً
بقية صلاته ثم رد عليهم السلام فقالوا له أرسل الحجاج اليك فأجبه

قال ولا بد من الاجابة قالوا لا بد فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه
صلى الله عليه وسلم ثم قام فمشى معهم حتى انتهى الى دير الراهب فقال
الراهب يا معشر الفرس ان اصبتم صاحبكم قالوا نعم قال اصعدوا الى الدير
فان الاسد واللبوة يا ويان الدير فعملوا الدخول قبل المساء ففعلوا ذلك
واى سعيد ان يدخل الدير فقالوا ما نراك الا تريد الهرب قال لا ولكن
لا ادخل منزل مشرك ابدا قالوا فانا لا ندعك فان السباع تقتلك قال
سعيد ان معي ربي يصرفها عني ويجعلها احرسالى من كل سوء ان شاء الله
تعالى قالوا افأنت نبي من الانبياء قال ما انا من الانبياء واسكنى عبد
من عبيد الله خاطى مذنب قالوا احلف لنا انك لا تبرح فحلف لهم وقال
لهم الراهب اصعدوا الدير وأوتروا القسي لتنفروا السباع عن هذا
العبد الصالح فانه كره الدخول على في الصومعة لمكانكم فدخلوا وأوتروا
القسي فاذا هم بلبوة قد أقبلت فلما دنت من سعيد تحركت به
وقمست به ثم ربضت قريباً منه وأقبل الاسد فصنع مثل ذلك فلما
رأى الراهب ذلك وأصبحوا نزل اليه وسأله عن مرائع الاسلام وسنن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ففسر سعيد ذلك كله فأسلم الراهب
وحسن اسلامه وأقبل القوم على سعيد يعتذرون اليه ويقبلون يديه
ورجله ويأخذون التراب الذي وطأه بالليل وصلوا عليه وقالوا يا سعيد
حلفنا للحجاج بالطلاق والعناق ان نحن رأيناك لا ندعك حتى شخصك
اليه فمرنا بما شئت قال امضوا الشأنكم فانه لا بد من الرجوع لخالفى ولا
راد لقضائه فساروا حتى وصلوا واسطاً فلما انتهوا قال لهم سعيد يا معشر
القوم قد تحرمت بكم ومحبتكم ولست أشك أن أجلى قد حضروا ان المدة
قد انقضت فدعوني اليلة آخذاً هبة الموت وأستعذلنكم ونكير وأذكر
عذاب القبر وما يحشى على من التراب فاذا اصبتم فاليعاد بيني وبينكم

المكان الذي تريدون فقالوا البعضهم لا نريد أن نرابعه عين قال بعضهم
 قد بلغتكم أمنكم واستوجبتم جوائزكم من الأمير فلا تعجزوا عنه فقال
 بعضهم هو على أدفعه اليكم ان شاء الله فنظروا الى سعيد فدمعت
 عيناه واغبر لونه ولم يأكل ولم يشرب ولم يضحك منذ لقوه فقالوا بأجمعهم
 يا خير أهل الأرض ليتنا لم نعرفك ولم نرسل اليك الويل لنا كيف ابتلينا
 ما عذرنا عند خالقنا يوم الحشر الا كبر والمجاوبة له قال كفيله أسألك
 يا سعيد بالله الا ما زودت من دعائك وكلامك فاننا لا نلقى مثلك أبدا فدعا
 لهم سعيد ثم خلوا سبيله فغسل رأسه ومد رعته وكساءه وهم محتفون
 الليل كله فلما انكشف عود الصبح جاءهم سعيد بن جبير فقرع الباب
 فقالوا صاحبكم ورب الكعبة فنزلوا اليه وبكوا معه طويلا ثم ذهبوا به
 الى الحجاج فدخل عليه المتلمس فسلم عليه وبشره بقدوم سعيد بن جبير
 فلما مثل بين يديه قال ما اسمك قال سعيد بن جبير قال أنت شقي بن كثير
 قال بل أمي كانت أعلم باسمي منك قال شقيت أنت وشقيت أمك قال
 الغيب يعلم غيرك قال لا بد لك بالدنيا نارا قال لو علمت أن ذلك بيدك
 لا اتخذت الها قال فما قرئك في محمد قال نبي الرحمة قال فما قوائك أعلى
 في الجنة أم في النار قال لو دخلتهما وعرفت أهلها ما عرفت من فيهما
 قال فما قولك في الخلفاء قال لست عليهم بوكيل قال فأيهم أحب اليك
 قال أرضاهم لحالتي قال فأيهم أرضى للخالق قال علم ذلك عند الذي
 يعلم سرهم ونجواهم قال فما بالك لا تضحك قال أضحك مخلوق خلق
 من الطين والطين تأكله النار قال فما بالنانضك قال لم تسنوا القلوب
 قال ثم أمر الحجاج بالؤلؤ والزبرجد والياقوت فوضعه بين يديه فقال
 سعيد ان كنت جمعت هذا التقدي به من فزع يوم القيامة فصالح والا
 ففرعة واحدة تذهل كل مرضة عما أرضعت ولا خير في شيء جمع

لادنيا الاما طاب وزكى ثم دعا الحجاج بالآلات الالهو فبكى سعيد
فقال الحجاج ويلك يا سعيد اختر اى قلمة تريد ان أقتلك قال اختر
لنفسك يا حجاج فوالله لا تقتلنى قتلة الا فتلك الله مثله اى الآخرة قال
أوتريد ان أعفو عنك قال ان كان العفو من الله بلى وأما أنت فلا قال
اذهبوا به فاقتلوه فلما خرج من الباب فتحك فانبر الحجاج بذلك وأمر
برده وقال له ما أضحكك قال عجبت من جراتك على الله وحلم الله
عليك يا أمر بالسبع بسط بين يديه وقال اقتلوه قال وجهت وجهى
لذى فطر السموات والارض حنيئاً وما أمان المشركين قال وجهوه
لغير القبلة قال سعيد فأينما تولوا فثم وجه الله قال كبوه لوجهه فقال
سعيد منها خلدناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فقال
الحجاج اذبحوه فقال سعيد أشد أن الله لا الله وأشهد أن محمداً
عبده ورسوله اللهم لا تسلمه على أحديته بعدى فذبح على المطاع
رحمه الله وكانت رأسه بعد قطعهما تقول لا اله الا الله وتناش الحجاج
بعدها خمسة عشر يوماً وذلك فى سنة خمس وتسعين وكان عمر سعيد
رضى الله عنه تسعاً وأربعين سنة والله أعلم

(خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان)

كان يختم القرآن فى ثلاث وكان يختم فى رمضان بمئة عشرة ختمة قال
ابراهيم بن أبى عليه كان يعطينى أكياس الدنانير أقدمها فى الصالحين
وكان يقول لولا أن الله عز وجل ذكر اللواط فى كتابه العزير ما ظننت
أن أحداً يفعله قال الحافظ ابن عساكر كان الوليد عنده أهل الشام
من أفضل خلفائهم بنى المسجد دمشق وفرض للمجذومين ما يكفيهم
وقال لا تسألوا الناس وأعطى كل مقعد خادماً وكل أعشى قائداً وذكر
أن قلمة ما أنفق على بناء المسجد الاموى أربع مائة صندوق فى كل

صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار وكان فيه ستمائة سلسلة ذهب
للقناديل وما تكل بناءه الا اخوه سليمان لما ولي الخلافة وفعل خيرات
كثيرة وآثارا حسنة وبعد هذا كله فقد روى أن عمر بن عبد العزيز
رضي الله عنه قال لما أدرج في أكتفائه غلت يداه الى عنقه فسأل
الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة ونسأله حسن الخاتمة انتهى
من حياة الحيوان

❦ (خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان) ❦

فما يذكر من محاسنه أن رجلا دخل عليه فقال يا أمير المؤمنين أنشدك
الله والاذان فقال سليمان أما أنشدك الله فقد عرفناه فما الاذان قال
قوله نعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين فقال سليمان
ما طلائك قال ضيعتى الفلانية غلبني عليها عاملك فلان فنزل سليمان
عن سريره ورفع البساط ووضع خده على الارض وقال والله لا رفعت
خدي من الارض حتى يكتب له برد ضيعته فكتب الكتاب وهو
واضع خده على الارض لما سمع كلام ربه الذي خلقه وخوله في نعمه
خشى من لعن الله وطرده رحمه الله قيل انه أطاق من سجن الحجاج
ثلاثمائة ألف نفس ما بين رجل وامرأة وصادرا ل الحجاج واتخذ ابن
عمر بن عبد العزيز وزيراً ومشييراً وكان شرها في الاكل نكاحاً
قال ابن خلدكان في ترجمته انه كان يأكل كل يوم نحو مائة رطل
شامى قال محمد بن سيرين رحمه الله سليمان اقمع خلافته بخير وختمها
بخير اقمعها باقامة الصلاة لمواقبتها الاولى وختمها باستغلافه بعمر بن
عبد العزيز رضي الله عنه وقال أبو سويد حدثني أبو زيد الاسدي
قال دخلت على سليمان بن عبد الملك وهو جالس في ايوان ملبط بالرخام
الاحمر مفروش بالديباج الاخضر في وسط بستان ملتف قد أثمر وأينع

وعلى رأسه وصائف كل واحدة منهن أحسن من صاحبته وقد غابت الشمس وغنت الاطياف فجاوبت ومققت الرياح على الاشجار وتمايلت فقلت السلام عليك أيها الامير ورحمة الله وبركاته وكان مطرقا فرفع رأسه وقال يا أبا زيد في مثل هذا الحين تصالحنا فقلت أوصلي الله الامير أو قامت القيامة قال نعم على أهل المحبة ثم أطرق مليا ورفع رأسه وقال يا أبا زيد ما يطيب في يومنا هذا قلت أعز الله الامير قهوة حمراء في زجاجة بيضاء تناولها عادة هيفاء ملفة لفا شربها من كفها وامسح في بجمتها فأطرق سليمان مليا لا يرد جوابا تقول من عينيه عبرات بلا شهييق فلما رأى الوصائف ذلك تعين عنه ثم رفع رأسه فقال يا أبا زيد حضرت في يوم انقضاء أجلك ومنتهى مدتك وتصرم عمرك والله لا ضربن عنقك أول تخبرني ما آثار هذه الصفة من قلبك قلت نعم أيها الامير كنت جالسا على باب أخيك سعد بن عبد الملك فاذا أنا بحارية قد خرجت من باب القصر كأنها غزال انفلتت من شبكة صياد عليها قميص سكب أسكندراني بين منه بياض ثديها وتدوير سرتها ونقش نكتها وفي رجلها نعلان صراران قد أشرق بياض قدميها على حمرة فعملها بذؤابتين تضرب حقويها ولها صدغان كأنهما نونان وحاجبان قد قوسا على محاجر عينيها وعيان مملوءتان سعرا وأنف كأنه قصبه بلور وفم كأنه جرح يقطر دما وهي تقول عباد الله من لي بدواء من لا يسلي وعلاج من لا يسبي طال الحجاب وأبطأ الجواب فالقلب طائر والعقل عازب والنفس والمه والغفود مختلس والنوم محتبس رحمة الله على قوم عاشوا متجلدا وماتوا كمدا ولو كان الى الصبر حيلة والى العزاء سبيل لكان أمرا جميلا ثم أطرقت مليا ورفعت رأسها فقلت أيتها الجارية انسية أنت أم جنية سماوية أم أرضية فقد أعجبني

ذكاء عقلك وأذهلني حسن منطلق فسترت وجهها بكها كأنها لم ترفى
ثم قالت اعذريها المتكلم فإأوحش الساعد بلا مساعد والمقاساة
لصب معاند ثم انصرفت فوالله أصلح الله الأمير ما أكلت طيبا
الاغصت به لذكورها وما رأيت حسنا الا سمج في عيني لحسنها فقال
سليمان يا أبا زيد كاد الجهل يستغفرني والصبا يعاودني والحلم يعزب عني
لشهو ما سمعت اعلم يا أبا زيد أن تلك الجارية التي رأيتها هي الدلفاء التي
قيل فيها

كانما الدلفاء يا قوتة ~~ب~~ أخرجت من كيس دهقان

شراؤها على أخي ألف ألف درهم وهي عاشقة لمن باعها والله ان مات
انما يموت بجها ولا يدخل القبر الا بغستها وفي الصبر سلوة وفي توقع الموت
هبة قم يا أبا زيد في دعة الله يا غلام ثقله ببدرة فأخذتها وانصرفت قال
فلما أفضت الخلافة له صارت اليه الدلفاء فأمر بنفسه طاط فأخرج على
دهناء الغوطة وضرب في روضة خضراء وونقة زهراء ذات حدائق بهجة
تحتها أنواع الزهر من أصفر فاقع وأحمر ساطع وأبيض ناعم وكان
لسليمان مغن يقال له سنان كان به يأنس واليه يسكن فأمره أن يضرب
فسطاطه بالقرب منه فكانت الدلفاء قد خرجت مع سليمان الى ذلك
المنزه فلم يزل في أكل وشرب وسرور وأتم حبور الى أن انصرفت شئ من
الليل فذهب الى فسطاطه وذهب سنان أيضا فنزل به جماعة من
أخوانه فقالوا له نريد قراء أصلح الله قال وما نراكم فإواكل وشرب
وسماع قال أما الاكل والشرب فباحان لكم وأما السماع فقد عرفتم
غيره أمير المؤمنين ونهيه الا ما كان في مجلسه قالوا لا حاجة لما بطعامك
وشربك ان لم تسمعنا قال فاختاروا صوتا واحدا أغنيكموه قالوا غننا
بصوت كذا وكذا قال فتمرع يتغنى بهذه الابيات

محبوبة سمعت صوتي فأرقها * من آخر الليل لما نيه السحر
 في ليلة البدر ما يدري مضاجعها * أوجهها عنده أم عنده القمر
 لم يحجب الصوت أحراس ولا غلق * فدمعها الورق الصوت ينحدر
 لو كنت اشتت نحوى على قدم * وكاد من لينها المشي ينفطر
 قال سمعت الدلفاء صوت سنان فخرجت الى صحن الفسطاط فجعلت
 لا تسمع شيأ من حسن خلق ولطافة الأرت ذلك كله في نفسها
 وهياتها فحرك ذلك ساكنا من قلبها فهلمات عينها وعلات حجبها فانتبه
 سليمان فلم يجده معه فخرج الى صحن الفسطاط فرآها على تلك الحالة
 فقال ما هذا يا دلفاء فقالت

ألارب شخص رائع ومشوه * قبح الحيا واضع الاب والجد
 بروعك منه صوته ولعله * الى أمة يعزى معا الى عبد
 فقال سليمان دعيني من هذا الخال فوالله لقد خار قلبك منه يا غلام
 على بسسان فدعت الدلفاء خادما لها وقالت له ان سبقت رسول أمير
 المؤمنين الى سنان بخذته فلك عشرة آلاف درهم وأنت حر لوجه الله
 تعالى فخرج الرسول ان فسبق رسول أمير المؤمنين فلما أتى به قال
 يا سنان ألم أهلك عن مثل هذا قال يا أمير المؤمنين حملني الشمول وأنا عبد
 أمير المؤمنين وغرس نعمته فان رأى أمير المؤمنين أن يعفو عني فليفعل
 قال قد عفوت عك ولكن أتعلمت ان الفرس اذا صهل تودقت
 له الحجرة وان الفحل اذا درسغت له الماقة وان الرجل اذا تغنى صغت
 اليه المرأة وياك والعود الى ما كان منك فيطول غمك انتهى وقيل
 كان في أيام سليمان رجل يقال له خريمة بن بشر من بني أسيد كانت له
 مروءة طاهرة ونعمة حسنة وفضل وربا لاخوان فلم يزل على تلك
 الحالة حتى قعد به الدهر فاحتاج الى اخوانه الذين كان يفضل عليهم

وحسب ان يواسيهم فواسوه حينئذ ملوه فلما لاح له تغيرهم اتى امرأته
 وكانت ابنة عمه فقال لها يا ابنة عمى قد رايت من اخواني تغيرا وقد
 عزمت على ان ألزم بيتي الى ان يأتيني الموت فأغلق بابه وأقام يتقوت
 بما عنده حتى نفذ وبقي حائرا وكان يعرفه عكرمة الفياض الربيعي
 متولى الجزيرة فيبينها هو في مجلسه اذ ذكر خزيمة بن بشر فقال عكرمة
 الفياض ما حاله فقالوا قد صار الى امر لا يوصف واهه أغلق بابه ولزم
 بيته فقال عكرمة الفياض وانما سمى بذلك لاجل كرمه فما وجد
 خزيمة بن بشر مواسيا ولا مكافئا فقالوا لا فأمسك عن الكلام ثم
 لما كان الليل عمدا الى أربعة آلاف دينار فجعلها في كيس واحد ثم
 أمر باسراج وابته وخرج سرا من أهله فركب ومعه غلام من غلامه
 يحمل المال ثم سار حتى وقف بباب خزيمة فأخذ الكيس من الغلام
 ثم أبعد عنه وتقدم الى الباب فدفعه بنفسه فخرج اليه خزيمة فتناوله
 الكيس وقال أصليح بهذا شأنك فتناوله فراه فقبلا فوضعه عن يده
 ثم أمسك بلجام الهابة وقال له من أنت جعلت قدالك فقال له عكرمة
 يا اذنا ما جئتك في هذا الوقت والساعة وأريد ان تعرفني قال فما اقبله
 الا ان تعرفني من أنت فقال انا جابر عثرات الكرام قال زدني قال لا
 ثم مضى و دخل خزيمة بالكيس الى ابنة عمه فقال لها ابشري فقد اتى
 الله بالفرج والخير ولو كانت فلوسا فهي كثيرة قومي فأمر جى قالت
 لا سبيل الى السراج فبات يلسمها بيده فيبعد خشونة الدنانير ولا يصدق
 وأما عكرمة فانه رجع الى منزله فوجد امرأته قد فقدته وسألت عنه
 فأخبرت بركوبه فأنكرت ذلك وارتابت وقالت له والى الجزيرة يخرج
 بعد هدوم من الليل منفردا من غلامه في سر من أهله الا الى زوجة
 أوسرية فقال اعلى انى ما خرجت في واحدة منها قالت فخبرنى فيما

خرجت قال يا هذه ما خرجت في هذا الوقت وأنا أريد أن يعلم بي أحد
 قالت لا بد أن تخبرني قال تكتميه إذا قالت فاني أفعل فأخبرها بالقصة
 على وجهها وما كان من قوله وورده عليه ثم قال لها اتعبدني أن أحلف
 لك أيضا قالت لا فان قلبي قد سكن وركن الى ما ذكرت وأما خزيمة
 فانه لما أصبح صالح الغرماء وأصلح ما كان من حاله ثم انه تجهز يريد
 سليمان بن عبد الملك وكان نازلا يومئذ بفلسطين فلما وقف بهابه
 واستأذن دخل الحاسب فأخبره بمكانه وكان مشهورا بمروءته وكرمه
 وكان سليمان به عارفا فآذن له فلما دخل سلم عليه بالخلافة فقال له
 سليمان بن عبد الملك يا خزيمة ما أبطأك عنا قال سوء الحال قال فما
 منعك من النهضة الينا قال ضعفي يا أمير المؤمنين قال فم نهضت الينا
 الآن قال لم أعلم يا أمير المؤمنين الا اني بعدهدو من الليل لم أشعر الا
 ورجل يطرق الباب وكان من أمره كيت وكيت وأخبره بتقصته من
 أولها الى آخرها فقال سليمان هل تعرف الرجل فقال خزيمة ما عرفته
 يا أمير المؤمنين وذلك انه كان متنكرا وما سمعت من لغائه الا اني جابر
 عثرات الكرام قال فتلهب وتلف سليمان بن عبد الملك على معرفته
 وقال لو عرفناه لكافئناه على مروءته ثم قال على بقناة فأتى بها
 فعقد خزيمة بن بشر المذكور على الجزيرة عاملا عوضا عن عكرمة
 الفياض فخرج خزيمة طالب الجزيرة فلما قرب منها خرج عكرمة وأهل
 البلد للاقائه فسلموا على بعضهم البعض ثم سار جميعا الى ان دخل البلد
 فنزل خزيمة في دار الامارة وأمر أن يؤخذ لعكرمة كفيل وان يحاسب
 فحوسب فوجد عليه فضول أموال كثيرة فطالبه بأدائها قال مالي
 الى شيء من سبيل قال لا بد منها قال ليست عندي فامنع ما أنت صانع
 فأمره الى الحبس ثم أنفذ اليه من يطالبه فأرسل يقول اني لست بمن

يصون ماله بعرضه فامنع ما شئت فأمر أن يكبل بالحديد فأقام نهرا
 كذلك أو أكثر فأضناه ذلك وأضر به وبلغ ابنة عمه خبره فجزعت
 واغتصمت لذلك ثم دعت مولاهما وكانت ذاعقل ومعرفة وقالت لهما
 امضى الساعة الى باب هذا الامير خزيمة بن بشرو قولي عندي نصيحة
 فاذا طابت منك فقولى لا أقول لهما الا لا امير خزيمة بن بشر فاذا دخلت
 عليه فسله أن يخليك فاذا فعل ذلك فقولى له ما كان هذا جزاء جابر
 عثرات الكرام منك كافته بالحبس والضيق والحديد ففعلت الجارية
 ذلك فلما سمع خزيمة كلامها نادى برفيع موته واسوأناه وأنه
 لم يوافق نعم فأمر لوقت بدائه فأسرجت وبعث الى وجوه أهل البلد
 فجمعهم اليه وأتى بهم الى باب الحبس ففتح ودخل خزيمة ومن معه فراه
 فاعاد في قاعة الحبس متغيرا أضناه الضر والالم ونقل القيود والاعلال
 فلما نظروا اليه عكزته والى الناس أحشبه ذلك فنكس رأسه فأقبل
 خزيمة حتى انكب على رأسه فقبلها ورفع عكزته اليه رأسه وقال
 ما أعقب هذا ملك قال كريم فعالك وسوء مكافأتى قال يغفر الله لهما ولك
 ثم أتى بالحديد ففك القيود عنه وأمر خزيمة أن توضع القيود في رجل
 نفسه فقال ماذا تريد فقال أريد أن ينالني من الضر مثل ما نالك
 فقال أقسم عليك بالله لا تفعل فخرجوا جميعا حتى وصل الى دار خزيمة
 فودعه عكزته وأراد الانصراف عنه فقال ما أنت بيارح قال وما
 تريد قال أغير حالك وان حياتي من ابنة عمك أشد حياء منك ثم أمر
 بالحمام فأخلى ودخلها معها فقام خزيمة وتولى أمره وخدمه بنفسه
 ثم خرجا فخلع عليه وحمله وحمل معه مالا كثيرا ثم سار معه الى داره
 واستأذنه في الاعتذار الى ابنة عمه فاعتذر اليها وتزيم من ذلك قال
 ثم سأله بعد ذلك أن يسير معه الى سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ مقيم

بالرملة فأنعم له بذلك وساراجيعا حتى قدما على سليمان بن عبد الملك
فدخل الحاجب فأعلمه بقدم خزيمة بن بشر فراعته ذلك وقال والى
الجزيرة يقدم بغير أمرنا هذا الحادث عظيم فلما دخل قال له قبل
أن يسلم ما وراءك يا خزيمة قال الخير يا أمير المؤمنين قال فمما الذى
أقدمك قال ظفرت بجابر عثرات الكرام فأحببت أن أسرك به لما رأيت
من تلهفك وتشوقك الى رؤيته قال ومن هو قال عكرمة الفيض
قال فأذن له بالدخول فدخل وسلم عليه بالخلافة فرحب به وأدناه من
مجلسه وقال يا عكرمة ما كان خيرك له الا وبالا عليك ثم قال سليمان
ان اكتب حوائجك كلها وما تحتاج اليه فى رقعة ففعل ذلك فأمر
بقضائهم من ساعته وأمر له بعشرة آلاف دينار وسفطين ثيابا ثم
دعا بقناة وعقد له على الجزيرة وأرمينية وادريجان وقال له أمر خزيمة
اليك ان شئت أن تبقية وان شئت عزلته قال بل اردده الى عملي يا أمير
المؤمنين ثم انصرفا من عنده جميعا ولم يزلا عاملين لسليمان مدة
خلافته والله أعلم

✽ (خلافة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه) ✽

أمه أم هانم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فهو تابعي
جليل قال الامام أحمد بن حنبل ليس أحد من التابعين قوله حجة الا عمر
ابن عبد العزيز كان رضى الله عنه عفيفا زاهدا ناسكا عابدا مؤمنا تقيا
صادقا أزال ما كانت بنو أمية تذكروه عليا رضى الله عنه على المسابر
وجعل مكان ذلك قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية ✽
ولما ولى الخلافة رضى الله عنه وفد الشعراء اليه وأقاموا بسببه أياما
لا يؤذن لهم فبينما هم كذلك اذ مرت بهم رجاء ابن حيوة وكان جليسا عمر فلما
راه جريدا خلا قام اليه وأنشد يقول هذه الابيات

يا أيها الرجل المرخي عمامته * هذا زمانك فاستأذن لعاشر
فدخل ولم يذكر شيئا من أمرهم ثم مر بهم عدى بن أوطاة فقال جعير
أبياتا آخرها قوله

لا تنس حاجتنا لغيت مغفرة * قد طال مكثي عن أهلي وعن وطني
قال فدخل عدى على عرو وقال يا أمير المؤمنين الشعراء ببابل وسهامهم
مسمومة وأقوالهم نافذة قال ديمحك يا عدى مالي والشعراء قال أعز الله
أمير المؤمنين إن رسول الله قد امتدح وأعطى ولك في رسول الله أسوة
حسنة قال كيف قال امتدحه العباس بن مرداس السلمي فأعطاه
حلة قطع بها كلامه قال أو تروى من قوله قال نعم وأشد يقول

رأيتك يا خير البرية كلها * نشرت كتابا جاء بالحق معلما
شرعت لنادين الهدى بعد جورنا * عن الحق لما أصبح الحق مظلما
ونورت بالبرهان أمرا مدنسا * وأطغأت بالاسلام نار تضربها
من مبلغ عني النبي محمد — دا * وكل امرئ يجزي بما كان قدما
أقت سبيل الحق بعد اعوجاجه * وقد كان قدما ركسه قدما — دما
فقال ويلك يا عدى من بالباب منهم قال عمر بن ربيعة قال أليس هو
الذي يقول شعرا

ثم نهتها فزت كعابا * طفلة مات بين رجيع الكلام
ساعة ثم انتهت قالت * وبلنا قد غلغلت يا ابن الأكرام
ولو كان عدو الله اذ فجر كتم على نفسه لكان أستر له لا يدخل على والله
أبدا فن بالباب سواء قال الفرزدق قال أليس هو الذي يقول
هـ ما دأبني من ثمانين قام — ة * كما انقض بازا كتم الراس كاسره
فلما استوت رجلاي في الأرض فالتنا * أحى في رجي أم قتيل نحا ذره
لا يدخل على والله أبدا فمن سواء منهم قال الاخطل قال يا عدى هو

الذي قال

ولست بصائم رمضان طوعا * ولست باكل لحم الاضاحي
ولست بزاجر عيسى بكورا * الى بطحاء مكة للنجاشي
ولست بزائر بيتا عتيقا * بككة أبتغي فيها اصلاحي
ولست بقائم كالعرد أدعو * قبيل الصبح حي على الفلاح
ولكني سأشربها شمولا * وأسجد عند مبتلي الصباح
والله لا يدخل على أبدا هو وكافر من الباب سوى من ذكرت قال
الاخوص قال هو الذي يقول

الله بيني وبين سيدها * يفرغني بها وأنبعه

فمن بالباب دون من ذكرت أيضا قال جميل بن معمر قال أوليس هو
الذي يقول

فيا ليتنا نحي جميعا وان أمت * يوافق موقى ضريحى ضريحها
فلو كان عدو الله تنفى لقاءه ما في الدنيا ليعمل بعد ذلك صالحا لكان
أصلح والله لا يدخل على أبدا فهل أحد سوى من ذكرت قال جرير قال
أوليس هو الذي يقول

طرقك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارحني بسلام
فان كان ولا بد هو الذي يدخل فلما مثل بين يديه قال يا جرير اتق الله
ولا تقل الاحقافا أنشد قصيدته الرائية المشهورة التي منها هذه الابيات
انا لنرجو اذا ما الغيث أخلفنا * من الخليفة ما نرجو من المطر
جاء الخليفة أو كانت له قدرا * كما أتى ربه موسى على قدر
هذي الارامل قد قضيت حاجتها * فن لحاجة هذا الارمل الذكر
الخير ما دمت حيا لا يفارقنا * بوركت يا عمر الخير اب من عمر
فقال يا جرير لا أرى لك فيما هاهنا حقا قال بلى يا أمير المؤمنين أنا ابن

سبيل ومنه طع فأعطاه من طيب ماله مائة درهم وقال ويحك يا جريز لقد
ولينا هذا الامر ولم نملك الا ثلاث مائة درهم فمائة أخذها عبد الله ومائة
أخذتها أم عبد الله يا غلام أعطه المائة الاخرى فأخذها جريز وقال
والله لي أحب الي مما اكتسبته في عمري ثم خرج فقال له الشعراء
ما وراءك يا جريز فقال ما يسوءكم خرجت من عند خليفة يعطى الفقراء
ويمنع الشعراء واني عنه لراض وأنشد يقول

رأيت رقي الشيطان لا يستغفره * وقد كان شيطان من الجن راقيا
* (خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان) *

قال أبو الفرج الاصبهاني في كتاب الاغانى قال يونس الكاتب خرجت
الى الشام في خلافة هشام بن عبد الملك ومعى جارية غانية وكنت
علمتها جميع ما تحتاج اليه وأنا أقدر فيها انها تساوى مائة ألف درهم
قال فلما قربت من الشام نزلت القافلة على غدير من الماء ونزلت ناحية
منه وأمرت من طعام كان معى وأخرجت ركوة كان فيها نبيذ فبينما أنا
كذلك واذا بقى حسن الوجه والمهيشة على فرس أشقر ومعه خادمان
فسلم على وقال أتعلم ضيفا قلت نعم فأخذت بركابه ونزل وقال أسقيا
من شراك فـ قيته فقال ان سهلت أن تغنى صونافتيته

حازت من الحسن ما لا حازه البشر * فلذلى في هواها الدمع والسهر
فطرب طربا شديدا واستعاده مرارا ثم قال قل بحاريتك فلتغن فامرتها
فغنت

جوية حار قلبي في محاسنها * فلا قضيب ولا شمس ولا قمر
فطرب طربا شديدا واستعاده مرارا ولم ينزل مقيما الى أن صلينا العشاء
ثم قال ما أقدمك علينا هذا البلد قلت أردت بيع جاريتي هذه قال فكف
أمت فيها من الثمن قلت ما أنضى به ديني وأصلح به حالي قال ثلاثون

ألقا قلت ما أحوجني الى فضل الله والمزيد فيه قال أيقنعك اربعون
 الفا قلت فيما قضاء ديني وأبقى صغرا ليد قال قد أخذناها بخمسين ألفا
 من الدراهم ولاك بعد ذلك كسوة ونفقة طرية لك وأشركك في حالي أبدا
 ما بقيت فقلت قد بدت بكمها قال أفتثق بي أن أوصل ذلك غدا اليك
 واجلها معي أو تكون عندك الى ان اجهل ذلك اليك غدا فجلني الشكر
 والحياء مع الخشية منه على ان قلت نعم قد وثقت بك فخذها بارك الله
 لك فيها فقال لا أحد غلاميه اجلها على دابتك وارتنف وراءها وامض
 بهائم ركب فرسه وودعني وانصرف فإدو الان غاب عني ساعة
 فعرفت موضع خطئي وغلغلي وقلت ماذا صنعت بنفسي أسلم جاري تو
 الى رجل لا أعرفه ولا أدري من هو وهب اني عرفته من أين الصلاة اليه
 فجلست متفكرا الى ان صليت الصبح ودخلوا بيحاجي دهمشق وجلست
 حائرا لا أدري ما أصنع وقرعتني الشمس وكثرت المقام فهممت
 بالدخول الى دهمشق ثم قلت ان دخلت لم أء من ان الرسول يأتي
 فلا يجديني فأكون قد جنيت على نفسي جناية ثانية فجلست في ظل
 حدار هناك فلما أضحى النهار وإذا أحد الغلامين الذين كانوا معه قد
 أقبل على فإما ذكر اني سررت بشيء أعظم من سرور ذلك الوقت بالنظر
 اليه فقال لي يا سيدهم أبعثنا عليك فلم أذكر له شيئا مما كان بي ثم قال لي
 أتعرف الرجل قلت لا قال هو الوليد بن سهل ولي العهد فسكت عند
 ذلك ثم قال قم فاركب واذا معه دابة فركبتها وسرنا الى ان وصلنا الى داره
 فدخلت اليه واذا بالجارية قد وثبتت وسابت على فقلت ما كان من أمرك
 قالت أنزلني هذه الحجر وأمر لي بما احتاج اليه فجلست عندها ساعة
 واذا به قد أتاني خادم له فقال لي قم فقم فإدخلي على سيده فاذا هو
 صاحب بالامس وهو جالس على سرير ففقال من تكون فقلت يونس

الكاتب قال مرحبا بك قد كنت والله اليك بضنين وكنت أسمع بخبرك
فكيف كان مبيتك في ليلة قلت ير أعزك الله قال ولعلك نذمت على
ما كان منك البارحة وقلت دفعت جاريتي الى رجل لا أعرفه ولا
أعرف اسمه ولا من اى البلاد هو فقلت معاذ الله ايها الامير ان آدم
ولوا هدته الى الامير كانت اول وأخس وما قدر هذه الجارية وقال
وايه لكنني نذمت على أخذها منك وقلت رجل غريب لا يعرفني وقد
دعته وسفقت عليه في استنجائي له هذا الجارية أقصد كرما كان بيننا
قلت نعم قال بعني هذه الجارية مسير ألف درهم قلت نعم قال مات
يا غلام المال فوضعه بين يدي فقال مات يا غلام ألف دينار فأتاني
بها ثم قال يا غلام اني خنتك ثمانية نارا أخرى فجاءها ثم قال هذا
عن ماريته فضمه إليك وهذه لى دينار لحسن ظنك بنا وهذه
للمسماية دينار لشفقة طريفة وما بدناعه لاهلك أرضت قلت رضيت
وقبلت . وقلت والله قدماءت . نى ويرى ثم قال والله اني لم أدخل
هنا وشعيت من غدها . انت فأمرها بالجلوس فجلست
فقال لها غي فانشدت . ولله

أيام من حار كل الحسن طراً * ويا حلو الشمال والدلال
جميع الحسن في عجم وعرب * وما في الكل مثلك يا غزالي
فاعطف يا أليح على محب * نوعة كأو بطيف من خيال
حلالي فيك ذلي واقتضاحي * وطاب لمقلتي سهر اليلالي
وما أناميك أول مستهام * فكم قبلي قتل من الرجال
رضيتك لي من الدنيا نصيبا * وانت أعز من روعي ومالي
فطرب طرباً شديداً وشكر حسن تأديبي لها وتعليي ايها ثم قال يا غلام
قدم له دابة بسرجهما وآلتها ركوبه وبغل الخمل حواشجه ونقله ثم قال

يا يونس اذا بلغك ان هذا الامر قد افضى الى فالحق بي فوالله لا ملأ ن
 لك يدك ولا علمين قدرك ولا غنيك ما بقيت قال فأخذت المال
 وانصرفت فلما أوصت الخلافة اليه سرت اليه فوفى والله بوعده وزاد
 في اكرامه وكتب معه على أسرحال وأسنى منزلة وقد اتسعت أحوالي
 وكثرت أموالى وصار لى من الضياع والاملاك ما يكفينى الى مماتى
 ويكفى من بعدى ولم أزل معه حتى قتل عفا الله عنه وقيل انه لمساج
 هشام فى أيام أبيه طاف بالبيت وجهد أن يصل الى الحجر الاسود ليستلمه
 فلم يقدر عليه لكثرة الزحام فنصب له منبر وجلس عليه ينظر الى الناس
 ووجه جماعة من أهل الشام فيبينها هو كذلك اذ قبل زين العابدين على
 بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم أجمعين وكان من
 أحسن الناس وجها وأطيبهم أروا فطاف بالبيت فلما انتهى الى الحجر
 الاسود تنحى له الناس حتى استلمه فقال رجل من أهل الشام من هذا
 الذى قد هابه الناس هذه الهية فقال هشام لا أعرفه مخافة أن يرغب
 فيه أهل الشام وكان أبو فراس الفرزدق حاضرا فقال أنا والله أعرفه
 فقال الشامى من هذا يا أبا فراس فقال

هذا الذى تعرف البطحاء وطئته * والبيت يعرفه والحل والحرم
 هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا لتقى النقي الطاهر العلم
 اذا رأته قريش قال فائلها * الى مكارم هذا ينتهى الكرم
 ينهى الى ذروة العز التى قصرت * عن نيلها عرب الاسلام والعجم
 يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم اذا ماجاء يستلم
 فى كفه خيزران ريحه عبق * من كف أروع فى عرينه شم
 يغضى حياء ويغضى من مهابته * فما يكلم الا حين يتشم
 ينشق نور الهدى من نور غرته * كالشمس ينبج عن اشراقها القم

مشتقة من رسول الله نبوته * طابت عناصره والقيم والشمس
 هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله * بجده أنبياء الله قد ختموا
 الله شرفه قدما وعظـمه * جرى بذلك له في لوحه القلم
 وليس قولك من هذا بضائره * العرب تعرف من أنكرت والجم
 كتايده غياث عم نفعوما * يستوكفان ولا يعرفهما عدم
 سهل الخليفة لا تحشى بواده * يزينه اثنان حسن الخلق والشم
 جمال انقال اقوام اذا اقترحوا * حلوا الشمائل يحلو عنده نعم
 ما قال لاقط الافى تشـده * لولا التشهد كانت لاه نعم
 عم البرية بالا حسان فانقشعت * عنها الغياهب والاملاق والعدم
 من معشرهم دين وبغضهم * كفر وقرهم منجى ومعتصم
 ان عداهل التقي كانوا أئمتهم * أوقيل من خير اهل الارض قيل هم
 لا يستطيع جوابا بعد غايتهم * ولا يدانيهم قوم وان كرموا
 هم الغيوث اذا ما ازمة أزمتم * والاسد أسد الشرى والباس محتم
 لا تنقص العسر بسطامن أكرمهم * سيان ذلك ان أثروا وان عدموا
 مقدم بعدد ذكر الله ذكرهم * فى كل بدء ومختوم به الكلم
 يأبى لهم أن يحل الذم ساحتهم * خلق كريم وأيد بالهـ داهضوا
 أى الخلائق ليست فى رفاههم * لاؤلية هـ ذا أوله نعم
 من يعرف الله يعرف أولوية ذاهـ * فالدين من بيت هـ ذانا له الاثم
 فلما سمع هشام هذه القصيدة غضب وجلس الفرزدق فأنفذه زين
 العابد بن رضى الله عنه اثني عشر ألف درهم مردها وقال مدحته الله
 لا لالعطاء والصلاة فقال زين العابد بن انا أهل بيت اذا وهبنا شيئا
 لا نعد فيه فقباها الفرزدق اهـ (وما يحكى) ان هشام بن عبد الملك
 كان ذات يوم فى صيده وقصه اذ نظر الى طاي يتبعه الكلاب فتبعه

واحالته الى خباء اعرابي يرعى غنما فقال هشام يا صبي دونك هذا الظبي
 فانني به فرفع الصبي رأسه اليه وقال له يا جاهد بل بقدر لا خيار لقد
 نظرت اني باستهغار وكنيتني باحتقار فكللامك كلام حبار وفعلك فعل
 حمار فقال هشام يا صبي ويلك ما تعرفني فقال قد عرفني بك سوء أدبك
 اذ بدأتني بكلامك قبل سلامك فقال له ويلك انا هشام بن عبد الملك
 وقال الاعرابي لا قرب الله ذارك ولا أحياء مزارك ما كنت كلامك
 وأقول الزامك فما استتم كلامه حتى أخذت به الجيوش من كل جانب
 كل منهم يقول الصلّام عليك يا أمير المؤمنين فقال لهم هشام اقصروا
 الكلام واحفظوا الغلام فقبضوا عليه وجمع هشام الى قصره
 وجلس في مجلسه وقال علي بالعلام البدوي فأتى به فلما رأى الغلام كثرة
 الغلمان والحجباب ولوزراء والسكران وأبناء الدوله وأرباب الصولة
 لم يكثر بهم ولم يسأل عنهم بل حمل ذقنه على صدره وجعل ينظر حيث
 تقع قدماءه الى ان وصل الى هشام ووقف بين يديه ونكس رأسه الى
 الارض وسكت الغلام وامتنع من الكلام فقال بعض الخدام
 يا كلب العرب منعك ان تسلم على أمير المؤمنين فافتت اليه مفضبا
 وقال يا برذعة الحمار منعني من ذلك طول الطريق ونهز الدرحة
 والتعويق فقال هشام قد تزايد به الغضب يا صبي امد حضرت في يوم
 حضر فيه أهلك وخاف فيه أملك وانصرم فيه عمرك فقال له الصبي
 والله يا هشام لئن كان في المدة تأخير ما صر في من كلامك لا قليل ولا
 كثير فقال له الخاحب بلغ من أمرك ومحلك يا أخس العرب ان تخاطب
 أمير المؤمنين كلمة بكلمة فقال له مسرعا إليك الخذل ولا ملك الويل
 والمجمل أما سمعت ما قال الله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن
 نفسها فاذا كان الله تعالى يجادل جد الافمن هشام حتى لا يخاطب

خطابا فعند ذلك قام هشام واغتاط غيظا شديدا وقال يا سياف على
 رأس هذا الغلام فبدأ كثر الكلام فيه لا يتخطر على الاوهام فقام
 لسياف واخذ الغلام وبركه في نطح الدم وسلس سيف النجمة على رأسه
 وقال يا أمير المؤمنين عبدك المذل بنفسه المتقلب في رمسه أضرب
 عنقه وأنا برئ من دمه قال نعم فاستأذنه ثانية فأذن له ثم استأذنه ثالثة
 فهم أن يأذن له فضحك الصبي حتى بدت نواجذه فازداد هشام منه
 قهقهة وقال يا صبي أظلمت معنوها ترى أنك مفارق الدنيا ومزائل الحياة
 وأنت تضحك هزوا بنفسك فقال يا أمير المؤمنين لئن كان في المدة
 تأخير ولم يكن في الاجل تقصير ما ضرني منك لا قليل ولا كثير ولكن
 أبيت أحضرت الساعة فاسمعها فقتلي لا يفوت فأكثر الصموت فقال
 هشام هات وأوجز هذا أول أوقاتك من الآخرة وآخر أوقاتك من
 الدنيا فأنشأ يقول هذه الايات

نبئت أن البار علق مرة * عصفور برساقه المقدور
 فتعلق المصفور في أطغاره * والبار منهمك عليه بطير
 فأتى لسان الحال يخبر فائلا * ها قد ظفرت وانشى مأسور
 مثلي فما يغني لمثلك جوعة * ولئن أكلت فأنى محفور
 فتبسم البار المذل بنفسه * طربا وأطلق ذلك المصفور

قال فتبسم هشام وقال وقرأتني من رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تافظ
 بهذا من أول وقت من أوقاته وطلب ما دون الخلافة لا عطيته يا خادم
 احش فاه درا وجوها وأحسن جائزته ودعه يمضي الى حال سبيله
 وقيل وفد عروة بن أدبية على هشام بن عبد الملك فشكا اليه فقره
 فقال ألسنت القائل

لقد علمت وما الاسراف من خلقي * ان الذي هو من رزقي سبأ تيني

أسعى اليه فيعيني تطلبه * وان فعدت أتاني ليسر يعينني
 وخرجت الآن من الحجاز إلى الشام في طلب الرزق فقال يا أمير المؤمنين
 وعظمت فأبلغت وخرج فركب ناقته وكرأى الحجاز راجعا فلما كان
 الليل نام هشام على فراشه فذكر عروة فقال رجل من قريش قال
 حكمة ووفد على ورديته خائبا فلما أصبح وجهه إليه بالني دينار وقرع
 عليه الرسول باب داره بالمدينة فاعطاه المال فقال أبلغ عني أمير
 المؤمنين السلام وقل له كيف رأيت قولي سمعت فأكديت فرجعت
 خائبا فجلست في داري فأتاني رزقي في منزلي انتهى

(بدء الدولة العباسية)

كان الفاتم بهذه الدولة أبو مسلم الخراساني وكان اسمه عبد الرحمن بن
 مسلم فن قوله هذه الايات

أدركت بالرم والكم أن ما عجز * عنه ملوك بني مروان اذ حادوا
 ما زلت أسعى هدى في دمارهم * والقوم في غفلة والناس قد رقدوا
 حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا * من نومة لم ينهها قبلهم أحدا
 ومن رعى غما في أرض مسبعة * ونام عنها نولي رعيها إلا سدا
 أولهم أبو عبد الله السفاح ذكر ابن الجوزي في كتاب الاذكياء عن
 خالد بن صفوان أنه دخل يوما على أبي العباس السفاح وليس عنده
 أحد فقال يا أمير المؤمنين اني والله ما رأت منذ قلدك الله خلافته
 أطلب أن أصير معك بمثل هذا الموقف في الخلوة فان رأى أمير المؤمنين
 أن يأمر بامساك الباب فعل حتى نفرغ فامر الحاجب بذلك فقال
 يا أمير المؤمنين اني فسكت في أمرك واستجلبت الفكر فبكلمة لم أراها
 له قدرة واتساع في الاستمتاع بالنساء ولا أضيق فيهن عيشا منك انك
 ملكك نفسك امرأة من نساء العالمين فاقصرت عليها فان مرضت

مرضت وان عابت غبت وان عزلت عزلت وحرمت يا أمير المؤمنين
على نفسك التلذذ بالنظر باستطراف الجوار ومعرفة اختلاف أحوالهن
والله لذ بماتشتهي منهن فان منهن الطويلة التي تشتهي لحسنها والبيضاء
التي تحب لرؤيتها والسمرء العساء والصفراء الذهبية ومولدات المدنة
والطائف واليمامة ذوات اللسنة العذبة والجواب الحاضر وبنات
سائر الملوك وما يشتهي من نضارتهم ونظافتهم وتحلل خالده لسانه
فأطنب في صفات ضروب الجوارى وشوقه اليهن فلما فرغ من كلامه
قال له السفاح ويحك ملائت مسامعي ما أشغل خاطري والله ما سلك
مسامعي كلام أحسن من هذا فأعد على كلامك فقد وقع مني موقعا
فأعاد عليه خالد كلامه بأحسن مما ابتدأ به ثم قال له انصرف فانصرف
وبقي أبو العباس مفكرا فدخلت عليه أم سلمة زوجته وكان قد حلف
لها أنه لا يتزوج عليم اولا يتخذ عليم اسرية ووفي لها فلما رآته على ذلك
الحالة قالت له اني لانكرك يا أمير المؤمنين فهل حدث شيء تذكره
أو أناك خبر ارتنت له قال لا فلم تزل به حتى أخبرها بمقالة خالد فقالت
له وما قلت لابن الفاعلة فقال لها أي صهي وتشتيه فخرجت الى موالها
وأمرتهم بضرب خالد قال خالد فخرجت من الدار مسرورا بما ألقيت الى
أمير المؤمنين ولم أشك في الصلة فينما أنا واقف اذا قبلوا يسألوا عني
فحققت الجائزة فقلت لهم ها أنا واقف فاستبق الى أحدهم بخشبة
فغمزت برذوني للحقني وضرب كفل البرذون وركضت فقتهم
واستقيت في منزلي أياما ووقع في قلبي أني أمنت من أم سلمة فينما أنا
ذات يوم جالس في المنزل فلم أشعر إلا بقوم قد هجموا علي فقالوا أجب
أمير المؤمنين فسبق الى قلبي أنه الموت فقلت أنا لله وأنا اليه راجعون
لم أردم شيخ أضيع من دمي فركبت الى دار أمير المؤمنين فأصمته جالسا

ولحظت في المجلس يتعالىه ستور رفاق وسمعت حسا خفيا خلف
الستر فأجلسني ثم قال يا خالد أنت وصفت لأمير المؤمنين صفة فاعدها
فقلت نعم يا أمير المؤمنين أعلمك أن العرب ما اشتقت اسم الضربين
الامن الضر وأن أحدا لم يكن من النساء أكثر من واحدة الا كان
في ضر وتنغيص فقال السفاح لم يكن هذا من كلامك أولا قلت بلى
يا أمير المؤمنين وأخبرت أن الثلاث من النساء يدخلن على الرجل
البؤس وتشيب الرأس فقال برئت من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان كنت سمعت هذا منك أولا أو مر في حديثك قلت بلى
يا أمير المؤمنين وأخبرت أن الأربع من النساء شر مجتمع لصاحبهن
يشينه ويهرمنه قال والله ما سمعت هذا منك أولا قلت بلى يا أمير
المؤمنين وأخبرت أن أبكار الاماء رجال الا أنه ليست لهن خصاء
قال أمير المؤمنين أفكذبني قلت أفقتلني قال خالد فسمعت ضحكا
خلف الستر ثم قلت وأخبرت أن عندك رجالة قريش وأنت نطمع
بمينيك الى النساء والمحوارى فقبل لي من وراء الستر صدقت والله
يا عماء هذا حديثك ولكم غير حديثك ونطق بما في خاطره عن لسانك
فقال السفاح ما بك فانك الله قال خالد فانسكت وخرجت فبعثت
الى أم سلمة بعشرة آلاف درهم وبرذونا وتخت ثياب انتهى وروى
أن أبا دلامة الشاعر كان واقفا بين يدي السفاح في بعض الايام فقال
سلفي حاجتك فقال له أودلامة أريد كلب صيد فقال أعطوه اياه
فقال ودابة أتصيد عليها فقال أعطوه دابة فقال وغلاما يعقود الكلب
والصيد فقال أعطوه غلاما فقال وجارية تصلح لسا الصيد وتطعمنا
منه فقال أعطوه جارية فقال هؤلاء يا أمير المؤمنين عيال ولا بد
لهم من دار يسكنونها فقال أعطوه دارا تجتمعهم ثم قال وان تكس لهم

الدار فمن أين يعيشون قال قد أقطعك عشرة ضياع غامرة من فيافي
 بني اسرائيل قال وما معنى الغامرة يا أمير المؤمنين قال ما لا نبات فيها
 قال قد أقطعك أنا يا أمير المؤمنين مائة ضيعة غامرة من فيافي بني سعد
 فضحك منه وقال اعطوها كلها غامرة قال الحافظ فأنظر الى حدقه
 بالمسألة ولطفه فيها كيف ابتدأ بكلمة صيد فسهل القضية وجعل يأتي
 بمسألة مسألة على ترتيب وفكاهة حتى نال ما سأله ولوسأل ذلك بديهة
 لما وصل اليه فبارك الله فيه انتهى وروى عن الحسن بن الحصين قال لما
 أفضت الخلافة الى بني العباس كان من جملة من اخفى ابراهيم بن سليمان
 ابن عبد الملك فلم ينزل محتفيا الى أن أضاء وأضجعه الاختفاء فأخذه أمان
 من السفاح وكان ابراهيم رجلا أديبا بليغا حسن المحاضرة فمخطي عند
 السفاح فقال له يوما لقد مكثت زمانا طويلا محتفيا فمحدثني بأعجب
 ما رأيت في اختفائك فانها كانت أيام تكدير فقال يا أمير المؤمنين
 وهل سمع بأعجب من حديثي لقد كنت محتفيا في منزل أنظر منه الى
 البطحاء فبينما أنا على مثل ذلك واذا باعلام سود قد خرجت من الكوفة
 تريد الحيرة فوقع في ذهني أنها خرجت تطلبني فخرجت متنكرا حتى
 أتيت الكوفة من غير الطريق وأنا والله متعير ولا أعرف بها أحدا واذا
 أنا بباب كبير في رحبة منيعة فدخلت تلك الرحبة فوقفت قريبا من
 الدار واذا برجل حسن الهيئة وهو راكب فرسا ومعه جماعة من
 أصحابه وغلمانهم فدخل الرحبة فرآني واقفا مرتابا فقال لي ألك حاجة
 قلت غريب خائف من القتل قال ادخل فدخلت الى حجرة في داره فقال
 هذه لك وهيا لي ما أحتاج اليه من فرش وآنية ولباس وطعام وشراب
 وأقيمت عنده والله ما سألتني قط من أنا ولا من أحوال وهو في أثناء
 ذلك يركب في كل يوم ويعود متعوبا متأسفا كأنه يطلب شيئا فاته

ولم يجده فقلت له يوما أراك تركب في كل يوم وتعود متعوباً متأسفاً كأنك
تطلب شيئاً فأتك فقال لي إن إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك قتل أبي
وقد بلغني أنه مختف من السفاح وأنا أطلبه لعل أجده أخذ بشاري منه
فتعجبت والله يا أمير المؤمنين من هربي وشؤم بخي الذي ساقني إلى
منزل رجل يريد قتلي ويطلب ناره مني فككرهت الحياة واستعجلت
الموت لما نالني من الشدة فسألت الرجل عن اسم أبيه وعن سبب قتله
فعرفني الخبر فوجدته صحيحاً فقلت يا هذا قد وجب علي حقل وإن من
حقل أن أدلك على قاتل أبيك وأقرب عليك الخطوة وأسهل عليك
مأبداً فقال أعلم أين هو قلت نعم فقال أين هو فقلت والله هو أنا
فأخذ بشارك مني فقال لي أظن أن الاختفاء مضحك فككرهت الحياة
قلت نعم والله أنا قتله يوم كذا وكذا فلما علم صدقي تغير لونه واجرت
عيناه وأطرق ساعة ثم رفع رأسه إلى وقال لي أما أبي سيلقاك غدًا يوم
القيامة فبصا كك عند من لا تخفى عليه خافية وأما أنا فلست بحقرا
ذمتي ولا مضيعاً نزيلي ولكن أخرج غني فاني لا آمن نفسي عليك بعد
هذا اليوم ثم وثب يا أمير المؤمنين إلى صندوق فأخرج منه صرة فيها
خمسمائة دينار وقال خذ هذه واستعن بها على اختفائك فككرهت
أخذها وخرجت من عنده وهو أكرم رجل رأيت فبقي السفاح يهتز
طرباً ويتعجب وعن الهيثم بن عدي قال كان أبو العباس السفاح تعجبه
المسامرة ومنازعة الرجال فحضرت ذات ليلة في مسامرة إبراهيم بن
محزمة السكندی وناس من بني الحارث بن كعب وهم أخواله وخالد
ابن صفوان بن إبراهيم التميمي فحاضوا في الحديث وتذاكروا مضروا اليمن
فقال إبراهيم يا أمير المؤمنين إن اليمن هم العرب الذين دانت لهم الدنيا
كانت لهم القرى ولم يزلوا ملوكاً أرباباً وورثوا ذلك كابراعن كابرأولا

عن آخر منهم النعمانيات والمنذريات والقابوسيات والتبابعة ومنهم
من رحته الزبر ومنهم غسيل الملائكة ومنهم من اهتلموته العرش
ومنهم من كالمه الدثب ومنهم الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا وليس
شيء له خطر الا واليهم ينسب من فرس رافع أو سيف فاطع أو درع
حصينة أو حلة مصونة أو درة مكنونة أن سئلوا أعطوا وإن ساموا أبوا
وان نزل بهم ضيف قروا لا يبلغهم مكابروا لا ينالهم مفاخرهم العرب
العرباء وغيرهم المتعربة قال أبو العباس السفاح ما أظن التميمي يرضى
بقولك ثم قال ما تقول يا خالد قال إن أذنت في الكلام تكلمت قال
أذنت لك في الكلام قد تكلم ولا تهاب أحد فقال أخطأ يا أمير
المؤمنين المقتم بعير علم والباطق بغير صواب فكيف يكون ما قال
وان القوم ليست لهم ألسن فصيحة ولا لغة صحيحة ولا حجة رجيحة
نزل بها كتاب ولا جاءت بها سنة وهم منا على منزلتين إن حادوا عن
قصدنا أكلوا وان جاوزوا حكمنا قتلوا يفخرون علينا بالنعمانيات
والمنذريات وغير ذلك مما سنأتى عليه ونفخر عليهم بخير الانام وأكرم
الكرام محمد عليه أفضل الصلاة والسلام والله المنة علينا وعليهم
لقد كانوا أتباعه فيه عز واوله أكرموا فإنا النبي صلى الله عليه وسلم
ومنا الخليفة المرتضى ولنا البيت المعمور والمسعى وزمزم والمقام
والمنبر والركن والحطيم والمشاعر والحجابة والبطحاء مع ما لا يخفى
من الماسم ولا يدرك من المفاخر فليس يعدل بنا عادل ولا يبلغ
فضلا قول قائل ومنا الصديق والفاروق والوصي وأسد الله وسيد
الشهداء وذو الجناحين وسيف الله عرفوا الله وأنا هم اليقين في راحنا
راحمنا ومن عادانا اصطلمنا ثم التفت الى ابراهيم فقال أعالم أنت بلغة
قريش قال نعم قال فما اسم العين قال الجمجمة قال فما اسم السن قال الميذن

قال فما اسم الاذن قال الصنارة قال فما اسم الاصابع قال الشنابر قال فما اسم اللحية قال الذب قال فما اسم الذئب قال الكنع قال أفنؤمن أنت بكتاب الله قال نعم قال فان الله تعالى يقول انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وقال تعالى بلسان عربي مبين وقال وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه فمن العرب والقرآن بلساننا نزل ألم تر ان الله قال العين بالعين ولم يقل الجمجمة بالجمجمة وقال السن بالسن ولم يقل الميذن بالميذن وقال الاذن بالاذن ولم يقل الصنارة بالصنارة وقال يجب انون أصابعهم في آذانهم ولم يقل شنابرهم وقال لا تأخذ بلعتي ولا برأسي ولم يقل بذبي وقال تعالى يأكله الذئب ولم يقل يأكله الكنع ثم قال أسألك عن أربع ان أنت أقررت بهن قهرت وان بحدتهن كفرت قال وما هن قال الرسول منا أو منكم قال منكم قال فالقرآن نزل علينا أو عليكم قال عليكم قال فالييت الحرام لنا أو لكم قال لكم قال فالخلافة فينا أو فيكم قال فيكم قال خالد فما كان بعد هذه الأربع فهو لكم

(خلافة أبي جعفر المنصور)

قيل انه كان يحفظ الشعر من مرة وله مملوك يحفظه من مرتين وكانت له جارية تحفظه من ثلاث مرات وكان يجيلا جذا حتى انه كان يلعب بالدوانيقي لانه كان يحاسب على الدوائق فكان اذا جاءه شاعر بقصيدة قال له ان كانت مازوقة بأن يكون أحد يحفظها أو أحد أنشأها أي بأن كان أتى بها أحد قبلك فلا تعطيك لها جائزة وان لم يكن أحد يحفظها تعطك زينة ما هي مكتوبة فيه فيقرأ الشاعر القصيدة فيحفظها الخليفة من أول مرة ولو كانت ألف بيت ويقول للشاعر اسمعته سامني وينسدها بكما لها ثم يقول له وهذا المملوك يحفظها وقد سمعها المملوك مرتين مرة من الشاعر ومرة من الخليفة فيقرأها ثم يقول الخليفة وهذه

المجارية التي خلف الستارة تحفظها أيضا من وقد سمعتها المجارية ثلاث
مرات فتقرأها بجر وفها فيذهب الشاعر بغير شيء قال الراوى وكان
الاصمعي من جلسائه وندمائه فنهظم أيسا تاصعبة وكتبها على قطعة
عمود من رخام ولفها في عباءة وجعلها على ظهر بعير وغير حليته في صفة
اعرابي غريب وضرب له ثامنا ولم يبين منه غير عينيه وجاء الى الخليفة
وقال اني امتدحت أمير المؤمنين بقصيدة فقال يا أبا العرب ان كانت
لغيرك لانهطيك عليها جائزة والانعطيك زينة ما هي مكتوبة عليه
فأنشد الاصمعي هذه القصيدة

صوت صغير البلبلي * هيج قلب التمل
الماء والزهر وما * مع زهر لحظ المقل
وأنت يا سيد دلى * وسيد دى ومولال
وكم وكم تيمنى * غزير عقيقلى
قطفت من وجنته * بالاثم ورد الخجل
وقلت بس بسببى * فلم يجد بالقبلى
وقال لا لا للا * وقد غدا مهرولى
والخود مالت طربا * من فعل هذا الرجل
وولواست ولولة * ولى ولى يا ويللى
فقلت لا تولولى * وبينى اللؤلؤلى
لما رآته أتمها * يريد غير القبلى
وبعدها ما يكتفى * الأبطيب الوصللى
قالت له حين كذا * انهض وجد بالنقل
وقية سقونى * قهيموة كالعسللى
ثممتها فى أنقى * أركى من القرنقل

ومن صنيعه وأجازه على عادته ثم قال يا أمير المؤمنين ان الشعراء فقراء
 وأصحاب عيال وأنت تمنعهم العطاء بشدة فهمك وفهم هذا المملوك وهذه
 الجارية فاذا أعطيتهم ما تيسر ليستعينوا به على عيالهم لم يضرك انتهى
 والله أعلم * وذكر الغزالي وابن بليان وغيرهما ان أبا جعفر المنصور
 حج ونزل في دار الندوة وكان يخرج بهرافة يطوف بالبيت فخرج ذات
 ليلة سحرا فبنيها هو يطوف اذ سمع قائلا يقول اللهم اني أشكوك اليك
 ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع
 فهور المنصور في مشيته حتى ملا سمعه ثم رجع الى دار الندوة وقال
 لصاحب شرطته ان بالبيت رجلا يطوف فأتني به فخرج صاحب
 الشرطة فوجد رجلا عند الركن اليماني فقال أجب أمير المؤمنين فلما
 دخل عليه قال ما الذي سمعتك أتفتشك والى الله من ظهور البغي
 والفساد في الارض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع فوالله لقد
 حسوت مسامعي ما أمرضني فقال له يا أمير المؤمنين ان الذي دخله الطمع
 حتى حال بين الحق وأهله وامتلأت بلاد الله بذلك بغيا وفسادا أنت
 هو فقال له المنصور ويحك كيف يدخلني الطمع والصغراء والبيضاء
 بسابي وملك الارض في قبضتي فقال الرجل سبحان الله يا أمير المؤمنين
 وهل داخل أحد من الطمع ما دخلك استرعاك الله أمور المؤمنين
 وأموالهم فأهملت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم واتخذت بينك وبين
 رعيتك حجابا من الجبس والأجر وحببة معهم السلاح وأمرت أن لا يدخل
 عليك الا فلان وفلان نفرا استخلصتهم لنفسك وأمرتهم على رعيتك ولم
 تأمر يا صال المظلوم ولا الجائع ولا العارى ولا احدا الا وله في هذا المال
 حق فلما رأك هؤلاء الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك
 تجمع الاموال ولا تفسيها قالوا هذا خان الله ورسوله فمالنا لنخونه

فأجمعوا على أن لا يصل اليك من أموال الناس الا ما أرادوا فصار
 هؤلاء شركاءك في سلطانك وأنت غافل عنهم فاذا جاء المظلوم الى بابك
 وجدك أوقفت رجلا ينظر في مظالم الناس فان كان الظالم من بطانتك
 علل صاحب المظالم بالمظلوم وسوف من وقت الى وقت فاذا اجتهد
 وظهرت أنت صرخ بين يديك فضربه أعوانك ضربا شديدا ليكون
 نكالا لغيره وأنت ترى ذلك ولا تتكرو ولقد كانت الخلفاء قبلك من بني
 أمية اذا أتت اليهم الظلامة أزيلت في الحال ولقد كنت أسأفر
 الصين يا أمير المؤمنين فقدمت مرة فوجدت الملك الذي به قد قد سمع به
 فبكى فقال له وزراؤه ما يبكيك أيها الملك لا أبكي الله عينك الا من
 خشيته فقال والله ما بكيت لمصيبة نزلت وانما أبكي لمظلوم يصرخ
 بالبواب فلا اسمعه ثم قال ان كان معي ذهب فان بصري لم يذهب نادوا
 في الناس لا يلبس أحد ثوبا أحمر الا مظلوم وكان يركب الفيل طرفي النهار
 ويدور في البلد لعله يجد أحدا لابس ثوبا أحمر فيعلم انه مظلوم فينصفه
 هذا يا أمير المؤمنين رجل مشرك غلبت عليه رأفته على شيخ نفسه
 بالمشركين وأنت مؤمن بالله ورسوله وابن عم رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يا أمير المؤمنين لا تجمع الأموال الا لاحدى ثلاث ان قلت انما
 أجمع المال لمصالح الملك فقد أراك الله عبرة في الملوك والقرون من قبلك
 ما أغنى عنهم ما أعدوا من الأموال والرجال والكرام حين أراد الله بهم
 ما أرادوا ان قلت انما أجمع للولد فقد أراك الله عبرة فيمن تقدم من جمع
 المال للولد فلم يغن ذلك عنهم شيئا بل ربما مات فقيرا ذليلا حقيرا وان
 قلت انما أجمعه لغاية هي أجسم من الغاية التي أنت فيها والله ما فوق
 منزلتك الا منزلة لا تدرك الا بالعمل الصالح فبكى المنصور بكاء شديدا ثم
 قال وكيف أعمل وقد فرت مني العباد ولم تقربنى والصالحون

ولم يدخلوا على فقال يا أمير المؤمنين افتح الباب وسهل الحجاب وانتصر
 للمظلوم وخذ المال مما حل وطاب وأقسمه بالحق والعدل وأنا من
 من هرب أن يعود إليك فقال المنصور نفعل أن شاء الله تعالى وجاء
 المؤذن فأذن للصلاة فقام وصلى فلما قضى صلاته طلب الرجل فلم يجده
 فقال لصاحب الشرطة على بالرجل الساعة فخرج يتطلبه فوجده عند
 الركن اليماني فقال له أجب أمير المؤمنين فقال ليس إلى ذلك من
 سبيل فقال اذن يضرب عنقي فقال ولا إلى ضرب رقبتك من سبيل ثم
 أخرج من مزود كان معه زهاء مائة كتاب فقال له خذها فان فيه دعاء الفرج من
 دعا به صباها ومات من يومه مات شهيدا ومن دعا به مساء ومات من
 ليلته مات شهيدا وذكر له فضلا عظيما وثرايا جريلا فأخذه صاحب
 الشرطة وأتى به المنصور فلما رآه قال له ويلك أو تحسن السهر قال لا والله
 يا أمير المؤمنين ثم قص عليه القصة فأمر المنصور بنقله وأمر له بألف دينار
 وهو هذا اللهم كما عفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على
 العظماء وعلمك بما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس
 الصدور كالعلاية عندك وعلاية القول كالسر في علمك وانقاد كل شيء
 لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة
 كله بيدك اجعل لي من كل هم وغم أصبحت أو أصبحت فيه فرجا
 ومخرجا اللهم ان عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على
 قبيح علي أطمعني ان أسألك ما لا أستوجبه مما قصرت فيه أدعوك أمنا
 وأسألك مستأنسا فانك أنت المحسن إلى وأنا المسيء إلى نفسي فيما بيني
 وبينك تتودد إلى بالنعم وابتغض إليك بالمعاصي ولكن الثقة بك جعلتني على
 الجراءة عليك فجد بفضلك واحسانك علي أنك أنت الرؤوف الرحيم انتهى
 من حياة الحيوان وحدث عبد الله البلتاجي قال دخل ابن أبي ليلى على

أبي جعفر المنصور وكان ابن أبي إيلي قاضيا فقال أبو جعفر ان القاضي
 قد برد عليه من طرائف الناس ونواديرهم أمور فان كان ورد عليك شيء
 فخذ فيه فقد طال علي يومى قال والله يا أمير المؤمنين قد ورد علي منذ
 ثلاثة أيام أمر ما ورد علي مثله أتني عجوز تكاد أن تسال الأرض بوجهها
 أو تسقط من انحنائها فقالت أنا بالله وبالقاضي أن تأخذني بحقي وأن
 تعينني على خصمي قلت ومن خصمك قالت ابنة أخ لي فدعوت بها
 فجاءت امرأة ضخمة ممثلة شعها فجلست منهرة فذهبت العجوز تتكلم
 فقالت الشابة أصليح الله القاضي مرها فلتسكت حتى أنكم بمحجتي وحقها
 فان لحنت بشيء فلترد علي فان أذنت لي أسفرت فقالت العجوز ان
 أسفرت قضيت لها فقلت لها أسفري فأسفرت عن وجهه والله ما ظننت
 انه يكون مثله الا في الجنة فقالت أصليح الله القاضي هذه عمتي مات
 والدي وتركني يتيمة في حجرها فربني فأحسن التريبة حتى اذا بلغت
 مبلغ النساء قالت لي يا بنت اخي هل لك في التزويج قلت ما أكره ذلك
 يا عمة قالت العجوز نعم قالت فخطبني وجوه أهل الكوفة فلم ترض الا
 رجلا صيرفيا فتزوجني فكنا كأننا ريحانة ان ما يظن ان الله خلق
 غيري وما أظن ان الله خلق غيره يغدو الى سوقه ويروح على بمارزقه
 الله تعالى فلما رأته العمة موقعه مني وموقعي منه حسد تناعى ذلك
 وكانت لها ابنة فسروفتها وحياتها لدخول زوجي فوقعت عينه عليها
 فقال يا عمة هل لك أن تزوجيني ابتك قالت نعم بشرط فقال لها وما
 الشرط قالت تصير أمر ابنة أخي الى قال قد صيرت أمرها اليك * قالت
 فاني قد طلقمت ابنة ابنة وزوجت ابنة لها من زوجي فكان يغدو عليها
 ويروح فقلت لها يا عمتي أنا ذنبي لي أن أنقل عنك قالت نعم فانتقلت عنها
 وكان لعمتي زوج غائب فقدم فلما توسط منزلها قال مالي لا أرى ربيتنا

قالت طلقها زوجها فالتفت عنا فقال ان لها من الحق علينا ان
 نعزها بمصيتها فلما بلغني بحبيته الى تهيات له وتشوفت فلما دخل على
 عزاني بمصيتي ثم قال ان فيك بقية من الشباب فهل لك ان أتزوج بك
 قلت ما أكره ذلك ولكن على شرط قال لي وما الشرط قلت تصير أمر
 عتي بيدي قال فاني قد فعلت وصيرت أمرها بيدك قلت فاني قد طلقته
 ثلاثا بته قالت فقدم على بثقله من الغدومعه ستة آلاف درهم فأقام
 عندي ما أقام ثم انه اعتل وتوفي فلما انقضت عدتي جاء زوجي الاول
 الصير في عزني بمصيتي فلما بلغني بحبيته تهيات وتشوفت له فلما دخل
 على قال لي يا لئلا انك لتعلمين انك كنت أعز الناس على وأحبهم الى
 وقد حلت المراجعة فهل لك في ذلك قلت ما أكره ذلك ولكن اجعل
 أمر انة عتي بيدي قال فاني قد فعلت قلت فاني قد طلقته ثلاثا بته
 أصلح الله القاضي فرجعت الى زوجي فما استعداءى عليها فقالت
 العجوز أنا فعلت مرة وفعلت هي مرة بعد أخرى فقالت ان الله لم يؤت
 في هذا وقتا وقد قال ومن عاقب بثل ما عوقب به ثم بنى عليه لينصره
 الله فواحدة بواحدة والبادى أظلم فقال القاضي ان زوج العمه
 لم يكن له أن يتزوج ابنة أخيها وهي في عذته فأرادت العجوز أن تتولى
 التفريق بينه وبينها استدفاء لها ومجازاة لها على فعلها فقلت لها قد
 فرقت بينكما قومي الى منزلكى انتهى * وذكر المصور يوم
 في مجلسه زوال ملك بني أمية وما جرى عليهم وانهم عاشوا سعداء
 وما توافقوا فقال له اسماعيل بن علي الهاشمي ان عبد الله بن مروان
 ابن محمد في حبسك وله قصة مع ملك النوبة فأحضره واسأله عنها
 فأحضره فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال
 المنصور رد السلام أمن ولم تسمع نفسي بذلك ولكن اعد فقده فقال

ما قصتكم مع ملك النوبة فقال يا أمير المؤمنين كنت ولي عهد أبي فلما طلبتنا دعوت عشرة من غلماننا ودفعت لكل واحد ألف دينار وأوسقت خمس بغال وشددت في وسطى جوهرها له قيمة عظيمة وخرجت هاربا إلى بلاد النوبة فلما قربنا بعثت غلاما إلى فقلت امض إلى هذا الملك وأقره السلام وخذ لنا منه الأمان واستغ لنا ميرة فضى وأعطنا حتى أسأت به الظن ثم أقبل ومعه رجل فدخل وسلم وقال الملك بقرتك السلام ويقول لك من أنت وما جاء بك إلى بلادى أمحارب أم راغب في ديني أم مستجير بي * فقلت له رد على الملك وقل له ما أنا بمحارب ولا راغب في دينك ولا ممن يتنغي بدينه بدلا بل مستجير به فذهب الرسول ورجع إلى وقال الملك يقول لك اني أجيء إليك غدا فلا تحدث نفسك حدثا ولا شيئا من الميرة * فقلت لأصحابي افرشوا الفرش ففرش لي وجلست من الغد أرقبه واذا هو قد أقبل وعليه بردان قد اتزربأحدهما وارتنى بالآخر حافي الرجلين ومعه عشرة معهم الحراب ثلاثة يقدمونه وسبعة خلفه فاستصغرت أمره وسولت لي نفسي قتله * فلما قرب اذا سواد عظيم قلت ما هذا قالوا الخيل فوافي بها عشرة آلاف هنان ووافي الخيل عند دخوله فأخذ قوا بنا فلما دخل جلس على الأرض * قال فقلت لترجانه لم لم يقعد على الموضع الذي وطئ له فسأله فقال قل له انه ملك وكل ملك حقه أن يكون متواضعا لله وعظيما اذ رفعه الله على عباده ثم تكث بأصبعه الأرض طويلا ورفع رأسه * وقال قل له كيف سلبتكم هذا الملك فأخذ منكم وأنتم أقرب الناس إلى نبيكم * فقلت جاء من هو أقرب منا قرابة إليه فسلبنا وغلبنا وطردها فخرجت إليك مستجير ايا الله ثم بك * قال فلم كنتم تشربون الخمر وهو محرم عليكم * قلت فعل ذلك عبيد

وأعاجم دخلوا في ديننا وفي ملكنا من غير رأينا * قال فلم تركبون
 على الديساج وعلى خيولكم سرورج الذهب والفضة وهي محرمة عليكم
 قلت فعل ذلك عبيد وأعاجم دخلوا في ديننا وفي ملكنا بغير رأينا قال
 فلم كنتم اذا خرجتم الى الصيد مررتهم على القرى وكافتم اهلها مالا طاعة
 لهم به بالضرب والاهانة ولا يفتنعكم ذلك حتى تحطموا رزقهم في طلب
 دراج قيمته نصف درهم والتكليف والعناء محرم عليكم قلت فعل ذلك
 عبيد وغلان وأتباع قال لا ولكنكم استغلتم ما حرم الله عليكم واتيتم
 ماتهاكم الله عنه فسلبكم الله العز والبسكم الذل ونصر أعداءكم
 عليكم والله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها بعد واني أخاف أن ينزل لك العقوبة
 اذا كنت من الظلمة فشملتني معك فان العقوبة اذا نزلت شملت فخرج
 بعد ثلاث فان وجدتك بعدها أخذت مامعك وقتلتك ومن معك
 ثم وثب قائما وخرج واقمت ثلاثا ورجعت الى مصر فأخذني بملك
 وبعث بي اليك وها أنا ذا والموت أحب الى من الحياة فرف له المصور
 وهم باطلاقة فقال له اسماعيل بن علي في عنقي تبعة قال فما ترى
 قال ينزل في دار من دورنا ويمر عليه ما يمر على مثله ففعل به ذلك
 انتهى وخطب المنصور يوم بالشام فقال لها الناس يذبحي لسكم أن
 تحمدوا الله تعالى على ما وهبكم الله في فاني منذ وليتكم صرف الله عنكم
 الطاعون الذي كان يبيحيتكم فقال له أعرابي ان الله أكرم من أن يجمع
 علينا أنت والطاعون ودخل ابن هرمة على المنصور وامتدحه فقال
 له المنصور سل حاجتك قال تكتب الى عاملك بالمدينة انه اذا وجدني
 سكران لا يخذني فقال له المنصور هذا حد لا سبيل الى تركه فقال مالي
 حاجة غيرها فقال لكتابه اكتب الى عاملنا بالمدينة من أمانك بان
 هرمة وهو سكران فاجلده ثمانين واجلده الذي جاء به مائة فكان

لشرطة يملكون عليه وهو سكران ويقولون من يشتري ثمانين بمائة
 فيملكون عليه ويتركونه انتهى وحدث أحد بن موسى قال ما رأيت
 رجلاً أثبت جنساً ولا أحسن معرفة ولا أظهر رجعة من رجل وقع فيه
 عند المنصور بأن عنده أموالاً لبنى أمية فأمر المنصور حاجبه الربيع أن
 يحضره فلما حضر بين يديه قال المنصور رفع الينا أن عندك ودائع
 وأموالاً وسلاحاً لبنى أمية فأخرجها لنا لتجمع ذلك إلى بيت المال
 فقال الرجل يا أمير المؤمنين أنت وارث لبنى أمية قال لا قال فلم تسأل
 إذن عما في يدي من أموال بنى أمية ولست بوارث لهم ولا وصي فأمر
 المنصور ساعة ثم قال ان بنى أمية ظلموا الناس وغصبوا أموال المسلمين
 فقال الرجل يحتاج أمير المؤمنين إلى بيعة يقبلها الحاكم تشهد أن المال
 الذي لبنى أمية هو الذي في يدي وأنه هو الذي غصبوه من الناس وإن
 أمير المؤمنين يعلم أن بنى أمية كانت لهم أموال لا أنفسهم غير أموال
 المسلمين التي اغتصبوها على ما يتهم أمير المؤمنين قال فسكت المنصور
 ساعة ثم قال يا ربيع صدق الرجل ما يجب لنا على الرجل شيء ثم قال
 للرجل ألك حاجة قال نعم قال ما هي قال أن تجمع بيني وبين من سعى في
 اليك فوالله يا أمير المؤمنين ما لبنى أمية عندي مال ولا سلاح وإنما
 أحضرت بين يديك وعلمت ما أنت فيه من العدل والانصاف واتباع
 الحق واجتناب الظالم فأيتنت أن الكلام الذي صدر مني هو أنجح
 وأصلح لما سألتني عنه فقال المنصور يا ربيع اجمع بينه وبين الذي
 سعى به فجمع بينهما فقال يا أمير المؤمنين هذا أخذني خمسمائة دينار
 وهرب ولى عليه مسطور شرعى فسأل المنصور الرجل فأقر بالمال قال
 فما حالك على السعي كاذباً قال أردت قتله ليخلص لي المال فقال الرجل
 قد وهبته له يا أمير المؤمنين لأجل وقوفي بين يديك وحضوري مجلسك

وأوهبته خمسمائة أخرى لِكلامك لى فاستحسن المنصور فعله وأكرمه
ورده الى بلده مكرما وكان المنصور كل وقت يقول ما رأيت مثل هذا
الشيخ قط ولا أثبت من جنايه ولا من حجي مثله ولا رأيت مثل حمله
ومروءته انتهى * (خلافة المهدي) *

اسمه محمد بن المنصور قال حدثنا داود بن رشيد قال قلت للمهيم بن علي
بأى شئ استحق سعيد بن عبد الرحمن ان ولاء المهدي القضاء وأنزله منه
تلك المنزلة الرفيعة فقال ان خبره باتصاله بالمهدي طريف فان أحيت
شرحته لك قلت والله قد أحيت قال اعلم أنه وافى الربيع الحاجب
حين أفضت الخلافة الى المهدي وقال له استأذن لى على أمير المؤمنين
فقال له من أنت وما حاجتك قال أنا رجل قد رأيت لأمير المؤمنين
أعز الله رؤيا سالحة وقد أحيت أن تذكرنى له فقال الربيع يا هذا
ان القوم لا يصدقون فيما يروونه لانفسهم فكيف بما يراه لهم غيرهم
فاخل بحيلة غير هذه فقال له ان لم تخبره بما كانى سألت من يوصلنى
اليه واخبره انى سألتك الاذن لى عليه ولم تفعل فدخل الربيع على
المهدي فقال له يا أمير المؤمنين انكم قد أطمعتم الناس فى أنفسكم فقد
احتملوا عليكم بكل ضرب فقال له المهدي هكذا تصنع الملوك فماذا قال
رجل بالباب يزعم أنه رأى لأمير المؤمنين أيد الله رؤيا حسنة وقد
أحب أن يقصها عليك فقال المهدي يا ربيع انى والله أرى الرؤيا
لنفسى فلا تصح لى فكيف يمكن ادعاؤها من لعله قد افتمعها قال والله
قلت له مثل هذا فلم يقبل قال هات الرجل قال فأدخل عليه سعيد
وكان له رؤيا وجمال ومروءة ظاهرة ولحية عظيمة ولسان طلق فقال له
ما رأيت بارك الله فيك قال رأيت يا أمير المؤمنين آتيا أتانى فى منامى
فقال اخبر أمير المؤمنين انه يعيش ثلاثين سنة فى الخلافة وآية ذلك

أنه يرى في ليلته الآتية في منامه كأنه يقلب يواقيت ثم يعدها فيجدها ثلاثين يا قوته فكأنها قد وهبت له فقال المهدي ما أحسن ما رأيت ونحن نمتحن رؤياك في ليلتنا المقبلة على ما أخبرتنا فان كان الامر على ما ذكرت أعطيتك فوق ما تريد وان كان الامر بخلاف ذلك لم نعاقبك احلنا ان الرؤيا الصالحة ربما صدقت وربما اختلفت قال سعيد يا أمير المؤمنين فإذا أصنع أنا الساعة اذا صرت الى منزلي وعيالي وأخبرتكم اني كنت عند أمير المؤمنين أكرمه الله ثم رجعت صغرا ليد فقال له المهدي فكيف تعمل فقال يعمل لي أمير المؤمنين أعزاه الله تعالى ما أحب وأحلف له بالطلاق اني قد صدقت فأمر له بعشرة آلاف درهم وأمر بأن يأخذ له كفيل ليحضر من غد ذلك اليوم فقبض المال وقال له من يكفلك فدعينه الى خادم حسن الوجه والزى وقال هذا يكفلني فقال له المهدي أنكفله يا غلام فاحمرو نخل وقال نعم يا أمير المؤمنين فكفله وانصرف سعيد بن عبد الرحمن بالعشرة آلاف درهم فلما كانت تلك الليلة رأى المهدي ما ذكره له سعيد حرفا بحرف وأصبح سعيد فوافي الباب واستأذن فأذن له فلما وقعت عين المهدي عليه قال له أين مصداق ما قلت لسا عليه فقال له سعيد وما رأى أمير المؤمنين فضميع في جوابه فقال له امرأتى طالق ان لم تكن رأيت شيئا قال له المهدي ما أجراك على هذا الخلف بالطلاق فقال لاني احلف على صدق قال له المهدي فقد والله رأيت ذلك مبينا فقال له سعيد الله اكبر فأنجز لي يا أمير المؤمنين ما وعدتني قال حبا وكرامة ثم أمر له بثلاثة آلاف دينار وعشرة تخوف ثياب من كل صنف وثلاثة مراكب من انفس دوابه محلاة فاخذ ذلك وانصرف فلحق به الخادم الذي كان كفله وقال له سألتك يا الله هل لهذه الرؤيا من اصل فقال سعيد لا والله فقال الخادم كيف وقد رأى أمير

المؤمنين ما ذكرته قال هذا من انحراف التي لا آب لها وذاك لما القيت
له هذا الكلام خطوبه ساله وحدث به نفسه واسر به قلبه واشغل به
فكره وفي ساعة نام خيل له ما حل في قلبه واشغل به فكره فنام فراه
فقال له الخادم قد حلت بالطلاق قال طلقة واحدة وبقيت مبي على
ثنتين وازيد مهرها عشرة دراهم واحصل على عشرة آلاف درهم
وثلاثة آلاف دينار وشقة تنزوت من لصاى الشيا وبثلاثة مراكب
فارهة فبنت الخادم وتعبت من ذلك وقال له سعيد قد صادقك
وجعلت ذلك مكافاة على كذا لك فاستر على ثم لبه المهدي
لمادته مادته وحظى عمده وقادته الفضا على الاسكر ولم يزل كذبت
حتى مات انتهى ويحكى أن المهدي خرج يسبيد فغار به فرسه حتى
دخل الى خباء أعرابي فقال يا أعرابي هل من قراء قال نعم فاخرج له
قرص شعير فأكله ثم أخرجه لفضله من لب سقاء ثم أناه ببيته في ركوة
وسقاء قعبا فلما شرب قال يا أبا العرب أتدرى من أنا قال لا والله قال أنا
من خدم أمير المؤمنين الخصاص قال له أرك الله في موضعك ثم سقاء قعبا
آخر فشر به فقال يا أعرابي أتدرى من أنا قال نعم أنت من خدم أمير
المؤمنين الخصاص قال لا بل أنا من قواد أمير المؤمنين قال رجبت بلادك
وطاب مرادك ثم سقاء ثالثا فلما فرغ منه قال يا أعرابي أتدرى من أنا
قال نعم أنت من قواد أمير المؤمنين قال لا ولكني أمير المؤمنين فاخذ
أه أعرابي الركوة وأوكأها وقال والله لشررت الرابع لادعيت أنك
رسول الله فضحك المهدي حتى غشي عليه واحانت به الخيل ولت
اليه الملك وأشراف قطار باب أعرابي فقال له لا بأس عليك
ولا خرف ثم أمر له بكسوة ومال نيمي رقيق كان له سماء بنت المهدي
جارية يقال لها كاعب وكانت بكرانها ذات حسن وجمال وقد

واعتمدال وكانت بنت ستة عشر سنة قال فتلاعب عليها أبونواس
 ليفيلها فتمنعت منه مرارا فظفر بها ليلة من الليالي في ناحية من نواحي
 القصر فسكها فبكت وقالت له المرت دون ذلك فقال أبونواس في نفسه
 هذا جزع الابكار وترها مدة فاتفق له أنه خرج من القصر ليلة وقد فرق
 الدجى ووجد هائما ثمة سكرانة فتقرب منها وحل السراويل من وسطها
 ودجها فاذا هي خالية من البكارة فارتاع وطن أنه يكون أتماها دم فلم يجد
 وقام عنها وندم على ما كان منه وأخذ يقول

ونا هذه اللديين من خدم القصر * مرقرة الخدين ليلية الشعر
 كفت بهادها على حسن وجهها

طويلا وما حب الكواعب من أمرى

فأزلت بالاشعار حتى خدعتها * وروضته والشعر من خدع السهر
 * أطالها شيئا ففانت بغيرة * أمرت به داء ودمعتها بخيرى *
 * فلما تمنا فمنا توسطت لجة * غررت بها يا قوم في لجج البحر *
 فصدت اغثنى يا غلام فجاءنى * وقد زلقت رجلى ورحلت الى الصدر
 * ولولا صياحى بالغلام واه * تداركنى بالحبل رحت الى القعر *
 فأقسمت عرى لا ركبت سفينة * ولا سرت طول الدهر الا على الظهر
 (حكاية أجنبية) قال المبرد صعدت من البصرة الى بغداد ففرت بدير
 العاقول فرأيت مجنوناً فيه فلم أرقط اطراف منه ولا أحسن ثياباً ويده
 الواحدة على صدره فلما دنوت منه أنشأ يقول

الله يع — لم أننى كمد * لا أستطيع أبث ما أجد
 روحان لى روح غلصها * بلد وأخرى حازها بلد
 وأرى القيامة ليس ينفعها * صبر وليس لثلاثها جلد
 وأظن ظاعنتى كشاهدتى * بمكانها تعبد الذى أجد

فقلت أحسنت والله لله درك يا مجنون فأهوى بشئ يرميني به فبعدت عنه فقال لي أنشدتك ما تحبه واستسنته وتقول لي يا مجنون وتكون مع الزمان على فقلت له أخطأت فقال اذا عترفت بخطئك ثم قال أنشدك شعرا أيضا فقلت نعم فأنشأ يقول

ما أقتل البسبين للمحب وما * أوجع قلب المحب بالسكمد
عرضت نفسي على البلاء لقد * أسرع في مهجتي وفي كبدي
باحسرة أن أيت معتقلا * بين اعتلاج المهوم والسهد
فقلت أحسنت والله زدنا فقال

ان فتشوني فمحمروا الكبد * أو كشفوني ففاحل الجسد
أضعف ماني وزادني ألما * أن لست أشكو الذوى الى أحد
فقلت أحسنت والله زدنا فقال يانتي أراك كل ما أنشدتك يتناقلت زدنا وما ذاك الالم فارقة حبيب أو خل أريب ثم قال أحسبك أبا العباس المبرد بالله أنت هو قلت أنا ذلك فن أن عرفتني فقال وهل يخفى القمر ثم قال يا أبا العباس أنشدني من شعرك شيئا تتعش به روي فأنشدته فقلت

بكيت حتى بكى من رحمتي الطلل * ومن بكائي بكت عيناى اذ رحلوا
يا منزل الحى أين الحى قد نزلوا * نفسى تساق اذا ما سيقى الابل
آنعم صبا حاسقك الله من طلل * عينا وجاد عليك الوابل الهطل
سقى العهد هم والدار جامعة * والشمل ملتئم والحب مل متصل
فطال ما قد نعمنا والحبيب بها * والدهر يسعد والواشون قد غفلوا
قد غير الدهر ما قد كنت أعرفه * والدهر ذو دول بالناس يتقل
بانوا فبان الذى قد كنت آمله * والبسبين أعظم ما يبلى به الرجل
فالشمل مفترق والقلب محترق * والدمع منسبوق والركب مرتحل

كأن قلبي لما سار عيسهم * صب به دنف أوشارب نمل
 لما أناخوا قبيل الصبح عيسهم * ونوروها وسارت بالموى الابل
 وقلبت من خلال السجبن ناظرها * ترنوا الى ودمع العين منهبل
 يا حادى العيس عرج بي أودعهم * يا حادى العيس فى ترالك الاجل
 أنى وحقت لأنسى مودتهم * يا ليت شرى أطول المعهود مافعلوا
 قال أبو العباس المبرد فلما أنتمت شعري قال لي مافعلوا قلت لدماتوا
 فصاح صيدة عظيمة وخر مغشياً عليه فحركته فوجدته قدمات رجلة
 الله عليه انتهى

(خلافة موسى الهادى بن محمد)

لم أرفيه شيئاً ومن رأى فيه شيئاً لم ينفعه * ول بعض الفضلاء من حيث
 أن أوثأربأ من رأى فيه شيئاً لم ينفعه * ورأيت هذا المذر
 اليسير مذكورا فى تاريخ السجستان فحبت ذكره امثالاً لامره
 فقلت ذكراً صاحب السكردان أن الهادى كان يوماً فى بستان ينزه
 على حمار ولا سلاح معه وبحضرته جماعة من حواصيه وأهل بيته
 فدخل عليه حاجبه وأخبره أن باله ب بعض الخوارج له بأس
 ومكايد وقد نظف به بعض المواد فأمر الهادى بادخاله فدخل عليه
 بين رجلين قد قبضا على يديه فلما أبصر الخارجى الهادى جذب يديه
 من الرجلين واختطف سيف أحدهما . قصد الهادى ففر كل
 من كان حوله ونفى ودمه وهرثا بت على حماره حتى اذا دنى
 منه الخارجى وهم أن يعالوه بالسيف أو مأ الى وراء الخارجى
 وأزهمه أن غلاماً وراءه وقال يا غلام اضرب عنقه وظن الخارجى
 أن غلاماً وراءه ولتف الخارجى بهل الهادى سرعاً عن حماره
 فقبض على عقب الخارجى ودمته بالسيف الذى كان معه ثم عاد

الى ظهر حماره من فوره وأتباع الهادى ينارون اليه ويتسلاون عليه
وقدملثوا منه حياء ورعبا فباعا تبهم ولا طابهم في ذلك بكلمة ولم
يفارق السراح بعد ذلك اليوم ولم يركب الأجوادا من الخيل فانظر
الى هذا المنذار فى ثبات جاش الملوكة فانه قل من يفعل ذلك وهذه مرتبة
لم يصل اليها أحد الا نادرا حكى عن عبد الحق انه قال مما استلې به
الهادى من المحبة انه كان سغما بجارية تسمى غادرا وكنت من أحسن
النساء وجهها رأطيمهم غماء اشتراها بعشرة آلاف دينار فبينما هو
يشرب مع ندمائه اذ فكر ساعة وتغير لونه وقطع الشراب فقليل له ما بال
أمير المؤمنين قال وقع فى قلبى أنى أموت وأن أخى هارون يلى الخلافة
ويتزوج غادرا فامضوا وتوفى برأسه ثم رجع عن ذلك وأمر باحضاره
وحكى له ما خطر به له فجعل هارون يتفرق به فقال له ارضى حتى
تخلف لى بكل ما أخلفك به انى ادا مت لا تزوج بها فرضى بذلك وحلف
أبما ناعظيمة ودخل الى الجارية وحلفا أيضا على مثل ذلك فلم يلبث
بعد ذلك سوى شهر ومات وولى الخلافة هارون الرشيد فلبث
الجارية فقالت يا أمير المؤمنين كيف تصنع فى الايمان فقال قد كفرت
عنك وعنى ثم تزوج بها ووفعت فى قلبه موقعا عظيما واقتن بها
أعظم من أخيه الهادى حتى كانت تسكر وتنام فى حجره فلا يترك
ولا ينقلب فبينما هى فى بعض الايام ومضى فى حجره نائمة فاذا هى انتهت
فرزة مرعوبة فقال لها ما بالاك فديته قالت رأيت أخاك الهادى
الساعة فى النوم فأنشدنى هذه الايات

أخلفت عهدى بعدما * جاورت سكان المقابر
ونسيتنى وحنث فى * أيمانك الزور والفواجر
وفككت غادرة أخى * صدق الذى سماك غادر

لاهنك الالف الجديد * ولا تدرعنك الدوائر
 ولحقني قبل الصباح * وصرت حيث غدوت صائر
 قالت ثم ولى عنى وكانت الايات مكتوبة فى قلبى ما نسيته منها كلمة
 فقال لها هذه أحلام الشيطان فقالت كلا والله يا أمير المؤمنين ثم
 اضطربت بين يديه وماتت فى تلك الساعة ولا تسأل عن هارون
 الرشيد ومالى بعدها انتهى

* (خلافة هارون الرشيد بن محمد المهدى) *

هو أخومرسى الهادى وهرخامس بن العباس * قال ابراهيم الموصلى
 فى تهئة الخلافة حين ولى الرشيد بعد أخيه موسى الهادى
 ألم تر أن الشمس كانت مريضة * فلما أنى هارون أشرق نورها
 قلبت الديار اجالاملكه * فهارون واليهاب يحيى وربرها
 وقدم اعرابى حين ولى هارون الخلافة فقبل له وبه جئت قال أتيت
 برسالة قال أنت بها قال أتانى أت فى منامى فقال أنت أمير المؤمنين
 فأبلغه هذه الايات

توارثت الخلافة من قریش * تنزى اليك أبدا عروسا

الى هارون تهدي بعد موسى * تيمس وما لها أن لا تيمسا

فأعطاه الرشيد عدة اجزى لا تصرفه بوبيع له بالخلافة فى الليلة التى
 توفي فيها أخوه وولد فى تلك الليلة المأمون وكانت ليلة عظيمة لم ير مثلها
 فى بنى العباس مات فيها خليفة وولى فيها خليفة وولد فيها خليفة
 وبابوبيع الرشيد قادمه بن يحيى بن خالد بن برمك وزارته * وسيأتى
 ايقاع الرشيد بالبرامكة وسبب ذلك * ويحكى ان هارون الرشيد مر
 فى بعض الايام وصحبه ج فر البرمكى واذا هو بعدة بنات يستقون الماء
 فخرج عليهن يريد الشرب واذا احدا منهن تقول

قولى لطيفك ينثى * عن مضجعي وقت المنام
 كى أستريح وتنطفي * نار تأجج في العظام
 دنف قلبه الاكف على بساط من سقام
 أما أنا فكما علمت * فهل لوصلك من دوام
 فأعجب أمير المؤمنين ملاحظها ونصاحتها * فقال لها يا بنت الكرام
 هذا من قولك أم من منقولك قالت من قولى قال ان كان كلامك صحيحا
 فأمسكى المعنى وغيرى القافية فأشدت تقول

قولى لطيفك ينثى * عن مضجعي وقت الوثن
 كى أستريح وتنطفي * نار تأجج في البدن
 دنف قلبه الاكف على بساط من شعبن
 أما أنا فكما علمت * فهل لوصلك من ثمن
 فقال لها والآخر مسروق قالت بل كلامى فقال ان كان كلامك
 أيضا فأمسكى المعنى وغيرى القافية فقالت

قولى لطيفك ينثى * عن مضجعي وقت الرقاد
 كى أستريح وتنطفي * نار تأجج في القواد
 دنف قلبه الاكف على بساط من حداد
 أما أنا فكما علمت * فهل لوصلك من سد'د
 فقال لها والآخر مسروق فقالت بل كلامى فقال لها ان كان كلامك
 فأمسكى المعنى وغيرى القافية فقالت

قولى لطيفك ينثى * عن مضجعي وقت المجمع
 كى أستريح وتنطفي * نار تأجج في الضموع
 دنف قلبه الاكف على بساط من دموع
 أما أنا فكما علمت * فهل لوصلك من رجوع

فقال لها أمير المؤمنين أنت من أي هذا الحي قالت من أوسطه بيتا
وأعلاه عمودا فعلم أمير المؤمنين أنها بنت كبير الحي ثم قالت وأنت
من أي راعي الخيل فقال من أعلاها شجرة وأنها ثمرة فقبلت الأرض
وقالت أمد الله أمير المؤمنين ودعت له ثم انصرفت مع بنات العرب
فقال الخليفة بجعفر لا بد من أخذها فتوجه جمع قرأ أبيها وقال له
أمير المؤمنين يريد ابتك فقال حبا وكرامة تهدي جارية إلى أمير
المؤمنين مولانا ثم جهزها وحمّلها اليه فترجها ودخل بها فكانت
عنده من أعز نسائه وأعطى والدها ما يستريح به بين العرب من الانعام
ثم بعد مدة انتقل والدها بالوفاة إلى ربة الله تعالى فور على الخليفة
خبر وفاته فدخل عليه وهو = ثيب فلما شاهدته وعليه الكتابة
نهضت ودخلت إلى حجرته وقالت كل ما عليا من الثياب الفاخرة
ولبست ثياب الحرث وأقامت النبي له فويل لها ما سبب هذا فقالت
مات والدي فمضت إلى الخليفة فأخبره فقام رآي إليها وسألها من
أعلمها بهذا الخبر قالت وجهها أديا المؤمنين قال كيف ذلك قالت منذ
أنا عندك مارأيتك هكذا ولم يكن لي من اخذ عليه الا والدي لكبره
وتعيش رأسك أنت يا أمير المؤمنين فمغرشرت عيناها بالامير وعزها
فيه وأقامت مدة وهي خريفة إلى والدها ثم لحقت به رحمة الله عليهم
اجمعين ويحكى ان اديا المؤمنين هارون الرشيد * أرق ذات ليلة
وقام ينمش في قصره بين الاساير فرأى جارية من جواريه نائمة
فانجسته فداها على رجليها فانتبهت فرأته اديا المؤمنين فاستحمت منه
وقالت يا امين الله ما بدا الخبر فادبها بقوله
قلت ضيف طارق في أرضكم * دل تضيفه الى وقت السحر
(فاجابته وقالت)

بسروروهاه سیدی * أخدم الضيف بسبعي والبصر
فبات عندها الى الصباح فسأل أمير المؤمنين من بالباب من الشعراء
فقبل له أبونواس وأعر به فدخل عليه فقال له هات علي يا أمين الله
ما هذا الخبر فأنشأ يقول

طال ليلى حين وافاني السهر * فتفكرت فأحسنتم الفكر
قمت أمشي في المجالى ساعة * ثم أجزى في مقاصير الحجر
فاذا وجهه جميل مشرق * زانه الرحمن من بين البشر
فلست الرجل منها موطئا * فدنت مني ومدت للبصر
وأشد رتى بقول مفصع * يا أمين الله هذا ما الخبر
قلت ضيف طارق في أرضكم * هل تضيفوه الى وقت السهر
فأجابت بسرورو سیدی * أخدم الضيف بسبعي والبصر

قال تعجب أمير المؤمنين من ذلك وأمر له بمسألة * ويحكى ان هارون
الرشيد هجر حارية له ثم لقيم في بعض الليالي في القصر سكرى تدور
في جوانب القصر وعليها مطرف خروهي تسبب أذيالها من التيه
والعجب وسقط رداؤها عن منكها * والريح أبان نهديها كأنهما
رمانتان ولها رد فان قعيلان فراودها عن نفسها فقالت يا أمير المؤمنين
هجرتني هذه المدة وليس لي علم بلاقائك فأنظرتني الى غد حتى أنهيأ
وأتيك فلما أصبح قال للحاجب لا تدع احدا يدخل على الا فلانة
وانتظرها فلم تجي فقام ودخل عليها وسألهما انبأ الموعده فقالت يا أمير
المؤمنين كلام الليل يحموه النهار فقام واستدعى من بالباب من الشعراء
فدخل عليه أبونواس والرقاشي وأبو مصعب فقال لهم هاتوا علي كلام
الليل يحموه النهار فقال الرقاشي أنا فأنزل في ذلك ثلاثة أبيات
وأنشأ يقول

أتسلوها وقلبك مستطار * وقد منع القرار ولا قرار
وقد تركت صبا مستهما * فتاة لا تزور ولا تزار
فولت وانثنت نهارا قالت * كلام الليل يحويه النهار
(وقال أبو مصعب وأنا قائل في ذلك ثلاثة أبيات وأنشأ يقول)
أما والله لو تجد من وجدى * لما وسعتك في بغداد دار
أما يكفيلك أن العين عبرا * ومن ذكرك في الاحشاء نار
تبسم الفتاة بغير ضحك * كلام الليل يحويه النهار
(وقال أبو نواس وأنا قائل في ذلك أربعة أبيات وأنشأ يقول)
وخودا أقبلت في القصر سكرى * ولكن زين السكر الوفار
وهز الرمح أردافا تقالا * وغصنا فيه رمان مغار
وقد سقط الرءاع منكميها * من التمشيش وانحل الأزار
فقلت الوعد سيدتي فقالت * كلام الليل يحويه النهار

فقال الرشيد فأتلك الله كأنك كنت معنا أو مطلعنا علينا وأمر لكل
بخلعة سنية وخمسة آلاف درهم ولا شيء نواس بعشرة آلاف درهم
انتهى * (وذكر) الخطيب البغدادي في بعض مصنفاته أن الرشيد
دخل يوما وقت الظهر إلى مة صورة جارية تسمى الخيزران على غفلة منها
فوجدتها تغتسل فلما رآته تخلت بشعرها حتى لم يرم جسدها شيئا
فأعجبه ذلك الفعل واستحسنه ثم عاد إلى مجلسه وقال من الباب من
الشعراء قالوا له أبو نواس وبشار فقال ليضرا جميعا فأحضرا فقال
الرشيد ليقبل كل منكما أبياتا توافق ما في نفسي فأنشأ بشار يقول
تحييتكم والقلب صار اليكموا * بنفسى ذاك المنزل المتعجب
إذا ذكروا الهجران لأعن ملالة * وذكرهم ينمي إلى محب
وقالوا تحبنا ولا قرب بيننا * فكيف وأنتم حاجتي تعجب

كلام الرشيد في الخيزران

على انهم أحلى من الشهد عندنا * وأعذب من ماء الحياة وأطيب
فقال أحسنت ولكن ما أحببت ما في نفسي فقل أنت يا بانواس فجعل
يقول

نفت عنها القميص لصب ماء * فورد وجهها فرط الحياء
وقابلت الهواء وقد تعرت * بمعدل أرق من الهباء
ومدت راحة كالماء منها * الى ماء معد في اناء
فلما أن قضت وطرا وهت * على عجمل لتأخذ للرداء
رأت شخص الرقيب على النداني * فأسبلت الظلام على الضياء
وغاب الصبح منها تحت ليل * فظل الماء يجري تحت ماء
فسبحان الاله وقد برأها * كاحسن ما تكون من النساء

فقال الرشيد سيفاً ونطماً فقال له ولم يا أمير المؤمنين قال أمعنا كنت
قال لا والله ولكن شئاً خطر بي إلى فأمر له بأربعة آلاف درهم وصرفه
انتهى * ويحكى ان أمير المؤمنين الرشيد أرق ذات ليلة أرقاً شديداً
فقام من فرشه وتمشى من مقصورة الى مقصورة وقلقه زائد ونفسه
محصورة فلما أصبح قال على بالاصمعي فخرج العاوشى الى البوابين فقال
لهم يقول لكم أمير المؤمنين ارسلوا أحد الخلف الاصمعي فلما حضر أعلم
الخليفة به فأجلسه ورحب به وقال يا اصمعي أريد منك أن تهذني
بأجود ما سمعت من أخبار النساء وأشعارهن فقال سمعنا وطاعة لقد
سمعت كثيراً ولم يعبني سوى ثلاثة أبيات أنشد هن ثلاث بنات فقال له
هذني حديثهن فقال أعلم يا أمير المؤمنين أني توجهت سنة الى البصرة
فاشتد على الحر فطلبت مقبلاً أقيل فيه فلم أجد فيمنياً أنا أتلفت يميناً
وشمالاً اذاً يا بساباط مكنوم مرشوش وفيه دكة من خشب وعليها
شباك مفتوح تفوح منه رائحة المسك فدخلت الساباط وجلست على

الدكة وأردت الاضطجاع فسمعت كلاما عذبا من فم جارية حسنة
وهي تقول يا أختي انا جليسا نيو منا هذا على وجه الصبوح تعالين
فطرح ثلاثمائة دينار وكل مائة تقول بيتا من الشعر فكل من قالت
البيت الا عذب الأملح كانت الثلاث مائة دينار لها وقلن حبا وكرامة
فقال الكبري

عجبت ان زارني اليوم مضجعي * ولو زارني مستيقظا كان أعجبا
فقال الوسطي

وما زارني في النوم الا خياله * فقلت له أهدأ وسهلا ومرحبا
فقال الصغي

بنفسى يا أهلي من أرى كل ليلة * فنجي رياه من المسك أطيبا
فقلت ان كان لهذا المقال جمال فقد تم الامر على كل حال نزلت عن
الدكة وأردت ان نصرف انا واذا بالباب قد فتح وخرجت منه جارية وهي
تقول اجلس يا شيخ فضلت على الدكة ثانيا ولمست فدفعت الى
ورقة فنظرت خبثا في نهاية الحسن مستنم الا لغات مجوف الهاآت
مدقورا واوات مضمونها تعلم الشيخ أطال الله بقاءه أنت ثلاث نبات
اخوات جلسنا على وجه الصبوح وطرحنا ثلاث مائة دينار وشرطنا
ان كل من قالت البيت الا عذب لا ملح كان لها الثلاث مائة دينار وقد
جعلناك الحكم في ذلك فاحكم بما تراه والسلام فقلت للجارية على
بدواة وقرطاس فغابت قليلا وخرجت الى بدواة مفضضة وأقلام
مذهبة فأنشأت أقول

أحدث عن خود تحذثن مرة * حديث امرء ساس الامور ورجر
ثلاث كبكرات الصهارى محافل * حللن بقلب للشوق مع — ذ
خلون وقد نامت عيون كثيرة * من رأى قد يشهون ان تنقي

فبعض بما يخفين من داخل الحشا * نعم واتخذن الشعر لهما ولعبا
فقلت عروب ذات عز عزيزة * وتبسم عن عذب المعالة أنسبا
عجبت له أن زارني النوم ضجعي * ولو زارني مستيقظا كان أعجبا
فلما انقضى ما زخرفت وتضاحكت * تنفست الوسطا وقالت قطريا
وما زارني في النوم الا خياله * فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا
وأحسنت الصغرى وقالت بحبيبة * بلفظ لها قد كان أشهى وأعذبا
بنفسي وأهلي من أرى كل ليلة * ضجعي ورياء من المسك أطيبا
فلما تدبرت الذي قلن وانبرى * لي الحكم لم أترك لذى اللب متعبا
حكمت لصغراهن في الشعر انني * رأيت الذي قالت هو الحق أصوبا
قال الاصمعي ثم دفعت الرقعة الى الجارية فلما صعدت الى القصر فاذا
برقص وتصفيق وديسادانية وقيامة فأتته فقلت ما بقي لي اقامة فنزلت
عن الدكة وأردت الانصراف واذا بالجارية تنادي وتقول اجلس
يا أصمعي فقلت ومن أعلم انني الاصمعي فقالت يا شيخ ان خفي علينا
اسمك فلما خفي علينا نظمت فجلست واذا بالبواب تدفع وتخرج منه
الجارية الاولى وعلى يديها طبق من فاكهة وطبق من حلوى فتفكهت
وتخلبت وشكرت صنعها وأردت الانصراف واذا بالجارية تنادي
وتقول اجلس يا أصمعي فرفعت بصرى اليها فنظرت كفا أحمر في كم
أصفر فخلته البدر يشرق من تحت الغمام ورمت لي بصرة فيها ثلاثمائة
دينار وقالت هذا صار لي وهو مني لك هبة في نظير حكره منك فقال له
أمير المؤمنين لا ي شي حكمت للصغرى ولم تحكمني الكبرى ولا الوسطى
فقلت له يا أمير المؤمنين أطل الله بقاءك ان بيت الكبرى قالت
عجبت له أن زارني النوم مضجعي وهو محبوب معلق على شرط قد يقع
ولا يقع وأما الوسطى مربها لطيف خيال في النوم فسابت عليه وبشت

الصغرى ذكرت أنها ضاحجة مضاحجة حقيقية وسمت منه أنفاسا
 أطيب من المسك وفدته بنفسها وأهلها ولا يفدى بالنفس الامن هو
 أعز من النفس فقال الخليفة أحسنت يا أصمعي ثم دفع الى ثلاثمائة
 دينار فأخذتها وانصرفت فكنت أقول لله درك من شعر
 أخذت في حكومتى منه ثلاثمائة دينار وفي حكايته مثلها والله أعلم
 (ومما حكى) عن الأصمعي في نوادره قال سمعت أبا عبد الله عند
 الرشيد في الرقة فقال لي من معك يا عبد الله يؤنسك فقلت
 يا أمير المؤمنين مالي أنيس غير الوحدة فأمسك وأقبل في حديثه
 ماشاء الله ثم نهض ونهض من بحضرته فلما صرت الى منزلي وإذا
 بخادم الأمير يقرع الباب فخرجت فاذا ضوء شمعة وضجة وغوغاغومهم
 عمارية فلما رأني الخادم دنى مني وقبل يدي وقال لي يقول لك أمير
 المؤمنين قد أمرنا لك بمن يؤنسك وهي جارية من خواصه وشي من المال
 فشكرت أمير المؤمنين ودعوت له وتقدم الخادم بادخال الجارية
 ومعها من الآلات والخدم والجواري والغرش ما لم أر مثله الا عند أمير
 المؤمنين ثم ودعني الخادم وانصرف فلما نظرت الى الجارية رأيتهما
 أحسن الناس وجهها وأكملهم قدأ وشكلا وظرفا وأكثرهم محوبا
 فداخلى لها هيبة وانقباض فقالت ما هذا الحياء البارد السمج الذي
 لا وجه له أين ملكك ونوادرك ثم قالت بمارية من الجواري هات
 ما عندك فجاءت بأحسن ما يكون من ألوان الطعام فأكلنا وهي
 مع ذلك باسطني وتوانني بالحديث والملاعبة ثم دعت بالشراب
 فشربت وسقتني ثم قالت ما بقي بعد الاكل والشرب الا النوم والحلوة
 فقامت ولبست من الثياب ما أرادت وألبستني ثيابا فاخرة مبيضة
 وتفرق من كان عندنا ثم اضطجعت الى جانبي فلما جعنا الفراش أصابني

من الحصر وانقطاع الانعاط ورخاوة الايرمام أكن أعهد قبل ذلك
 فجعلت قلبه بيدها وتغمزه فلا يزداد الا انكما شاومونا فلما أعيتها الحيلة
 فيه ويثست من قيامه ومضى من الليل أكثره قالت عظم الله أجرك
 في أيرك ثم نهضت ولبست ثياب الخداد ودعت بسفط فأخرجت منه
 مناديل صغارا وحنوطا وقالت ثم على ظهرك يا بطل فاستولى على
 الخجل حتى اني لم أقدر أخالفها في شيء مما تأمرني به في جميع ما تفعله في
 نفسك وحنطته وكفنته بتلك المساديل فلما فرغت همت بجواربها
 وقامت معهن في بكاء ونحيب ونوح وندب وصراخ بأشد ما يكون
 وما زالوا على ذلك الى وقت السهر ثم قالت ما بقي الا ما تولاها الرجال
 من الصلاة والدفن وولت عني فقامت وأنا أخزى خلق الله تعالى حالا
 فلبست ثيابي وصليت الفجر وسرت من وقتي وساعتى الى الرشيد فأنكر
 الحجاب حضوري في ذلك الوقت وأعلم الرشيد بي فأذن لي فدخلت
 وهو قاعد في مصلاه فقال لي ويحك ما دهاك في هذا الوقت فقلت
 يا أمير المؤمنين خبرني عجيب وأمرى غريب فبالله عليك يا أمير المؤمنين
 الا ما رجعتني وأرجحتني من هذه الجارية التي أنفذتها الى فلا حاجة لي بها
 فقال لي أمير المؤمنين وما السبب لذلك وما الخبر الذي دهاك وليس
 لها عندك حينئذ من الزمان فشرحت له القصة من أولها الى آخرها حتى
 بلغت الى اقامة الصلاة فاشتد ضحكها حتى انه كاد أن يسنلق على قفاه
 وسمعت الضحك من كل ناحية في الدار من الجوارى وغيرهن ثم قال
 نحن الى هذه أحوج منك اليها وقد كنا غافلين عنها ثم انه أمر بحملها
 الى داره وعوضني عنها خمسين ألف درهم وترك جميع ما حل معها
 في منزلي وخرجت مجردة فمظيت بعد ذلك عند الرشيد حتى انه
 لم يتقدم عليها أحدا من نظائرها وسميت من وقتها هذا بالاصمعية الى أن

توفيت رحمة الله عليهم أجمعين وعن أبي اسحاق إبراهيم الموصلي قال
استأذنت الرشيد أن يهبط لي يوماً من الأيام للانفراد بجوارى واخواني
فأذن لي في يوم السبت فأنتيت منزلي وأخذت في اصلاح طعامي
وشراي وما احتجت اليه وأمرت البوابين بغلق الابواب وأن لا يأتوا
لاحد بالدخول علي فبينما أنا في مجلسي والحريم قد حققن بي وإذا
بشيخ ذي هيئة وجمال وعليه خفان قصيران وقميص ناعم وعلي رأسه
قلنسوة ويسده عكازة مقعمة من فضة وروائح الطيب تنفح منه حتى
ملأت الدار والرواق فدأخلني غيظا عظيما لدخوله علي وهمت بطرد
البوابين فسلم علي أحسن سلام فرددت عليه وأمرته بالجلوس
فجلس وأخذ يتحدثني بأحاديث العرب وأشعارها حتى ذهب ما بي
من الغضب وظننت أن غلما في تحروا مسرقي لا دخال مثله علي لادبه
وظرفه فقلت هل لك في الطعام فقال لا حاجة لي فيه قلت فالشراب
قال ذلك اليك فشربت رطلا وسقيته مثله ثم قال يا أبا اسحاق هل لك
أن تغنيننا شيئا نسمع من صنعةك ما قد فقت به العام والخاص فغاضني
قوله ثم سهلت الامر علي نفسي فأخذت العود وضربت وغنيت فقال
أحسن يا إبراهيم فأزدت غيظا رقلت أمارضى بأفعله في دخوله بغير
إذني واقتراحه علي حتى سماني باسمي ولم يجمل مخاطبتي ثم قال هل لك
أن تزيد ونكافئك فتذمت وأخذت لعود فغنيت وتحفظت فيما
غنيت وقمت به قداما أما لقوله ونكافئك فطرب وقال أحسنت
يا سيدي ثم قال أنا ذن لي في الغناء فقلت شأنك واستضعفت عقله
في أن يغني بحضرتي بعد الذي سمعته مني فأخذ العود وجسه فوالله لقد
خلف أن العود يهتق بلسان عربي واندفع يغني هذه الآيات
ولي كبدة مروحة من يديعني * بها كبدة ليست بذات قروح

أباهما على الناس أن يشترونها * ومن يشتري ذا علمه بهج
أمن من الشوق الذي في جوانحي * أنيس غصيص بالشراب طريح
قال إبراهيم فوالله لقد ظننت أن الأبواب والحيطان وكل ما في البيت
تجيبه وتغني معه وبقيت مبهوتا لا أستطيع الكلام ولا الحركة
لما خالط قلبي ثم اندفع يغني وقال

ألا يا حمامات اللى عدن عوة * فاني إلى أصواتكم خزين
فعدن ولما عدن كدت بمنى * وكدت بأسراري لمن أبين
دعون بترداد الهدير كما نأما * شرين أنجيا أو بهن جيون
فلم ترعيني مثلهن حائما * بكبر ولم تدمع لهن عيون
قال ثم سكنت قليلا وغنى هذه الأبيات
ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد

فقد زادتني مسراك وحدا على وجدى

لئن هفت ورفاء في روق الضحى

على فنن من غصن يان ومن رند

بكيت كما يكى الوليد صبا

وأديت من شكواي ما لم أكن مبدى

وقد زعموا أن الحب إذا دنا * يمل وان لبعده يشفى من الوجدى
بكل تداوينا ولم يشف ما بنا * على أن قرب الدار خير من البعد
على أن قرب الدار ليس ينافع * إذا كان من تهـ راه ليس بذى ود
ثم قال يا إبراهيم هذا الغناء الماخورى خذه وانح نحوهم في غداك وعلمه
جواريلك فقلت أعدده على فقال لست تحتاج إلى إعادة فقد أخذته
وفرغت منه ثم غاب من بين يدي فارتعبت منه رقمت إلى السيف
وجردته ثم غدوت نحو أبواب الحرم فوجدتها مغلقة فقلت للجواري

أي شيء سمعتن قلن سمعنا غناءً طيباً شيئاً وأحسنه فخرجت متغيراً إلى
 باب الدار فوجدته مغلقاً فسألت البوابين عن الشيخ فقالوا أي شيخ
 في الله ما دخل إليك اليوم أحد فرجعت لتأمل أمره فاذا هو قد هتف في
 من جوانب البيت وقال لا بأس عليك يا أبا اسحاق فأتاها هو بأومرة قد
 كنت نذيتك اليوم فلا تنزع فركبت إلى الرشيد فأخبرته الخبر فقال
 أعد الاصوات التي قد أخذتها فأخذت العود وضربت فاذا هي راسضة
 في صدري فطرب الرشيد عليها وجعل يشرب ولم يكن له هم على
 الشراب وقال كأن الشيخ علم أن ذلك قد أخذت الاصوات وفرغت منها
 فليته متعباً بنفسه يوماً واحداً كما تعلم ثم أمر لي بصلصة فأخذتها
 وانصرفت انتهى * وقال الرشيد يوماً للفضل بن يحيى وهو بالزينة
 قد قدم اسماعيل بن صالح بن علي وهو صديقك وأريد أن أراه فقال إن
 أخاه عبد الملك في حبسك وقد نهاه أن يجيئك * قال الرشيد فاني أتعزل
 حتى يجيئني عائد أفتعال فقال الفضل لاسماعيل أتعزود أمير المؤمنين
 قال بلى فجاهد عائد فأجلسه ثم دعا بالغداء فأكل وأكل اسماعيل
 بين يديه فقال له الرشيد كأنني قد نشطت برؤيتك إلى شرب قدح
 فشرب وسقاه ثم أمر فأخرج جواراً يغنين وضربت ستارة وأمر بسقيه
 فلما تهرب أخذ الرشيد العود من يد جارية ووضعه في حجر اسماعيل
 وجعل في عنقه سبعة وفيها عشر حبات من درشراؤها بثلاثين ألف
 دينار وقال غن يا اسماعيل وكفر عن يمينك * ثم هن هذه السبعة فاندفع
 يغني شعر الوليد بن يزيد في غالية أخت عمر بن عبد العزيز وكانت
 تحتها رهي التي يشرب اليها سوق الغالية فقال

فأقسم ما أدنيت كفى لريبة * ولا حملتني نحو فاحشة رجل
 ولا قاذي سمعي ولا بصري لها * ولا دلتني رأيي عليها ولا عقلي

وأعلم اني لم تصبني مصيبة * من الدهر الا قد أصابت فتى مثلي
سمع الرشيد أحسن غناء من أحسن موت فقال الرمح يا غلام فجيء
بالرمح فعلقه لواء على اماره مصر قال اسماعيل فوليتما ستنين فأوسقتهما
هدلا وانصرفت بخمسمائة ألف دينار وبلغ أخاه عبدالمث ولأبيه
فقال غنى والله الخبيث لم ليس هو بصالح انتهى ويرى انه لما دخل
هارون الرشيد الى مكة شرفها الله تعالى وابند بالطواف ومنع الخماص
والعام من ذلك ليفرد بالطواف فسبقه أعرابي فسق ذلك على الرشيد
فالتفت الى حاجبه مكررا عليه فقال الحاجب للأعرابي تخل عن
الطواف حتى يطوف أمير المؤمنين فقال الأعرابي ان الله قد ساوى
بين الامام والرعية في هذا المقام فقال عز وجل سواء العا كف فيه
والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم لما سمع الرشيد من
الأعرابي ذلك رآعه أمره فأمر حاجبه بالكف عنه ثم جاء الرشيد الى
الحجر الأسود ليستلمه فسبقه الأعرابي فاستلمه ثم أتى الرشيد الى المقام
ليصلي فسبقه الأعرابي فصلى فيه فلما فرغ الرشيد من صلاته قال
لحاجبه أفتني بهذا الأعرابي وأنا الحاجب فقال أحب أمير المؤمنين
فقال مالي اليه من حاجة ان كان له حاجة فهو أحق بالقيام الى والسعي
فقام الرشيد حتى وقف بآراء الأعرابي وسلم عليه فرد عليه السلام
فقال له الرشيد يا أبا الهرب اجلس هنا بأمرك فقال الأعرابي ليس
البيت بيتي ولا الحرم حرمي وكلنا فيه سواء فان شئت تجلس وان شئت
تنصرف قال الراوي فمظم ذلك على الرشيد وسمع ما لم يكن في ذهنه
وما ظن انه يواجهه بمثل هذا الكلام فجلس الرشيد وقال يا أعرابي
أريد أن أسألك عن فرضك فان أنت أقمته به فأنت بغيره أقوم * وان
أنت عجزت عنه فأنت عن غيره أعجز * فقال الأعرابي سؤالك هذا

سؤال تعلم أم سؤال تغنت فتعجب الرشيد من سرعة جوابه * وقال
 بل سؤال تعلم فقال له الاعرابي قم فاجلس مقام السائل من المسؤل
 قال فقام الرشيد وجثى على وكتفيه بين يدي الاعرابي فقال قد جلست
 فاسأل عما بدا لك فقال له أخبرني عما افترض الله عليك فقال له
 تسألني عن أى فرض عن فرض واحد أم عن خمسة أم عن سبعة
 عشر أم عن أربعة وثلاثين أم عن خمسة وثمانين أم عن واحدة في طول
 العمر أم عن واحدة من أربعين أم عن خمسة من مائة قال فضحك
 الرشيد حتى استلقى على قفاه استهزأ به ثم قال له سألتك عن فرضك
 فأنتبني بحساب الدهر * قال يا هارون لولا ان الدين بالحساب لما
 أخذ الله الخلاق بالحساب يوم القيامة * فقال تعالى ونضع الموازين
 القسط يوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل
 أثينا بما سواك في بناحيسين * قال فظهر الغضب في وجه الرشيد
 واجمرت عيناه حين قال يا هارون ولم يقل له يا أمير المؤمنين وبلغ منه
 مبلغا شديدا غير ان الله تعالى صممه منه وحال بينه وبينه لما علم ان
 الله هو الذى أفتى الاعرابي بذلك فقال له الرشيد يا اعرابي ان فسرت
 ما قلت فنجوت والا أمرت بضرب عنقك بين الصفا والمروة فقال له
 الحاجب يا أمير المؤمنين اعف عنه وهبه لله تعالى ولهذا المقام الشريف
 قال فضحك الاعرابي من قولها حتى استلقى على قفاه فقال لم تضحك
 قال عجباً منكم اذ لا أدري أيكم أجهل الذى يستوهب أجلا قد حضر
 أم يستعجل أجلا لم يحضر * قال فهال الرشيد ما سمعه منه وهانت
 نفسه عليه ثم قال الاعرابي أما سؤالك عما افترض الله على فقد افترض
 على فرائض كثيرة فقول لك عن فرض واحد فهو دين الاسلام *
 وأما قولى عن خمسة فهي الصلوات * وأما قولى لك عن سبعة عشر فهي

سبعة عشر ركعة * وأما قولي لك عن أربعة وثلاثين فهي السجودات
وأما قولي لك عن خمسة وعشرين فهي الكبيرات * وأما قولي لك عن
واحدة في طول العمر فهي حجة الاسلام واحدة في طول العمر كله *
وأما قولي لك واحدة من أربعين فهي ركاء الشياخ شاة من أربعين
شاة * وأما قولي لك خمس من مائتين فهي زكاة الورق * قال
فأما تلاء الرشيد فرحا وسورا من تفسير هذه المسائل ومن حسن كلام
الاعرابي * وعظم الاعرابي في عينه وتبدلت بغضته محبة ثم قال
الاعرابي سألتني فأجبته وأنا أريد أن أسألك فأجبني قال قل فقال
الاعرابي ما تقول في رجل ينظر إلى امرأة وقت صلاة الفجر فكانت عليه
محترمة فلما كان وقت الظهر حلت له فلما كان وقت العصر حرمت
عليه فلما كان وقت المغرب حلت له فلما كان وقت العشاء حرم
عليه فلما كان وقت الصبح حلت له فلما كان وقت الظهر حرمت عليه
فلما كان وقت العصر حلت له فلما كان وقت المغرب حرمت عليه فلما
كان وقت العشاء حلت له فقال والله يا أبا العرب لندم قعني
في بحر لم يخلصني منه شيء فقال له أنت خليفة آدم ذو شأني
ولا ينبغي أن تعجز عن مسألة فكيف عجزت عن مسألة وأرجل بدوي
لا قدرة لي فقال الرشيد قد عظم قدرك العلم ورفق ذكرك فاشتبه
أكرامالي ولهذا المقام تفسير ذلك فقال حبا وكرامة ولا كبر على شرط
أن تحب الكسير وترحم الفقير ولا تزدري بالحقير فقال حبا وكرامة ثم
قال إن قولي لك عن رجل ينظر إلى امرأة وقت صلاة الفجر فكانت عليه
حراما فهو رجل ينظر إلى أمه غيره وقت الفجر فهي حرام عليه فلما كان
وقت الظهر اشتراها فحلت له فلما كان وقت العصر أعتقها فحرمت عليه
فلما كان وقت المغرب تزوجها فحلت له فلما كان وقت العشاء طلقها

فحرمت عليه فلما كان وقت الفجر راجعها فحلت له فلما كان وقت
الظهر ظاهر منها فحرمت عليه فلما كان وقت العصر اعتق عنها فحلت
له فلما كان وقت المغرب ارتد عن الاسلام فحرمت عليه فلما كان
وقت العشاء تاب ورجع الى الاسلام فحلت له قال فاغبط وفرح به
واشد اعجاب به ثم أمر له بعشرة آلاف درهم فلما حضرت قال لا حاجة لي
بها ردوها الى أصحابها قال له أريد أن أجرى لك جارية تكفيك مدة
حياتك قال الذي أجرى عليك يجري على قال فان كان عليك دين
قضينا عنه لك قال لا ولم يقبل منه شيئا ثم أنشد يقول

هب الدنيا ثأنا سنينا * فتسكدر ساعة وتلذذينا
فما أبغى بشي ليس يسقى * وأتركه غدا للوارثينا
كأنني بالثراب على يحنى * وبالاخوان حولي نادينا
ويوم تفر النيران فيه * وتقسم جهرة لأسامعينا
وعزة خالقي وجلال ربي * لا تنقن منه — م أجمعينا
وقد شاب الصغير بغير ذنب * فكيف يكون حال المجرمين

فلما فرغ من انشاده تأوه الرشيد وسأله عن أهله وبلاده فأخبره أنه
مرسى الرضى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن الحسين بن علي بن
أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين وكان يتزايروا في اعرابي زهدا في الدنيا
وتباعد عنهم فاقام اليه الرشيد وقبل ما بين عينيه ثم قرأ الله أعلم حيث
يجعل رسالته وانصرف رحمة الله عليهم أجمعين وقال السجستاني
أرق الرشيد ليلة فوجه الى الاصمعي والي حسين الخليع فأحضرهما
وقال عللاني وابدأ أنت يا حسين قلت نعم يا أمير المؤمنين خرجت
في بعض السنين مندرا الى البصرة ممتدحا محمد بن سليمان الزينبي
بقتل يدي فقبلها وأمرني بالمقام فخرجت ذات يوم الى المريد وجعلت

المهالبة طريق فأصابني حر شديد * فدنوت من باب دار كبيرة
لا استسقي فإذا أنا بجارية كأنها قضيب ثقي وسناء العينين أزجة
الحاجبين مفتوحة الخبرين عليها قيم من جلماري ورداء عذني قد غلب
شدة يساؤ بدنها على حمرة قيصها تنلأ * لا من تحت القميمين بشدين
كرمانتين وبطن كطي القباطي وعكن كالقرا طيس لها جمة جعدت
بالمسك محشوة وهي يا أمير المؤمنين متقلدة خرز من الذهب والجوهر
يزهر بين نهديها وعلى صحن جبينها طرة كالسج وحاجبان مقرو فان
وعينان بجلاوتان وخذان أسيلان وأف أفني تحنه فمركا للؤلؤ
وأسان كالدرد وقد غلب عليها الطيب وهي والمه حيراة ذاهبة
في الدهليز ورائحة تخطر على أكار محيها في مشيتها وقد خالط أصوات
فعلها اخلاخلها فهي كما قال الشاعر فيها

كل جز من محاسنها * كائن من حسناتها مثلا

فهبتها يا أمير المؤمنين ثم دنوت منها لاسلم عليها فإذا الدهليز والدار
والشارع قد عبق بالمسك فسلمت عليها فردت لسان مكسر وقلب
حزين حريق مسعر وقلت لها يا سيدتي اني شيخ غريب أصابني عطش
أفأمرين بشربة من ماء فزجرين عليها قالت اليك عني يا شيخ فاني
مشغولة عن الماء وادخار الزاد قلت لاي علة يا سيدتي قالت لاني عاشقة
لمن لا ينصفني وأريد من لا يريدني ومع ذلك فاني ممتحنة بركباء فوق ركباء
قلت وهل يا سيدتي على بسطة الأرض من تريد منه ولا يريدك قالت
نعم وذلك لفضايل ما ركب فيه من الجمال والكمال والدلال قلت
وما وقوفك في هذا الدهليز قالت ههنا طريقه وهذا أوان اختياره
فقلت لها يا سيدتي فهل اجتمعتا في وقت من الاوقات أوجب حدثا
في هذا القرب فتمسست الصعداء وأرخت دموعها على خدها كطل

سقط على ورد ثم أنشأت تقول
 ولنا كغصني بانه فوق روضة * نسم جنى اللذات في عيشة رغد
 فأفرد هذا الغصن من ذاك قاطع * فيا من رأى فردا يحن الى فرد
 قلت يا هذه فما بل من عشقك لهذا الفتى قالت أرى الشمس على حائطهم
 أحسب أنها مو وبعما أراه بعتة فأبته ويهرب الدم والروح من جسدي
 وأبقى الأسبوع والأسبوعين بغير عقل فقلت لها فاعذريني فأنت على
 ما بك من الصبا وشغل البال بالهوى واقتعال الجسم وضعف القوى
 أرى بك من اللون ورقة البشرة فكيف لو لم يسلك الهوى لكنك مقتنة
 في أرض البصرة قالت والله قبل محبتى هذا الغلام كنت تحفة الدلال
 والجمال والحكمال ولغد فبنت جميع ملوك البصرة حتى أفتنى هذا الغلام
 قلت يا هذه فما الذي فرق بينكما قالت نواب الدهر ولحديني وحديثه
 شأن من الشؤون وذلك أنى كنت تعدت في يوم نير وز ودعوت عدة
 من مستطرفات البصرة من النساء الجمالات وكانت فيهن الحرراء جارية
 شيراز وكان شراؤها عليه من عمان ثمانية آلاف درهم وكانت بي رلعة
 فلما دخلت رمت بنفسها على تقطعني قرصا وعضا ثم خلون تمرن القهوة
 الى أن يدرك طعأنا ويجتمع من دعونا وكانت تلاعبني وألاعها افتارة
 أنا فوقها وتارة هي فوقى فجعلها السكرالى أن ضربت يدها الى تكى
 فحلتها من غير ربة كانت بيننا ونزات سراويلي ملاعبة فبينما نحن
 كذلك اذ دخل علينا حبيبي فرأى ذلك فاشمأزلك وصدني عني
 صدوف المهرة العربية اذا سمعت صلاصل لجسامها فولى خارجا فانا يا شيخ
 منذ ثلاث سنين أسأل بوجهه فلا ينظر الى بطرف ولا يكاتب الى
 بحرف ولا يكلم لي رسولا ولا يسمع مني قبيلا قلت لها يا هذه من العرب
 هو أم من العجم فقالت ويحك هو من جملة ملوك البصرة فقلت لها شيخ

هو أم شاب فنظرت الى شئرا وقالت انك أحق هو من القمريلة لبدرا
أجرا أمر دله طرة كحنك الغراب لا يعييه شئ غيرا حرافه عنى قلت لها
ما اسمه قالت ماذا تصنع به قلت أجهد في لعائه فاعترف الفصل بينكما
قلت على شرط أن تجعل اليه رقعة قلت لا أكره ذلك فقالت اسمه
ضمرة بن الميرة وديني بأبي لسهاء وقصره بالمربد ثم صاحت في الدار
يا جوارنا واة والقرماس وشمرت عن ساعدي كأنها طوقان
من فضة وكتبت بدم انتمية سيدي ترك الدعاء في صدر رقتي بنبي
عن صيرى ودعاني ان دعوته هجنة ورعونته ولوه أن بلوغ المجهود
يخرج عن حداته صير اكان لم تكلفته خادمك من كتابة هذه الرقعة
معنى مع بأسماءك لعلها ترسل الخواب سيدي جد بنظرة وقت
اجتيارك في الشارع الى انه هابر تحي بها نفسا مائة واخطاط بخط يدك
بسم الله بكل فضيلة رقعة واجعلها عرضا عن تلك الخلوات التي
كانت بيننا في الليالي الخاليات اني أنت ذا كرهما سيدي ألت لك
حبة مدنفه فان رجعت الى الأيسة كنت لك شاكرا وبعد خادمة
والسلام فتناولت الكتاب وخرجت فأصبحت غدوة الى باب محمد
ابن سليمان فوجدت مجلسا محتفلا بالملوك ورأيت غلاما قد ران المجلس
وفاق على من فيه جالا ومهجة قدره الامير فوقه فسألت عنه فاذا هو
ضمرة بن المغيرة فقلت في نفسي بالحقيقة حل بالمسكينة ما حل بها ثم قلت
وقصدت المربد ووقفت على باب داره فاذا هو قد ورد في موكب فوثبت
اليه وبالف في الدعاء له وناولته الرقعة ولما قرأها رافهم معاهما قال لي
يا شيخ قد استبدلناهم اهل لك أن تنظر الى المديل قلت نعم فصاح في الدار
أخرجوا الربدا فاذا أنا بجارية خابوطة الكمين ناهدة الثديين تمشي
مشية مستوجلة من غير وجل فنار لها الرقعة وقال أجيبي عنها فلما قرأتها

اصفرت وعرفت رقالت يا شيخ استغفر الله عما اجتت . فخرجت يا أمير المؤمنين وأنا أجر جلي حتى أتيتها واستأذنت عليها ودخلت فقالت ما وراءك فقلت البؤس واليأس قالت ما عليك منه وأين الله واقدّر ثم أمرت لي بخمسمائة دينار ثم جرت بعد أيام بسببها فوجدت غلمانا وفرسانا فدخلت فاذا أصحاب ضمرة يسألونها الرجوع إليه فقالت لا والله لا نظرت له وجهها فشهدت لله يا أمير المؤمنين شهادة بضمرة ونفرتي من الجارية فأوردت على منه رقعة فاذا فيها بعد التسمية سيدتي لولا ابقائي عليك أدام الله حياة - لو صفت شطرا من غدرك وبسطت شطرا غبني عليك وسلات ظلامتي إليك اذ كنت الجانية على نفسك ونفسي والمظاهرة لسوء العهد وقلة الوفاء والمؤثرة عليه اغيرنا فخالفت هواي والله المستعان على ما كان من سوء اختيارك والسلام وأوقفني على ما حمله اليهامن الهدايا والتعف العظيمة فاذا هو بمقدار ثلاثين ألف دينار ثم رأيت بعد ذلك وقد تروّج بها ضمرة فقال الرشيد لولا أن ضمرة سبقتني اليها لكان لها معي شأن من الشؤون انتهى (وحكى مسرور الخادم) قال أرى الرشيد أرفا شديد الميلة من الليالي فقال يا مسرور من على الباب من الشعراء فخرجت إلى الدهليز فوجدت جيلر معمر المذري وقلت له أجب أمير المؤمنين فقال سمعوا طاعة فدخلت ودخل معي إلى أن صار بين يدي هارون الرشيد فسلم بسلام الخلافة فردد عليه وأمره بالجلوس فقال له الرشيد يا جيلر أعمدك شيء من الأحاديث الجمية قال نعم يا أمير المؤمنين أيما أحب إليك ما عاينته ورأيت أماسمعته ووعيته فقال بل حدثني عن ما عاينته ورأيت أماسمعته قال قلت نعم يا أمير المؤمنين أقبل على بكاك واصنع لي بأذنك قال فعمد الرشيد إلى نخذة من الديباج الأحمر المزركش بالذهب محشوة بريش النعام

فجعلها تحت فخذه ثم مكن منها مرقية وقال هلم بجدي ثلك فقال اعلم
يا أمير المؤمنين أني كنت مفتونا بقناة محبها لها وكنت الغالما ذهبي
سؤلى وبغيتي من الدنيا وان أهلها رحلوا بها القلة المرحى فأقمت مدة
لم أرها ثم ان الشور ألقنى وجذبني اليها فراودتني نفسى بالمسير اليها
ولما كانت ذات ليلة من الليالى هزنى الوجد اليها فغمت وشددت رحلى
على ناقتى واعتصمت بعمتي وابست أطمارى وتلمدت بسيفى وتنكبت
بجحفتى وركبت ناقتى وخرجت طالا لها وكنت أجدنى المسير فسرت
وكانت ليلة مظلمة مدلمة وأنا مع ذلك أكابد هبوط الاودية وصعود
الجبال أسمع زئير الاسد وعوى الذئاب وأصوات الوحوش من كل
جانب وقد ذهل عقلى وطاش لى ولسانى لا يفتر عن ذكر الله تعالى
فبينما أنا أسير كذلك اذ غلبى النوم فأخذتني الساقة عن غير الطريق
التي كنت فيها وزاد على اليوم وادأنا بشىء لم أكنى فى رأسى فالتفت
فرع امرعوباً فاذا أنا بأشجار وأنهار وماء وأطيار على تلك الاغصان
ترعق باغاتها وأحلامها وأشجار تلك المريج مشتبكة بعضها ببعض ونزلت
عن ناقتى وأخذت زمامها بيدي ولم أرل ألتطف بها الى أن خرجت بها
من تلك الاشجار الى أرض فلاة فأصلحت كورها واستويت راكبا على
ظهرها ولا أدري الى أين أذهب ولا الى ما تنسوقنى الاقدار فددت
نظرى فى تلك البرية فلاحت لى نار فى صدرها فوكرت ناقتى وصرت
طالبا الى أن وصلت الى تلك النار فقربت منها وتأنلت واذا بجباء
مضروب ورمح مرسوز وراية قائمة وخيل واقفة وابل سائمة نقلت
فى نفسى يوشك أن يكون لهذا الجباء شأن عظيم فاني لا أرى فى هذه
البرية سواه ثم تقدمت الى خلف الجباء وقلت السلام عليه كم يا أهل
الجباء ورحمة الله وبركاته فخرج الى من الجباء غلام من أبناء تسعة عشر

سنة كأنه البدر إذ أشرق والشجاعة لا تثنى بين عينيه فقل وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا أبا العرب اني أظنك ضالاً عن الطريق وقلت الامر كذلك أرشدني برحمتك الله تعالى وقال يا أبا العرب ان بلديا هذه مسبعة وهذه الليلة مظلمة موحشة شديدة الظلمة والبرد ولا آمن عليك من الوحش أن يقتربك فازل عندى على الرحب والسعة فاذا كان انعدأرشدت الى الطريق قال فنزلت عن ناقتي وعقلته ابفاضل زمامها ونزعت ما كان على من أطمار وجلست ساعة واذا بالشاب قد عمد الى شاة فذبحها ولى مارفاً ضربها وأججها ثم دخل الى الخبأ وأخرج أجزارا ناعمة ولحماً مطبياً وأقبل يقطع من ذلك اللحم ويشوى على النار ويطعمنى ويتهد تارة ويهككى تارة أخرى ثم نهق شهقة عظيمة وبكى بكاء شديداً وأشد يقول

لم يبق الانفس خات * ومقلته انساها ايت
لم يبق فى أعضائه فصل * الا وفيه سقم ثابت
فدمعه جار وأحشاؤه * تودد الا أنه ساكت
تبكى له أعداؤه رحمة * يا وى من يرى له الشامت

قال جميل فعند ذلك يا أمية المؤمنين علمت أن الغلام عاشق ولها من لا يعترف لهوى الامن ذاق طم لهوى فقلت فى نفسى أنا فى منزل الرجل وأنهم يحجم عليه فى السؤال وردعت نفسى وكتلت من ذلك اللحم بحسب الكفاية فلما سرغنا من الاكل قام الشاب ودخل الخبأ وأخرج طشتاً نظيفاً وأربقاً حسناً ومنديلاً من الحرير وأطرافه مزركشة بالذهب الاحمر وقمقماء وءامن الماء ورد المسك قال فتهدت من طرفه ورقة حاشية * وقلت فى نفسى ما أغرب الظرف فى البادية ثم غسلنا أيدينا وتحدثنا ساعة ثم انه قام ودخل الى الخبأ وقطع بينى

وبينه بمقطع من الديباج الأحمر ثم خرج وقال ادخل يا وجه العرب وخذ
مضجك فقد لحقت في هذه الليلة تعب وفي سفرك هذا نصب مفرط
قال جميل فدخلت فاذا أنا بفراش من الديباج الأخضر فعند ذلك
نزع ما كان على من الثياب ونمت بليلة لم أتم عمري ليلة مثلها فلم أزل
كذلك وأنا متفكر في أمر هذا الشاب إلى أن جن الليل وامت العيون
فلم أشعر إلا بحس خفي لم أسمع اللطف منه ولا أرق حاشية فرفعت سهاف
المضرب ونظرت وإذا أنا بصبيبة لم أر أحسن منها وجهاً وهي إلى جانبه
وهما يبكيان ويتشاكيان ألم الهوى والصباية والجوى وشدة اشتياقهما
إلى التلاق فقلت بالله العجب من هذا الشخص الثاني وإذا فرد بيت
فاني لم أرفيه غير هذا الفتى وليس حوله أحد ثم قلت في نفسي لاشك
أن هذه الجارية من بنات الجن تهوى هذا الغلام وقد عردها في هذا
المكان وتقررت به فحققتها فاذا هي انسية عربية اذا رقت تحبيل
الشمس المضيئة وقد أضاء الخباء من نور وجهها فلما تحققت أنها محبوبة
غلبتني الغيرة على الحب فأرخت الستر وغطيت وجهي ونمت فلما
أصبحت لبست ثياباً وتوءأت لصلاقي وصليت ما كان على من الفرض
ثم قلت له يا أبا العرب دل لك أن ترشدني إلى الطريق فقد تفضلت على
فنظر إلى وقال على رسلك يا وجه العرب الضيافة ثلاثة أيام وما كنت
بالذي يدعك الاثلاثة أيام قال جميل فأقمت عنده ثلاثة أيام فلما
كان اليوم الرابع جلست للحديث فحادثته وسألته عن اسمه ونسبه
فقال أمانسي فأنا من بني عذرة وأنا فلان ابن فلان وعي فلان فاذا هو
ابن عي يا أمير المؤمنين وهو من أشرف بيت في بني عذرة قال فقلت يا ابن
العم ما حملك على ما أراه منك من الانفراد في هذه البرية وكيف تركت
عبيدك وامائك وانفردت بنفسك في هذا المكان فلما سمع

يا أمير المؤمنين كلامي تفرغرت عيناه بالبكاء ثم قال يا ابن العم انني كنت
محباً لابنة عبي مفتوناً بها ها أنا بما يحسنون عليها لأطبق الفراق عنها
فزاد عشقي لها فخطبتهم ان عبي فأني أن تزوجنيها وزوجها من رجل
من بني عذرة ودخل بها وأخذها إلى الخلة التي هو فيها من العام الأول
فلما بدت عني وحجبت عن النظر إليها حملتني لوعات الحمى وشدة الشوق
والجوى على تركي أهلي ومفارقة عشيرتي وخلاني وجميع نعمتي
وانفردت بهذا البيت في هذه البرية وألفت وحدتي فقلت وأين أيتها
قال هم قريب في ذروة هذا الجبل وهي كل ليلة عند نوم العيون وهودق
من الليل تنسل من الحى سرا بحيث لا يشعر بها أحد فأقضى منها
بالحديث وطرا وتقصي هي كذلك وها أنا مقيم كذلك على هذا الحال
أتسلى بها ساعة من الليل ليقضى الله أمرا كان مفعولا أو يأتيني الأمر
على رغم الحاسدين أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين قال جميل لما
حدثني الغلام يا أمير المؤمنين غنى أمره وصرت من ذلك في حيرة لما
أصابني عليه من الغيرة فقلت له يا ابن العم هل لك أن أدلك على حيلة
أسير بها عليك وفيها إن شاء الله عين الصلاح وسبيل الرشيد والحق
وبها يفرج الله عليك الذي تخشاه فقال لي قل يا ابن العم فقلت له إذا كان
الليل وجاءت الجارية فأطرحها على ناقتي فأنها سرية الرواح واركب
أنت جوادك وأنا أركب بعض هذه البوق وأسير بكم الليلة جميعها فما
يصبح الصباح الا وقد قطعت بكم براري وقفارا وتكون قد بلغت مرادك
وظفرت بمحبوبة قلبك وأرض الله واسعة فضاها وأنا والله مساعدك
ما حيت بروحي ومالي وسيفي فلما سمع ذلك قال لي يا ابن العم حتى
أشاورها في ذلك فانها عاقله لبينة بصيرة بالامور قال جميل فلما جن
الليل وحان وقت مجيئها وهو منتظر الوقت المعلوم فأبطأت عن عاداتها

فرايت الفتى وقد خرج من باب الخباء وقع فاه وجعل ينسهم بوب
الريح الذي يب من نحوها وأنشد يقول

ريح الصبا تهدي الى نسيم * من بلدة فيها الحبيب مقيم
ياريح ويلك من الحبيب علاقة * أفتعلمين متى يكون قدوم

ثم دخل الخباء وقعد ساعة زمانية وهو يبكي ثم قال لي يا ابن العم ان
بذت عني في هذه الليلة نبأ وقد حدث لها حادث وعاقها غنى عائق ثم قال
لي كن مكانك حتى آتيك بالخبر ثم أخذ سيفه وحققه ثم غاب عني
ساعة من الليل ثم أقبل وعلى يده شيء يحمله ثم صاح الى فأسرعت اليه
فقال أتدرى يا ابن العم ما الخبر فقلت لا والله فقال امد فجمعت في انة
عني في تلك الليلة لانها كانت توجهت اليها كعادتها اذ عرض لها
في طريقها أسد فافترسها ولم يبق منها الا ما ترى ثم انه طرح ما كان
على يده فاذا هو مشامش الجارية وما فضل من عظامها ثم بكى بكاء
شديدا ورمى لترس من يده وأخذ كساء على يده ثم قال لي لا تبرح
الي أن آتيك ان شاء الله تعالى ثم سار فغاب عني ساعة ثم عاد ويده
رأس الاسد فطرحه عن يده ثم طلب ماء فأتيته به فغسل ثم الاسد
وجعل يقلبه ويبكي ويثن وزاد حزنه عليها وأنشد يقول

ألا أيها الليث المغرب نفسه * هلكت لقد هيئت لي بعد ما شجنا
وصيرتني فردا وقد كنت الفها * وصيرت بطن الارمل لي ولها وطننا
أقول لدمر خانني بفراقها * وعار عليها أن أكون لها خزا

ثم قال يا ابن العم سألتك بالله وبحق القرابة والرحم التي بيني وبينك
الاحفظت وصيتي انك ستراني الساعة ميتا بين يديك فاذا كان كذلك
فغسلني وكفني أنا وهذا الفاضل من مشامش الجارية في هذا الثوب
وأدفني في قبر واحد واكتب على قبرنا هذه الابيات وأشأ يقول

كنا على ظهرها والعيش في رغد * والشمل مجتمع والدار والوطن
 ففرق الدهر والتصريف القتنا * وصار يجمعنا في بطنها الكفن
 قال ثم بكى بكاء شديدا ثم دخل المضرب وغاب عني ساعة وخرج
 وجعل يتهدو ويصيح ثم شفق شهقة فارق الدنيا فلما رأيت ذلك منه عظم
 على وكبر عندي حتى كدت أن ألحق به من شدة حزني عليه ثم تقدمت
 إليه وفعلت به ما أمرني من الغسل وكفنتهما جيما ودفنتهما في قبر
 واحد وأقمت عند قبرهما ثلاثة أيام ثم اتجملت وأقمت سنين أنتردد
 إلى زيارتهما وهذا ما كان من حديثهما يا أمير المؤمنين قال فلما سمع
 الرشيد كلامه استعسفه وخلع عليه وأجازة جائزة حسنة والله أعلم
 (حكاية أجنبية) قال اسحاق بن إبراهيم الموصلي بينما أأدات يوم
 في منزلي وكان زمن الشتاء وقد انتشرت السهب وراكمت الأمطار
 بقطر كافوا القرب وامتنع الغادي والمقبل من المسير في الطرقات
 لما فيها من الأمطار والوحل وأنا ضيق الصدر اذ لم يأمن أحد من أخواني
 ولم أقدر على المسير إليهم من شدة الوحل والطين فقلت لغلامي احضر لي
 ما أتشأغل به فأحضر لي طعما ما وشرا باقتنصته اذ لم يكن معي
 من يؤنسني ولم أزل أنطلع من الطاقات وأراقب الدورات وأقبل الليل
 فتذكرت جارية لبعض أولاد المهدي كت أمهاها وكانت عارفة
 بالغناء وتحريك الملاهي فقلت في نفسي لو كانت الليلة عندنا
 لقم سروري وطابت لي ليلتي مما أنا فيه من الفكر والقلق واذا بدق
 يدق الباب وهو يقول أيدخل محبوب على الباب واقف *
 فقلت في نفسي لعل غرس التمني أثمر فقممت إلى الباب فاذا بصاحبي
 وعليها مرط أخضر قد انتشت به وعلى رأسها وقاية من الدياج
 قعيها من المطر وقد غرقت في الطين إلى ركبتها وابتل ما عليها

من المزاريب وهي في قالب عجيب فقلت لها ياسيدي في ما الذي أتى بك في مثل هذه الأحوال فقالت فاصدك جاءني ووصف ما عندك من الصبابة والشوق فلم يسهني الا الاجابة والاسراع نحوك وحببت من ذلك وكرهت أن أقول لها أتى لم أرسل اليك أحدا فقلت الحمد لله على جمع الشمل بعد ما فاسيت من ألم الصبر ولو كنت أبطأتني على ساعه كمت أحق بالسعي اليك لانني مشاؤ اليك كثيرا الصبابة نحوك ثم قلت لعلامي هات الماء فأقبل بسفانة فيها ماء حار حتى أصلح لها حالها ثم أمرته أن يصب الماء على رجليها وتولين غسلها ثم دعوت بدلة من أفخار الملبوس فألبستم اليها بعد أن نزعنا ما كان عليها وجلسنا ثم استدعيت بالطعام فأبنت فقلت هل لك في الشراب فعالت نعم فتناولت أقدا حاتم قالت من يغني لي فقلت لها أنا ياسيدي فعالت لا أحب فقلت بعض جواري قالت لا أريد فقلت غني لنفسك قالت ولا أنا قلت فمن يغنيك قالت اخرج التمس من يغني لي فخرحت طاعة لها الا أني آيس من أن أجد أحدا في مثل هذا الوقت فلم أرل حتى بلغت الشارع فادا أنا بأعني يختبئ الارض بعصاه وهو يقول لا جزى الله من كنت عندهم خيرا ان غيت لم يسمعوا لي وان سكنت استخفوا لي فقلت أمغن أنت قال نعم قلت فهل لك أن تم لي ليك عندنا وتؤانسنا قال ان شئت خذي بيدي فأخذت بيده وسرت الى الدار وقلت لها ياسيدي أتيت بمن أعني نلذبه ولا يرانا فقالت على به فأدخلته وعزمت عليه في الطعام فأكل أكلا لطيفا وغسل يده وقدمت اليه الشراب فشرب ثلاثة أقداح ثم قال لي من تمكن قلت اسهاف بن ابراهيم الموصلي قال لقد كنت أسمع بك والان فرحت بما دمك فقلت ياسيدي فرحت بمن يسرك فقال غني يا سهاف فأخذت العود على

سبيل المجنون وقلت السمع والطاعة فلما أن غنيت وانقضى الصوت قال
يا اسحاق قاربت أن تكون مغنيا فصغرت على نفسي وألقيت العود
من يدي فقال ما عندك من يحسن الغناء قلت هندی جارية قال مرها
فلتغن قلت تغني وأنت واثق بغناها قال نعم فغنت قال ما صنعت
شيأ فرمت العود من يدها مغضبة وقالت الذي عندنا جذا به فان كان
عندك شيء فتصدق به فقال على بعود لم تسمه يد فأمرت الخادم فجاء
بعود جديد فضرب في طريق لا أعرفها واندفع يغني هذه الابيات
سرى يقطع الظلماء والليل عاكف * حبيب بأوقات الزيارة عارف
وما راعنا الا السلام وقولها * أيدخل محبوب على الباب واقف
قال فنظرت الى الجارية شذرا وقالت سريني وبينك ما وسعه صدرك
ساعة وأودعته لهذا الرجل فحلفت لها واعتذرت اليها ثم أخذت
أقبل يديها وأدغدغ نديها وأعض خديها حتى ضحكت ثم التفت الى
الاعى وقلت غن ياسيدي فأخذ العود وغنى هذه الابيات

الأربما زرت المـلاح وربما * لمست بكفي للبنان المنضبا
ودغدغت رمان الصدور ولم أزل * أعضض تفاح الحدود المسكتبا
فقلت لها ياسيدي فن أعلمه بما نحن فيه قالت صدقت ثم تجنبناه فقال
اني لحاقن فقلت يا غلام الشمعة وامض بين يديه فخرج وأبطأ فخرجنا
في طلبه فلم نجده وإذا الابواب مغلقة والمفاتيح في الخزانة فلا ندري
أفي السماء سعد أو في الأرض هبط فعلمت أنه ابليس وأنه قاذي
ثم انصرف فتذكرت قول أبي نواس حيث قال

عجبت من ابليس في كبره * وخبت ما أضمر في نيته
ناه على آدم في سجدة * وصار قوادا لذريته
وفضير ذلك مما يستغرف لابي نواس ما حكى عنه أنه قال ضحرت

من ملازمة أمير المؤمنين هارون الرشيد حتى اني لم أجد فراغا الى نفسي
فتوجه أمير المؤمنين الى السرح ليبيت فيه ثم يعود فوجدت لروحي
فرصة فدخلت دارى وأغلقت بابى وأحضرت شرابا وطلبت نفسي
الحلوة فعند المساء واذا بالباب يطرق فخرجت واذا أنا بظلي من
أولاد الاتراك ما رأيت عيني أحسن منه منظرا فسلم على وقال لى
أقبل ضيفا قلت ياسيدى ومن لى بذلك فدخل بيتى فحمار عقلي عند
دخوله ثم أخرج من تحت ثيابه سلاحية شراب ونقلا وشيئا من الدجاج
ثم شرب وغنى شيئا لم أسمع به من غيره وقضيت مرادى منه مرارا الى أن
مضى وقت من الليل وقد هام عقلي من الشراب ومن حسنه ومن تسليم
نفسه الى بغير تقديم عوض ثم قال ياسيدى أريد الانصراف فقلت له
ياسيدى متى خرجت أنت خرجت روحي من جسدى وكل شىء أملكه
بين يديك وأنا أصير عبدك بعد هذا اليوم ولا أفارقك قال أصحيج ما تقول
قلت نعم قال ما أنا محتاج الى مالك وإن كنت صادقا فيما ادعيت من
محبتك قم واحلق لحيتك وشاربك وتقدم مثلى أمرد قال فحكم على السكر
والعشق فإقدرت أن أخالقه فأجبت به الى ذلك على أنه يبات عندى
فعمد الى موسى وبل لحيتى وفي الحال أنزلها وبقيت مثله أمرد ثم صار
يضحك على وقال يا أبانواس كيف الشعر الذى ذكرت فيه آدم
وابليس فأنشدنيه فأنشدته قائلا

عجبت من ابليس فى كبره * ونخب ما أضمر فى نيته

قام على آدم فى سجدة * وصار قوادا لذريته

ثم ضحك ضحكا عاليا وصل على ساحل قفاه صكاز عجا فآغظت منه

ثم قلت له ويلك أنفعل بى هكذا ثم أردت التطلع اليه فإوجدت أحدا

يحيينى فقلت انه الملعون ابليس انتهى وقال بعضهم

قد جاءني بالليل أبو مرة * ابليس يدعوني بلا ترجان
 وقال هل لك في أمرد * يهز من أعطافه غصن بان
 قلت نعم قال وفي خرة * حباها يحكي عقود الجمان
 قلت نعم قال فتم آمننا * فأنت رئيس هذا الزمان
 وقال أبو نواس

وليلة طال سهادي بها * فزارني ابليس عند الرقاد
 وقال هل لك في فحبة * ليبية تطرد عنك السهاد
 قلت نعم قال وفي قهوة * عتقها العاصر من عهد عاد
 قلت نعم قال وفي مغارب * اذا شذا يطرب منه الجهاد
 قلت نعم قال وفي شادن * قد كحلت أحفانه بالسواد
 قلت نعم قال وفي طفلة * في وجنتيها للحياء انقياد
 قلت نعم قال فتم آمننا * يا كعبة الفسق وركن الفساد
 وقال زين الدين بن الوردى معارضاً لذلك

نمت وابلِس أتى * بحيلة منتهده
 فقال ما قولك في * حشيشة منقبة
 فقلت لا قال ولا * خرة كرم مذهبه
 فقلت لا قال ولا * مليحة مطيه
 فقلت لا قال ولا * أغيد بالبدر اشتبه
 فقلت لا قال ولا * آله لهو مطربه
 فقلت لا قال فتم * ما أنت الا حطبه

وحضر أبو نواس عند الرشيد ليلة انس وكان أبو طوق حاضراً وكان أبو
 نواس مشغولاً بحسنه وجماله فلما انقضى المجلس أخذ كل واحد
 مضجعا للنوم فخاف الخليفة من أبي نواس على أبي طوق فقال الخليفة

لابي طوق نعم أنت على السرير وقال لابي نواس أنا ما أنا أنت أسفل
 السرير فقال سمعوا طاعة وهو بذلك غير راض في نفسه وتغافل الخليفة
 عن أبي نواس وأظهر النوم ثم انبته فوجد أبا نواس فوق السرير يجنب
 أبي طوق يضمه ويعانقه فقال ما هذا يا أبا نواس فقال هزني الشوق
 من أجل أبي طوق فمدحرت من أسفل جئت الى فوق فقال له
 فانك الله انتهى من حلبة الكاميث * (ومن غريب ما يحكى) *
 ما حكاه الهاضي أبو الحسن للتدوخي في كتاب الفرج بعد الشدة ان
 منارة كان صاحب شرطة ارشيد قال رفع الى هارون ارشيد
 أن رجلا بدمشق من بقايا بني أمية عظيم المال كثير الجاه مطاع
 في البلد له جماعة وأولاد ومماليك يركبون الخيل ويحملون السلاح
 ويعززون الروم وأنه سمع حواد كثير البذل والضيافة وأنه لا يؤمن منه
 فعظم ذلك على الرشيد قال منارة وكان وقوف الرشيد على هذا وهو
 بالكوفة في بعض حججه في سنة ست وثمانين ومائة وقد عاد من الموسم
 وقد بايع للأمين والمأمون والمعتمد أولاده مدعاني وهو خال وقال لي
 دعونك لأمريه مني وقدمه معي النوم فانظر كيف يكون ثم قص على خبر
 الاموى وقال اخرج الساعة فقد أعددت لك الخيول وأرحت علك
 في الزاد والنفقة والآلة واتضم اليك مائة غلام واسلك البرية وهذا
 كتابي الى نائب دمشق وهذه قيمودقايد أبا الرجل فان سمع وأطاع
 فقيده وجثني به وان عصي فتوكل عليه أنت ومن معك لتلا يهرب
 وأنفذ الكتاب الى أمير دمشق ليكون مساعدا واقبضا عليه وجثني به
 وأجلك لذهابك ستا ولا يابك ستا ويوما المقام وهذا محمل تجعله
 في شقة منه اذا قيده وتقع أنت في الشقة الاخرى ولا تسكل حفظه
 الى غيرك حتى تأتيني به في الثالث عشر يوما من خر وجك فاذا دخلت

داره فتفقدوها وجميع ما فيها واهله وولده وحاشيته وغلماؤه وقد رنمته
والحال والمحل واحفظ ما يقوله الرجل حرفا بحرف من الفاظه منذيق
طرفك عليه حتى تأتيني به واياك أن يشك عليك شيئا من أمره انطلق
قال منارة فودعته وانطلقت وخرجت فركبت الابل وسرت أطوى
المازل أسير الليل والنهار ولا أنزل الا للجمع بين الصلاتين والبول
وتفيس الناس قليلا الى أن وصلت الى دمشق في أول الليلة السابعة
وأبواب البلد مغلقة فسكرت طروقها ليلا فبت بظاهر البلد الى أن فتح
بابها من غد فدخلت على هيئتي حتى أتيت باب الرجل وعليه صف
عظيم وحاشية كثيرة فلم أستاذن ودخلت بغير إذن فلما رأوا القوم
ذلك سألوا بعض من هم معي عنى قال هذا منارة رسول أمير المؤمنين الى
صاحبكم قال فلما صرت في محض الدار نزات ودخلت مجلسا رأيت فيه
قوما جالوسا فظننت ان الرجل فيهم فقاهوا ورجبوا بي قلت أفيكم
فلان قالوا لا نحن أولاده وهو في الحمام فقامت استعجلته فضى بعضهم
يستعجله وأنا أتفقد الدار والاحوال والحاشية فوجدتها ماجت
بأهلها موجا كثيرا فلم أزل كذلك حتى خرج الرجل بعد أن طال مكثه
واستربت منه واشتد قلقي وخوفي من أن يتوارى الى أن رأيت شخصا
برزى الحمام يمشى في محض الدار وحواليه جماعة كهول وأحداث
وصبيان وهم أولاده وغلماؤه فقلت انه الرجل فجاء وجلس وسلم على
سلاما خفيا وسألني عن أمير المؤمنين واستقامة أمر حضرته فأخبرته
بما وجب وما قضى كلامه حتى جاؤا بأطباق فأكهة فقال تقدم يا منارة
وكل معنا فقامت مالى الى ذلك من سبيل فلم يعاودنى فأكل هو ومن معه
ثم غسل يديه ودعا بالطعام فجاءوا اليه بمائدة حسنة لم أر مثلها
الا لل خليفة فقال يا منارة وساعدنا على الاكل لا يزيدنى على أن يدعوني

باسمى كما يدعوني الخليفة فامتنعت عليه فساء ودنى فأكل هو ومن معه
وكانوا تسعة من أولاده فتأملت أكله في نفسه فوجدته يأكل أكل
الملوك ووجدت ذلك الاضطراب الذى كان فى داره قد سكن ووجدتهم
لا يرفعون شيئا من بين يديه وقد وضع على المائدة الاتميا غيره حالا أعظم
وأحسن منه وقد كان غلامه أخذوا المائزات الى الدار مالى وغلماي
وعد لواهم الى دار أخرى فأطاقوا مما نعتهم وبقيت وحدى وليس بين
يدى الا خمس أو ست غلمان وقوف على رأسى فقلت فى نفسى هذا جبار
تحميد فان امتنع من الشخص لم أطلق انشغاصه بنفسى ولا بمن معى
ولا حفظه الا أن يلحقنى أمير البلد وجزعت جزعا شديدا ورأيت منه
استخفافه وتهاونه بأمرى يدعوني باسمى ولا يفكر فى امتناعى من
الاكل ولا يسأل عما جئت به وبأكل مطمشا وأنا مفكر فى ذلك فلما
فرغ من أكله وغسل يديه دعا بالبخور فتبخر وقام الى الصلاة وصلى
الظاهر وأكثرت الدعاء والابتهال ورأيت صلاته حسنة فلما انتقل من
المحراب أقبل على وقال ما أقدمك يا منارة فأخرجت كتاب أمير المؤمنين
ودفعته اليه ففضه وقرأه فلما استتم قراءته دعا أولاده وحاشيته فاجتمع
منهم خلق كثير فلم أشك أنه يريد أن يوقع بى فلما تكاملوا ابتدأ فحلف
أيما نا غليظة فيها الطلاق والعناق والحج والصدقة والوقف أن لا يجتمع
اثنان فى موضع واحد وأمرهم أن ينصرفوا ويدخلوا منازلهم ولا يظهر
الى أن ينكشف لهم أمر يعتمدون عليه وقال هذا كتاب أمير المؤمنين
بالمضى اليه ولست أقوم بعد نظرى فيه ساعة واحدة واستوصوا بمن
ورأى من الحرم خير او مالى حاجة أن يصحبني أحدها فيؤدك يا منارة
فدعوت بها وكانت فى سفطه ومد ساقيه فقيدته وأمرت غلماي بحمله
حتى صار فى المحل وركبت فى الشق الآخر ومرت من وقنى ولم ألاق

أمير البلد ولا غيره وسرت بالرجل وليس معه أحد إلى أن صرنا بظاهر
 دمشق فابتدأ يمدني باليساط حتى انتهينا إلى بستان حسن في الغوطة
 فقال لي أترى هذا قلت نعم قال انه لي وقال ان فيه من غرائب الاشجار
 كيت وكيت ثم انتهى إلى آخره قال مثل ذلك ثم انتهى إلى مزارع حسنة
 وقرى فقال مثل ذلك ثم انتهى إلى ما شئت غنطلي منه ونازلت ألت تعلم ان
 أمير المؤمنين أهدى أمرك حتى أرسل اليك من انزعك من بين أهله
 ومالك وولده وأخرجك وحيداً فريداً مقيداً مغلولاً ما تدرى إلى ما يصير
 إليه أمرك ولا كيف يكون وأنت فارغ القلب من هذا حتى تصف
 ضياعك وبساتيدك بعد ان جئت وأنت لا تعلم فيما جئت به وأنت
 ساكن القلب قليل الفكر لقد كنت عندي شيخاً فاضلاً فمال لي بحبيبا
 أنا لله وأنا إليه راجعون أخطأت فراستى فيك لقد ظننت انك رجل
 كامل العقل وانك ما حلت من الخلفاء هذا المحل الا ما عرفوك فاذا
 دناك وكلامك يشبه كلام العوام والله المستعان أما قولك في أمير
 المؤمنين وازواجه واخراجها إلى بابيه على صورتى هذه فاني على
 ثقة من الله عز وجل الذي بيده ناصية أمير المؤمنين ولا يملك أمير
 المؤمنين لنفسه نفعا ولا ضرا الا بادن الله عز وجل ولا ذنب لي عند أمير
 المؤمنين أخافه وبعد فادع عرف أمير المؤمنين أمرى وعرف سلامتى
 وصلاح ناصيتى سر حتى مكر ما فان الحسداء والاعداء رموني عنده بما
 ليس في وتقولوا على الاقاويل الكاذبة ولم يسجل دمي ويخرج من
 ابداءى وازواجه ويردني مكرما ويقيمني ببازمه معظما معجلا وان كان قد
 سبق في علم الله عز وجل انه يبدول منه سوء وقد اقترب أجلى وكان
 سفك دمي على يده فلو اجتمعت الملائكة والانبيا وأهل الارض
 والسماء على صرف ذلك عني ما استطاعوا فلم أتعجل الفكرة فيما فرغ الله

منه واني أحسن الظن بالله الذي خلق ورزق وأحيى وأمات وان الصبر
والرضا والتسليم الى من يملك الدنيا والآخرة وقد كنت أحسب انك
تعرف هذا فاذن قد عرفت مبلغ فهمك فاني لا أكلم بكلمة واحدة
حتى يفرق بيننا أمير المؤمنين ان شاء الله تعالى ثم أعرض عني فإسمعت
منه لفظة غير القرآن والتسبيح أو طلب ماء أو حاجة حتى شارفنا
الكوفة في اليوم الثالث عشر بعد الظهر والتعب قد استقبلتني قبل ستة
فراسخ من الكوفة يقبسونوا خبري فحين رأوني رجعوا عني متقدمين
بالخبر الى أمير المؤمنين فأنتهيت الى الباب في آخر النهار فخططت رحلي
ودخلت على الرشيد وقلت له رزق بين يديه ووقفت فقال هـت
ما عندك يا منارة وياك أن تعفل منه عن لفظة واحدة فسقت
الحديث من أوله الى آخره حتى انتهيت الى ذكر النكاح والاعمال
والغسل والبخور وما حدثتني به نفسي من امتناعه والغضب يظهر
في وجه أمير المؤمنين ويتزايد حتى انتهيت الى فراغ الامور من الصلاة
والتغاية الى وسؤاله عن سبب قدومي ودفعي الكتاب اليه ومبادرته
الى احضار ولده وأهله وأصحابه وحلقه عليهم أن لا يتبعه أحد وصرفه
ايامهم ومدرجليه فقيده فما زال وجه الرشيد يسفر فلما انتهيت الى
مأخاطيني به عند توخي لي لما ركبنا في المحمل فقال صدق والله ما هذا
الارجل محسود على النعمة مكذوب عليه ولعمري لقد أزعجناه وأذناه
ورعنا أهله فبادر بنزع قيوده وأتتني به قال فخرجت فنزعت قيوده
وأدخلته الى الرشيد فها هو الا ان رآه حتى رأيت ماء الحياة يحول
في وجه الرشيد فدني الاموي وسلم بالخلافة ووقف فرد عليه الرشيد
ردا جيلا وأمره بالجلوس فجلس وأقبل عليه الرشيد ففسأله عن حاله
ثم قال له بلغنا عنك فضلا هيبا وأمورا حبيبا معها أن نراك ونسمع كلامك

ونحسن اليك فاذا كراجتكم فاجاب الاموي جوابا جلا وشكروا
 ثم قال ليس لي عند أمير المؤمنين الحاجة واحدة فقال مقضية فما هي
 قال يا أمير المؤمنين تردني الى بلدي وأهلي وولدي قال نفعل ذلك ولكن
 سئل ما تحتاج اليه من مصالح جاهلك ومعاشك فان مثلك لا يخرج
 الا ويحتاج الى شيء من هذا فقال يا أمير المؤمنين عمالك منصفون وقد
 استغنيت بعد لهم عن مسألتى فأمرى مستغنية وكذلك أهل بلدي
 بالعدل الشامل في ظل أمير المؤمنين فقال الرشيد انصرف محفوظا
 الى بلدك واكتب النبا بأمران عرض لك فودعه الاموي فلما ولى
 خارجا قال الرشيد يا منارة اجلهم وقتك وسريره راجعا كما سيرته حتى
 اذا وصلت الى مجلسه الذي أخذته منه فودعه وانصرف قال منارة
 فما زلت معه حتى انتهى الى محله ففرحت به أهله وأعطاني عطاء جريلا
 وانصرفت والله أعلم وهذه الحكاية على سبيل الاختصار (حكى)
 أن الخليفة هارون الرشيد قلق في بعض الليالي ففقا شديدا فاستدعى
 وزيره جعفر البرمكي وقال له يا وزير ان صدرى ضيق ومرادى الليلة
 التفرج في شوارع بغداد ونظر في مصالح العباد بشرط أن لا يعرفنا أحد
 من الناس ونترى يابزى التجار الا يكاس فقال له الوزير السمع والطاعة
 فقاموا في الوقت والساعة قلعوا ما عليهم من ثياب الملك والانتخار
 ولبسوا ثياب التجار الخليفة والوزير جعفر ومسرور والسياف الاكبر
 وتمشوا من مكان الى مكان حتى وصلوا الى الدجلة فرأوا بالامر المتسددور
 شيخا قاعدا في مخشور قنقه مواليه وسلموا عليه وقالوا له يا شيخ نشتهي
 من احسانك وفضلك أن تفرجنا الى الله في مركبك وخذهذين
 النيرانين أجرتك وانفع بهما فقال لهم الشيخ من الذي يقدر على الفرجة
 والخليفة هارون الرشيد ينزل كل ليلة في حراقة صغيرة الى الدجلة

ومعه منادى ينادى معاشر الناس كافة جيد وردى شيخ وصبي
خاص وعام صبي أو غلام كل من نزل في مركب في الليل وشق الدجلة
ضربت عقه أو شق على صاري مركبه وكأنتكم الساعة بالحرقاة وهي
مقبلة فقال له الخليفة هارون الرشيد وجهه فر البرمكي يا شيخ خذ
هذين الدينارين وادخل بناقبوا من هذه الاقبية الى أن تروح الحرقاة
فقال لهم الشيخ هاتوا الذهب والمستعان بالله فأخذ الذهب وعمومهم
قالوا واذا بالحرقاة قد أقبلت من كبد الدجلة وفيها الشموع والمشاعل
فقال لهم الشيخ ما قلت لكم يا ستار لا تكشف الاستار فقال الخليفة
هارون الرشيد والوزير جعفر البرمكي ادخل بنا يا شيخ في قبو
من الاقبية حتى تمضي هذه الحرقاة فدخل بهم الى قبو ووضع عليهم
منزرا أسود وصاروا يتفرجون من تحت المنزر واذا بالحرقاة قد أقبلت
والشمع يوقد فيها واذا في مقدم الحرقاة مشاعل على يده مشعل من الذهب
الاحمر يوقد فيه بالعود القاقلي وعلى المشاعل قباء أطلس أحمر بطراز
مركزش أسفر وعلى رأسه شاش موصل وعلى كتفيه مخلاة من الحرير
الاخضر ملائحة من العود القاقلي وهو يوقد به عوض الخطب ومشاعل على
آخر في مؤخر الحرقاة مثله ومائتي مملوك واقفين ميمنة وميسرة وكرسی
منصوب من الذهب الاحمر وعليه شاب حسن جالس كالغمر وعليه
خلعة سوداء به ارازين من الذهب الاصفر وبين يديه انسان كأنه
الوزير جعفر وعلى رأسه خادم واقف كأنه مسرور بسيف مشتهر
وعشرون نديما فقال الخليفة يا جعفر قال لبيك يا أمير المؤمنين قال
لعل أن يكون هذا أحداً ولأدى أما المأمون أو محمد الأمين فلما وصلت
الحرقاة اليهم واذا بالمشاعل على ينادى معاشر الناس كافة الخصاص
والعام الحميد والردى والعبد والغلام جهات وات وغير جهات وات

قد رسم خليفتنا هذا ان كل من تفرج في الدجلة أوفتح طاقته
 حل ماله وضربت رقبته ومن لا يصدق يعرب ❦ قال فتأمل الخليفة
 هارون الرشيد في الشاب وهو جالس على كرسي من الذهب قد كل
 بالحسن والجمال والبهاء والكمال قدر المنصب فلما قام له هارون الرشيد
 التفت الى الوزير وقال يا وزير قال له ليلى يا أمير المؤمنين قال والله
 ما أبقي شيئاً من شكل الخلافة وهذا الذي بين يديه كأنه أنت
 يا جعفر لا محالة والخادم الذي على رأسه كأنه مسرور هذا وهؤلاء
 الندماء كأنهم يدماى ❦ وقد مار عقلي في هذا الامر فقال له الوزير
 وأنا والله يا أمير المؤمنين كذلك ثم تقدمت الحراقة الى أن عابت
 عن العين فعند ذلك خرج الشيخ بالشعور التي فيه الجماعة من تحت
 القبو وقال الحمد لله على السلامة الذي لم يصادفنا فقال له الخليفة
 يا شيخ هذا الخليفة ينزل كل ليلة في الدجلة قال نعم يا سيدي له على هذه
 الحالة سنة كاملة فقال له الخليفة يا شيخ نشتعي من فسادك واحسانك
 أن تقبل لنا الليلة غد في هذا المكان ونحن نعطيك خمسة دنانير فانا قوم
 غرباء وقصدنا التزهد ونحن نازلون في الفندق فقال الشيخ السمع والطاعة
 قال ثم ان الخليفة وجعفر ومسرور توجهوا من عند الشيخ المراكبي الى
 القصر وقلعوا ما عليهم من لبس التجار ولبسوا ثياب الملك والاقتضار
 وجلس كل واحد في مرتبة ودخلت امراء وأحباب والنواب وانعقد
 المجلس بالباس والمانعز لهارون تفرقت الاجناس قال الخليفة
 هارون الرشيد لوزير يا جعفر انفض سالاً فرجة على الخليفة الثاني
 فضعك جعفر ومسرور ولبسوا لبس التجار وخرجوا من شرحين الصدور
 وكان خروجهم من باب السر فلما وصلوا الى الدجلة وجدوا الشيخ صاحب
 الشعور لهم في الانتظار ❦ ونزلوا عنده في المركب فلما استقروا مع الشيخ

المراكبي واذا بالخليفة الثاني في الحرقاة وقد اقبلت عليهم فتأملوها
 واذا فيها ما تأملوا لك غير المالك الاول والمشاعلية تنادى على عاداتهم
 فقال الخليفة باوزير هذا شي لو سمعت به ما صدقت راكن رأيت هذا
 عيانا ثم ان الخليفة قال لصاحب الشفتور يا شيخ هذه عشرة دنانير
 وسر بناتي مساواتهم فانهم في النور ونحن في الظلام ننظرهم وتتفرج
 عليهم وهم لا ينظروننا فأخذ الشيخ العشرة دنانير وأطلق الشفتور
 في مساواتهم وصرفي ظلام الحرقاة ولم يزلوا سائرين في أثرهم الى آخر
 البساتين واذا بزريبة بطول الحرقاة التصقت عليها واذا بعلامير
 واقفين ومعهما بخلعة مسروحة ملحومة فطلع الخليفة الثاني وركب البخلعة
 وسار بين الندمان وزعقت المشاعلية والجماويشية واشتات
 الغاشية وطلع هارون الرشيد وجعفر ومسرور الى البر وشقوا بين
 المالكين سارا وادامهم فلاح من المشاعلية النفاة فرأوا ثلاثة نفر
 لبسهم لبس التجار وهم غرباء فانكروهم وغمزوا عليهم فسكروهم
 وأحضرهم بين يدي الخليفة الثاني فلما نظرهم قال كيف وصلتكم الى
 هذا المكان وما الذي جاء بكم في مثل هذا الوقت فقالوا يا مولانا اليوم
 كان قدومنا ونحن قوم غرباء تجار وخرجنا تمشي اليلة واذا بكم قد
 أقبلتم وهاؤ هؤلاء وقبضوا علينا وأوقفونا بين ايديكم وهذا خبرنا فقال
 لهم الخليفة الثاني طيبوا قلوبكم فلا بأس عليكم لانكم قوم غرباء
 ولو كنتم من بغداد لضربت أعناقكم للمخالفة ثم انتقت الى وزيره وقال
 خذ هؤلاء محبتك ليكونوا ضيوفنا اليلة فقال سمعوا وطاعة ثم ساروا
 الى أن وصلوا الى قصر عظيم الشأن محكم البنيان ما حواه سلطان قصر
 فام من التراب وتعلق باكاف السحاب بابه من خشب الساج مرصع
 بالذهب الوهاج يدخل منه الى ايوان بعسقية وشاذروان وحصر

عبداني ومخدرات اسكندرانى وستر مسبول وفرش تذهل العقول
وعلى عتبة الباب مكتوب هذه الايات

قصر عليه تحية وسلام * نشرت عليه جماله الايام
فيه العجائب الغرائب نوعت * فتعيرت في نعمها الاقلام
قال فدخل الخليفة الثاني الى القصر والجماعة في خدمته الى أن جالس
على كرسى من الذهب مرصع بالدر والمجوهر وعلى الكرسي بشخانة من
الحرير الاخضر لا يرى مثلها الا عند كسرى وقصر مزر كشة بالذهب
الاحمر معلقة في بكرة من الصندل * رياحاتها من الحرير الاصفر هذا وقد
جلس الندماء في مراتبهم وساحب سيف القمة واقف بين يديه فتدوا
السماط وأكلوا ورفعوا الخوان ولا يدريهم غلوا أو حضرت آله المدام
ووضعت الطاسات والاولانى وصفت الارباق والكاسات والقناني
ودار الدور الى أن وصل الى الخليفة هارون الرشيد فامتع من الشراب
فقال الخليفة الثاني لمجهر ما بال صاحبك لا يشرب فقال يا مولاي
له مدة ما شرب فقال الشاب عندي مشروب غير هذا يصلح لصاحبك
على شراب التفاح ففى الحال أحضر فقدم بين يدي هارون الرشيد
وقال كلما يصل اليك الدور فاشرب من هذا ولا زالوا يشربون فى انشراح
وتعطى أقداح الى أن تمكن الشراب من رؤوسهم واستولى على عقولهم
ونفوسهم فقال الرشيد لوزيره والله يا وزير ما عندنا آنية مثل هذه
الآنية * فيا ليت شعري من يكون هذا الشاب فينماها يتخذ ثان
بلطافة اذ لاحظت من الشاب التفاتة فوجد الوزير يتوشوش مع الخليفة
فقال الوشوشة عربدة فقال الوزير ما ثم عربدة الا أن رفيق هذا يقول
سافرت غالب البلاد ونادمت الملوك وعاشت الاجساد ما رأيت
أحسن من هذا النظام ولا مثل آنية هذا المدام الا ان أهل بغداد

يقولون الشراب بلا سماع من جملة المجنون فلما سمع الخليفة الثاني هذا الكلام تبسم وانشرح وكان بيده قضيب فضرب به على المدورة واذا بباب قد فتح وخرج منه خادم يحمل كرسيًا من العاج * مصفحًا بالذهب الوهاج * وخلفه جارية قد كملت بالحسن والجمال والبهاء والكمال * فنصب الخادم الكرسي وجلست عليه الجارية وهي كالشمس الضاحية وبيدها عود من صنعة الهند فسارت وحمت اليه وغمت بعد أن ضربت أربعة وعشرين طريقة عليه فأذهلت العقول وعادت الى الطريقة الاولى وجعلت تقول

لسان الهوى من مقلتي لك ناطق * يخبر عني انني لك عاشق
ولي شاهد من طرف قلبي معذب * وقلبي جريح من فراقك خافق
وكم أكنتم الحب الذي قد أذابني * وقلبي قريح واه مع سوابق
وما كنت أدري قبل حبك ما الهوى

ولكن قضى الرحمن في الخلق سابق

قال فلما سمع الخليفة الثاني هذا الشعر من الجارية صرخ صرخة عظيمة وشق البدلة التي كانت عليه الى الذيل فأسبلت عليه البشخانه وأتى ببدلة غيرها أحسن منها فلبسها وجلس على عادته فلما وصل القدرح اليه ضرب القضيب على المدورة واذا بباب قد فتح وخرج منه خادم حامل كرسيًا من الذهب وخلفه جارية أحسن من الاولى وجلست على الكرسي وبيدها عود يكمد الحسود وأنشدت تقول

كيف اصطباري ونار الشوق في كبدي * والدمع من مقلتي طوفانه مدد
والله ما طاب لي عيش أسره * وكيف يفرح قلب حشوه كمد
قال فصرخ الشاب صرخة عظيمة وشق ما عليه الى الذيل واسبلت عليه البشخانه على العادة وأتوا ببدلة غيرها أحسن منها فلبسها واستوى

جالسا ودار المدام وان بسط الكلام فلما وصل القدح اليه ضرب الغضيب
على المدورة ففتح باب وخرج منه خادم على العادة ومعه كرسي وخلفه
جارية فجلست على الكرسي ومعهما عود يذهل الاسود فغنت
وأنشدت تقول

أقمروا هجركم وقلوا جفاكم * ففؤادي وخقكم ماسلاكم
وارحوا مدنفا كئيبا خرينا * ذا غرام متيا في هواكم
قد براه السقام من عظم وجد * يتمني من الاله رضاكم
يا بدور محلكم في فؤادي * كيف أختر في الانام سواكم
قال فصرخ الشاب وشق ما عليه من الثياب فارخوا عليه المشفأة
واتوه ببدة غيرها وعاد الى حالته مع ندمائه ودارت الاقداح وطاب
الاشراح فلما وصل القدح اليه ضرب بالغضيب على المدورة ففتح باب
وخرج منه خادم حامل كرسي وخلفه جارية فجلست على الكرسي
وأخذت العود وغنت تقول

تري ينصرم حال التهاجر والقللا * ويرجع ما قد انقضى لي أولا
أيام كتنا والديار قلنا * في طيب عيش والحواسد غفلا
غدر الزمان بنا وفرق شملنا * من بعد هاتيك المنازل والحلا
أتروم مني يا عدولي سلوة * وأرى لقلبي ما يطبع العذلا
فدع الملام وخلي بصباتي * اقلب من أنس الحبة ما خلا
ياسادتي نقضوا اليهود وبدلوا * لا تحسبوا قلبي ابعدا كوسلا
قال فلما فرغت الجارية صرخ الشاب صرخة عظيمة وشق ما عليه من
الثياب ووقع الى الارض مغشيا عليه وسقط منه القوى والحيل فأرادوا
أن يرخوا عليه المشفأة على العادة فتعوقت حبالها بالارادة فلاح
من هارون الرشيد العناية متسارع فنظروا على أجناب الثياب أثر مقارع

فقال الرشيد بعد النظر والتأكيـد لجعفر والله انه شاب مليح الا انه
 لص قبيح وما عند أحد منه خبر هل رأيت ما على جنبيه من الاثر وقد
 اسبلت البشمانة على العادة وأتى ببذلة غيرها فلبسها وقد أفاق من
 غشوته فاستوى جالساً على العادة مع الندمان فحان منه التفاتة فوجد
 جعفر والخليفة يتحذنان فقال لهما ما الخبر يا فتيان فقال جعفر يا مولاي
 خير لا شئ ولا خفان رفيقي هذا من التجار الكبار وسافر جميع الأمصار
 وصحب الملوك والاختيار وقال ان الذي حصل من مولانا الخليفة في هذه
 الليلة امراف عظيم لم أر أحد افعـل هذا الفعل في هذه الاقاليم لانه شق
 كل بذلة بخمسائة دينار وهذا شئ رائد في العيار فقال الشاب يا هذا
 المال مالى والقماش قماشى وهذا من بعض انعامى على الخدم والخواشى
 فان كل بذلة شقتها هى لواحد من الندماء الحضار وقد رسمت لهم
 أن العوض على كل بذلة خمسمائة دينار فانشد عند ذلك الوزير
 جعفر يقول

بنت المكارم وسط اكفك منزلاً * فجميع مالك للانام مباح
 واذا المكارم أغلقت أبوابها * يوما فانت لقفـلها مفتاح
 قال فلما سمع الشاب هذا الشعر من الوزير جعفر رسم له بالف دينار
 وبذلة ثم دارت بينهم الاقداح وطاب لهم شرب الراح فقال الرشيد
 يا جعفر اسأله عن الضرب الذى رأناه على جنبيه حتى ننظر ما يقول
 فى جوابه فقال الوزير يا مولاي لا تعجل وترفق بنفسك فالصبر أجل
 وقال وحيات رأسى وثرية العباس ما لم تسأله أخذت منك الانفاس
 فعند ذلك التفت الشاب الى الوزير وقال له مالك مع رفيقك وما الخبر
 فقال خير يا مولانا فقال سألتك بالله الا ما أخبرتنى بخبره ولا تكتم عني
 شيئاً من أمره فقال يا مولانا انه أبصر على جنبك امر سياط فتعجب من

ذلك غاية العجب * وقال يا الله العجب الخليفة يضرب وقصده يعلم
ما السبب فلما سمع الشاب هذا الكلام تبسم وقال اللهم فنعم اعلموا
أن حديثي عجيب وأمرى غريب لو كذب بالابر على آفاق البصر لكان
عبرة لمن اعتبر ثم تأوه وأن واشتكى وبكى وأنشد يقول

حديثي عجيب ماز كل العجائب * وحق اله قد عرف بالمواهب
فان شئتموا أن تسمعوا لي فأنصتوا * ويسكت هذا الجمع من كل جانب
واصغوا الى قولي فيه اشارة * وان كلامي صادق غير كاذب
لاني قتيل من غرام ولوعة * وفانلتى فافت جميع الكواعب
لها مقلة كدلا وخذ مورد * ويقتلني منها قسى الحواجب
وقد حس قلبي أن فيكم امامنا * خليفة هذا الوقت ابن الاطايب
وثانيكمو يدعى الوزير جعفر * حقيقة يدعى صاحبوا بن صاحب
وثالثكمو مسرور سياتي نعمة * فان كان هذا القول حقا بصائب
فقد نلت ما أرجو على كل حالة * وجاء سرور القلب من كل جانب
قال فعند ذلك حلف له جعفر أنهم لم يكونوا المذكورين فنهض الشاب
وقال الذي أعرفكم به اني ما أنا أمير المؤمنين وانما سميت نفسي بهذا
الاسم لا بلغ ما أريد من أنشاء المدينة واسمى على بن محمد الجوهري وان
أبي كان من الأعيان ومات وخلف لي أموالا لا تأكلها النيران من
ذهب وفضة ولؤلؤ ومرجان وياقوت وجوهر وذمرد وبهرمان وجمامات
وغيطان وبساتين وفنادق وطواحين وعبيد وجواري وغلمان فلما كان
في بعض الايام وأنا جالس في حانوتي وحوالي الحشم والخدم واذا أنا
بجارية قد أقبلت على بغلة وفي خدمتها ثلاث جوارح كأنهن الاقمار
ونزلت على دكاني وجلست وقالت أنت على بن محمد الجوهري فقلت لها
ملوكك وعبدوك فقال هل عندك عقد جوهر يصلح لمثلي فقلت لها

يا ستي الذي عندي يعرض عليك ويحضر بين يديك فان أعجبك شيء كان
 بسعد المملوك وان لم يعجبك شيء منه فبسوء حظي وكان عندي مائة
 عقد جواهر فأعرضت عليها الجميع فلم يعجبها شيء منهم وقالت أريد
 أحسن مما رأيت وكان عندي عقد صغير شراؤه على والدي بمائة ألف
 دينار لم يوجد مثله عند أحد من السلاطين الكبار فقلت يا سيدتي بقي
 عندي عقد الفصوص والجواهر الذي لم يملكه أحد من الأصغر والا كابر
 فقلت أرني إياه فلما رأيته قالت هذا الذي طول عمرى أتمناه ثم قالت
 بكم ثمنه في الا سعار فقلت شراؤه على والدي بمائة ألف دينار فقلت ولك
 خمسة آلاف فائدة فقلت لها يا سيدتي العقد وصاحبه في الرقيقين
 يدريك ولا خلاف فقالت لا بد من الفائدة ولك الجميلة الزائدة وقامت
 من وقتها عجله وركبت سرعة البغلة وقالت يا سيدتي نور الدين بسم
 الله تكن صحبة التأخذ الثمن فان هارك اليوم يناسل اللبن فقامت
 وقفلت الدكان وسرت معهن في أمان الى أن وصلنا الدار فوجدتهادارا
 عليها السعادة لائحة والاقتضار وعلى يائها مكتوب بالذهب
 واللازورد العجيب هذه الايات

ألا يادار لا يدخلك خزن ❖ ولا يغدر بصاحبك الزمان

فنعم الدار أنت لكل ضيف ❖ اذا ما ضاق بالضيف المكان

فنزلت الجارية ودخلت الدار وأمرت بجلوسي الى أن يأتي الصير في
 فجلست على باب الدار ساعة لطيفة واذا بجارية خرجت الى وقالت
 يا سيدتي ادخل الى الدهليز فان جلوسك على الباب قبيح فقامت الى
 الدهليز وجلست على الدكة ساعة واذا بجارية خرجت الى وقالت
 يا سيدتي تقول لك سيدتي أدخل واجلس على جانب الايوان حتى
 تقبض مالك فقامت ودخلت البيت وجلست حيث أمرتني واذا بك رسي

من الذهب وعليه سنارة من الحرير الأحمر وإذا ابتلاك الستارة قد رفعت
 فبان من تحتها تلك الجارية التي اشتريت مني العقد وقد أسفرت عن وجهه
 كأنه دائرة القمر والعقد في عنقها فاندھش عقلي وحار ذهني ولبي من
 رؤية تلك الجارية وحسنها فلما رأته قامت من على الكرسي وسعت
 إلى نحوى وقالت يا نور الدين من كان مليحاً برني لمحبوبه فقلت يا سيدي
 الحسن كله فيك وهو من بعض معانيك فقلت يا علي أعلم أني
 أحبك وما صدقت بك إلا ما صرت عندي ثم أنها طوقت علي وعادة تنفي
 فقبلتها وقبلتني ثم جذبتني وعلى صدرها رمتني فلما علمت مني أني
 أريد أن أهيئها قالت يا علي أتريد أن تجتمع عني في الحرام والله لا كان
 من يفعل إلا قام ويرضى ببيع الكلام فاني بكر عذراء ما دني مني
 أحد ولست بمجهولة في البلد أعلم من أنا فقلت لا والله وحلفت لها يميناً
 فقالت أنا الست دنيا بنت يحيى بن خالد البرمكي وأخي جعفر فلما سمعت
 ذلك منها جعت خاطري عنها وقلت يا سيدي مالي ذنب في التهميم
 عليك أنت التي أطمعتيني في احسانك والوصول إلى جنابك فقالت
 لا بأس عليك ولا بد من الاحسان اليك فان أمرى بيدي والقاضي ولي
 عقدي والقصد ان أكون لك وكون لي ثم أنها دعت بالقاضي
 والشهود وأبذلت المجهود فلما حضروا قالت لهم هذا نور الدين علي بن
 محمد الجوهري قد طلب زواجي ودفع لي هذا العقد مهري وأنا قد قبلت
 ورضيت ثم ان القاضي حمد الله تعالى وأثنى عليه وكتب الكتاب
 فدخلت عليها بعد ان أعطت القضاء شيئاً ماله حساب وأحضرت
 المدام ودارت الاقداح بأحسن نظام فلما شبعتم الخمرة في رهوسنا
 أمرت جارية عودية أن تغني فأنشدت تقول
 قلبي وآمالى بباب رجاكم * لا أبتغي في الكون غير رضاكم

يا جيرة جاروا علي بعدهم * خذوا علينا وارحوا مضنا كم
 حاشا كمويا سادتي حاشا كمو * صبا معني مغرما هو اككم
 بالله جودوا وارحوا والتسيم * لا يسمع فيكم حديث سواكم
 موسى اشتياقي فوق طور برضاكم * فاذا شهباء حسنةكم ناجاكم
 قال فاطر بنا الحجارية بحسن غناها ولم تنزل الجواري يغنيهن جارية به
 جارية وينشدن الاشعار الى أن غنت عشر جوار فعند ذلك أخذت
 العود الست دنيا وأنشدت تقول

أقسم بلين قوامك المياس * اني لنار المهجر منك أقاسي
 فارحم لصب في هواك متم * ياندرتم أنت سيد المياس
 أنعم بوصلك كم أباب لويلة * أجلو جمالك في ضياء الكاس
 ما بين ورد جمعت ألوانه * مع نرجس أيضا وحسن الآس
 قال الشاب ثم اني أخذت منها العود وضربت عليه وغيت هذه
 الابيات

سبحان ربى جميع الحسن أعطاك * حتى بقيت أنا من بعض أسراك
 يا من لها ناطر تسي الانام به * خذى الامان لئلا من مهر عيناك
 فالساء والنار في خديك قد جمعا * والورد جورى نبت في وسط خدك
 أنت الغرام لقلبي والنعيم له * فما أمرك في قلبي واحداك
 قال فلما سمعت مني ما قلت فرحت فرحا شديدا ثم انهماء رفعت الجواري
 وقمنالى أحسن مكان قد فرش لسانيه من سائر الألوان ونزعت
 ما عليها من الثياب وخلوت بها خلوة الاحباب فوجدتها بابتها بكرة انجتم
 رها ففرحت بي وفرحت بها فرحاً لم أجده في عرى ليلة أطيب منها وفيها
 أنشدت أقول

يا ليل دمي لا أريد مصباحا * يوكفي بوجه معانتي مصباحا

طوقته طوق الحمام يساعدي * وجعلت كفي للنام مباحا
هذا هو الفوز العظيم فنلنا * متعاقبين فلا نريد براحا

فأقمت عندها شهرا كاملا وقد نسيت الدكان والاهل والاطوان الى
ذات يوم من الايام قالت يا نور الدين قد عزمت اليوم على المسير الى الحمام
وانت اقعد على هذا السرير الى أن أرجع اليك فقلت سمعوا طاعة
وحلفتي أن لا أنتقل من موضعي فأخذت جواربها وذهبت الى الحمام
فوالله يا اخواني ما لحقت تخرج من رأس الزقاق الا والباب قد فتح
ودخلت منه عجوز وآى عجوز قالت يا نور الدين الست زبيدة تدعوك
فقد سمعت بشيائك وطيب غناك فقامت والله على عيني انني ما أقوم من
مقامي حتى تأتي الست دنيا فقالت العجوز يا نور الدين لا تتحل الست
زبيدة تصير عدوك فقم كماها وارجع فقامت من وقفي اليها والعجوز
أمامي الى أن أوصلتني الى الست زبيدة فلما وصلت اليها قالت يا نور الدين
أنت معشوق الست دنيا فقلت مملوكك وعبد رقت فقامت صدق
الذي وصفك بالحسن والجمال فانك فوق الوصف والمقال ولكن غن لي
شيئا حتى أسمعك فقلت السمع والطاعة فأنتني بعود فغنيت عليه
وأنشدت أقول

قلب المحب مع الاحباب متعوب * وجسمه بيد الاسقام منهوب
ما في الركائب من ذمت حمولهم * الا وان له في الظعن محبوب
استودع الله لي في حبيكم قمرًا * يهواه قلبي وعن عيني محبوب
يرضى ويغضب ما أحلى تدلله * وكل ما يفعل المحبوب محبوب
فقامت لي حفظ الله بذلك وطيب انفاك فلقد كملت في الحسن
والظرف والمعنى فقم الى مكانك قبل أن تجيء اليه الست دنيا فلم تجدك
فتغضب عليك فقبلت الارض وخرجت والعجوز أمامي الى أن أوصلتني

الى الباب الذى خرجت منه فدخلت وجئت الى السرير لاجلس
فوجدتها جاءت من الحمام ونامت على السرير فقعدت عند رجليها
وصوت اكسها ففتحت عينها فرائتني فجمعت رجليها ورفستني رمثي
من على السرير وقالت يا نور الدين خنت اليمين وكذبت وذهبت الى
الست زبيدة والله لولاخوفى من الهنيكة والعصية لآخربت قصرها
على رأسها ثم قالت لعبدتها يا صواب قم اضرب رقبة هذا النسل
الكذاب فلا حاجة لثأبه فتقدم ذلك الخادم الى وشرط ذيل
وعصب عيني وأراد أن يضرب رقبتى فقامت اليها الجوارى الكبار
والصغار وقلن لها يا ستاه ما هو بأول من أخطأ وما عرفى خلقت وأنت
ما تبغضيه وما فعل دنبا يوجب أن تقليه فقالت والله لا بد ما أوتر
فيه أثر ثم انها أمرت بضربى فضربنى على أضلاعى الضرب الذى
رأيتوه وأمرت باخراجى فأخرجونى وأبعدونى عن القصر ورمونى
ورجعوا وتركونى فملت نفسى فمشت قليلا قليلا الى أن وصلت الى
منزلى وأحضرت جراحا وأريته الضرب فلا طفى وسعى فى مصالحى
فلما صح جسمى دخلت الحمام وزالت عنى الاوجاع والاسقام جئت
الى الدكان وأخذت جميع ما فيها وبعته وجمعت ثمنه واشترت اربع مائة
مملوك ما جمدهم أحد من المملوك يركب معى فى كل يوم مائتان وعملت
هذه المركب الحراقة بألف ومائتين من الذهب العين وسميت نفسى
بالخليفة وريت من معى من الخدام كل واحد فى وظيفة وناديت كل
من تفرج فى الدجاء ضربت عنقه بلامه لى على هذه الحالة سنة
كاملة ولم اسمع لها بخبر ولا وقفت لها على أثر ثم انه بكى وأن واشتكى
وأفشد يقول

والله ما كنت طول الدهر ناسيا ولا دنوت الى من ايس يدنيها

كانها البدر في تكوين خلقتها * سبحان خالقها سبحان بارها
 صمدت ولا ذنب لي الا محبتها * فكيف حال الذي قد بات ناعيا
 وصيرتني حزينا ساهيا دنقا * والقلب قد حارمني في معانيها
 قال فلما سمع هارون الرشيد كلام الشاب وما أبداه من الخطاب
 تعجب غاية العجب وقال سبحان من جعل لكل شئ سبب ثم انهم
 طلبوا من الشاب الانصراف وأضمر الرشيد لالشاب الانصاف وأن
 يتخذه غاية الاتخاف فانصرفوا من عنده سائرين والى قصر الخلافة
 طالبيين ولما استقروا في منزلهم الجلوس غير واما كان عليهم
 من الملبوس ولبسوا أثواب الموكب والملك والزينة وكذلك مسرور
 سيف النعمة والعطاب فقال الخليفة لمجهر المهاب يا وزير على بالشاب
 فخرج اليه في الحشم والخدم وسار الى منزل الشاب فخرج اليه وسلم
 عليه فقال له الوزير جعفر أجب أمير المؤمنين فقال سمعا وطاعة
 لا أمير المؤمنين وحامي حوزة الدين فسار معه الى القصر وهو من الترسيم
 عليه في حصر فلما دخل الى الخليفة ورفع الوزير السترة عن الستة
 الثريفة فلما رأى الشاب الخليفة عرفه فقبل الأرض بين يديه ودعاه
 بدوام العز وأثنى عليه وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين وحامي حوزة
 الدين وقامع المفسدين وامام المتقين هناك الله بما أعطاك وجعل
 الجنة مأواك والنار مثوى لاعداك وأنشده يقول

لا زال يابل كعبة مقصودة * وترابها فوق الجباه رسوم
 حتى ينادى في البلاد بأسرها * هذا المقام وأنت ابراهيم
 فعند ذلك تبسم الخليفة في وجهه ورد عليه السلام وأظهر له الاحسان
 والاكرام وقربه اليه وأجلسه بين يديه وقال له يا نور الدين أريد أن
 تتحدثني بمحدثك الائمة يا مسكين فانه من أعجب الامور فقال الشاب

العفو يا أمير المؤمنين اعطني منديل الامان ليهدى روحي ويطمئن قلبي
فقال الخليفة لك الامان فشرع الشاب يتحدث بالندج جرى له من أوله
الح فعمل الخليفة من غير اطالة أن الصبي عاشى لاهالة فقال الخليفة
أتحب أن أردّه اليك يا مسكين قال نعم يا أمير المؤمنين ثم أنشأ يقول
ان رمت احسانا هذا وقته * أو رمت معروفه هذا محله

فعند ذلك المفت الرشيد الى الوزير وقال له احضر لي اخذك الست دنيا
بنت الوزير يحيى فقال له السمع والطاعة فأحضره في الوقت فلما مثلت
بين يديه قال لها أتعرفي هذا فقامت من أسن للنساء معرفة الرمال فتبسم
وقال يا دنيا قد عرفنا الحال وسمعا الحكاية من أولها الى آخرها
وفهمنا ظنها وظاهرها والامر لا يخفى وان كانت سترا فقالت كان
ذات في الكتاب مسطورا وأنا استغفر الله جري مني وأسأل
من في فضل العفو عني فضحك الخليفة وأحضر له السهم والسهود
وعقد له نائيا عليه واحمل له سعد السود وأكمد العدو والحسود
وجعله نديمه وزاد تكريمه وعاش بقية عمره في أتم عيش ونعمه يجالس
الخليفة في الليل والنهار وتؤانس الست دنيا دات الغفار وهذا ما انتهى
اليانم الخيخس والله أعلم (ويحكى) أن جعفر البرمكي نادى
الرشيد ليلة فقال يا جعفر بلغني أنك اشتريت الجارية الفلانية ولي
مدة أنطلبها فانها بديعه الجمال ولي شوق زائد اليها فبعنيها قال ليس على
فيها بيع قال هبنيها قال ولا أهبها قال الرشيد ربيدة طالق مني
ثلاثا ان لم تبعنيها أو هبنيها وقال جعفر زجى طالق مني ثلاثا ان تبعنيها
أو وهبتها ثم أقام من نشوته وعلمها أهما وقعت في أمر عظيم وعجزا
في تدبير الحيلة فقال الرشيد هذه واقعة ليس لها غير أبي يوسف فاطلبوه
وكان قد انتصف الليل فلما طلب قام فرعاه وقال ما طلبت في هذا الوقت

الا لامر حدث في الاسلام ثم خرج مسرعاً وركب بغلته وقال لعلامة
 اصحب معك الخلات فلمل فيها بعض شعير فاذا دخل ادار الحلافة
 ودخلت فضع بين يدي اداة شيئاً منه تشغل به الى حين خروجي فانها
 لم تستوف علقها في هذه الليلة فقال سمعنا واطاعة فلما دخل على الرشيد
 قام له وأجلسه على سريرته بجانته وكنان لا يجلس معه غيره وقال له
 ما طاب ناك في هذا الوقت الا لامرهم وهو كذا ولذا وقد عجزنا في تدبير
 الحيلة فقال يا امير المؤمنين هذا من أسهل ما يسعون ما حـ فربيع
 امير المؤمنين نصفها وجبه نصفها وقبره امن يمينه كما مسر بذلك أسير
 المؤمنين وفعلنا فقال الرشيد احضر الجارية في هذا الوقت فاني شديد
 الشوق اليها فأحضرت فقال للقاضي أبي يوسف أريد وطئها في هذا
 الوقت ولا أطيق الصبر الى مضي مدة الاستبراء أو سعي لي الحيلة في ذلك
 فقال أبو يوسف استوفى بمملوء من مماليك امير المؤمنين الذين لم يحرم
 عليهم العتق فأحضر مملوك فقال أبو يوسف يا امير المؤمنين ائذن لي أن
 أزوجهامنـه ثم يطلقها قبل الدخول فيل وطئها في الحال من غير
 استبرا فأعجب الرشيد بذلك اكثر من الاول فقال أذنت لك فأوجب
 القاضي السكاح ثم قبله المملوك فقال له انا قضى طلقها فإنا له هذه
 سارت لي زوجة وأنا لا أطلقها فردد عليه اقول فأبى وضاف صدر
 الخليفة لذلك وقال قد اشد الامر أعظم مما كان فقال القاضي أبو
 يوسف يا امير المؤمنين ارجعه بالمال فقال طلقها اولك مائة دينار قال
 لا أفعل قال ما شاد دينار قال لا أفعل الى أن عرضوا عليه ألف دينار
 وهو يمتنع وقال للقاضي اطلاق بيدي أم بيد امير المؤمنين أم بيدك
 قال بل بيدك أنت قال والله لا أفعل أبداً فاشتد غضب امير المؤمنين
 فقال القاضي يا امير المؤمنين لا تجزع فان الامر هين منك هذا العبد

للجارية وقال ملكته لها وقال لها القاضي قولي قبلت فعمالت الجارية
قبلت فقال القاضي حكمت بالتفريق بينهما لانه دخل في ملكها
وانفسد المكاح فقام أمير المؤمنين على قدميه وقال مثلك من يكرن قاضيا
في زمانى واسند على باطباقي الذهب فافرغت بين يديه وقال للقاضي
هل عليك شيء توعيه فتذكر محلاة البغلة فاستدعى به - فملت له ذهباً
وأخذها وانصرف اليها أصبح قال لخلاته أنظروا في من نعلم العلم فليتم عمله
كذا فاني أعطيت هذا المال العظيم في مسألتين أو ثلاث فانظروا بها
النأدب الى لطف هذه الواقعة فانها اشتملت على محاسن منها دلالة
الوزير على قلب أمير المؤمنين وحلم السليفة وزيادة علم القاضي فرحم الله
أرواحهم اجمعين * ولكن مسألة الاستبراء لم تخرج الا على مذهب أبي
حنيفة فخرجها أبو يوسف على قواعد مذهبه لانه حنفى المذهب والله
أعلم انتهى من حلبة الكميته * ومن كلام ابراهيم الموصلي رحمه
الله تعالى

هجرة حتى قيل لا يعرف الهوى * وزرته حتى قيل ليس له صبر
فباها حمر ليلى قد بلغت في المدى * وزدت على مالى سر يبلغه الهجر
ويا حبها زنى حوى كل ليلة * وبأساوة الابام موعدك الحشر
وانى لترونى لذكر كرك درة * كما انتفض العصفور بلقاء القطر
* (ومن الحكايات الطائفة) * ان بعض الملوك قصده التفرج
على المجانيين فلما دخل عليهم رأى فيهم شابا حسن الهيئة نظيف
الصورة يرى عليه آثارا للطف وتلوح عليه شمائل الفطنة فدنى منه
وسأله مسائل فأجابه عن جميعها بأحسن جواب فتعجب منه عجباً
شديداً ثم ان المجنون قال للملك قد سألتني عن أشياء فأجبتك واني
سألك سؤالاً واحداً قال وما هو قال متى يجد المائمه لذة اليوم ففكر

الملك ساعة ثم قال يجد لذة النوم حال نومه فقال المجنون حالة النوم ليس
 له احساس فقال الملك قبل الدخول في النوم فقال المجنون كيف
 توجد لذته قبل وجوده فقال الملك بعد النوم فقال المجنون كيف توجد
 لذته وقد انقضى فتعير الملك وزاد اعجابه وقال لعمرى ان هذا لا يحصل
 من عقلاء كثيرة فأولى أن يكون نديمي في مثل هذا اليوم وأمر أن ينصب
 له تخت يازاء شباك المجنون ثم استدعى بالشراب فحضرتة ناول
 الكأس وشرب ثم ناول المجنون فقال أها الملك أنت شربت هذا
 لتصير مثلي فأنا أشربه لاصير مثل من فاقظ الملك بكلامه ورمى القدرح من
 يده وتاب من ساعته والله أعلم * وهذه الحكاية لها بقية أعرضنا
 عنها وهذه على سبيل الاختصار أيضا حكى والله أعلم بغيره وأحكم
 ان الرشيد أرق ذات ليلة أرقا شديدا فاستدعى جعفر وأقال أريد منك
 أن تزيل ما بقاي من الضجر فقال الوزير يا أمير المؤمنين كيف يكون
 على قلبك ضجر وقد خالق الله أشياء كثيرة تزيل الهم عن المغموم والغم
 عن المغموم وأنت قادر عليها فقال الرشيد وما هي يا جعفر فقال له
 قم بنا الآن حتى نطلع الى فوق سطح هذا القصر حتى نتفرج على
 النجوم واشتباها وارتفاعها والقمر وحسن طالعته لانه وجه من
 تحب بما قبل

كانما حسن السماء وزرقتها * قد رقت فيها أفانين الصور
 كأنما البدر حين لاح لنا * في بعض ليل من غلاف قد ظهر
 فقال الرشيد يا جعفر ما هم نفسي الى شئ من ذلك فقال يا أمير المؤمنين
 افتح شباك القصر الذي يطلع على البستان وتفرج على حسن تلك
 الاشجار * واسمع صوت تغريد الاطيار * وانظر الى هدير الانهار
 وشم روائح تلك الازهار واسمع حس الناعورة التي كأنها آذين محب

فارق محبوبه وهي كما قال فيها بعض واصفها
 وباعورة حنت وغنت وقد غدت * تعبر عن حال المشوق وتعرب
 ترقص عطف البان تيهالانها * تغني له طول الزمان ويشرب
 واما ان تنام يا امير المؤمنين الى أن يدركنا الصبح فقال يا جعفر ماتهم
 نفسي الى شيء من ذلك فقال يا امير المؤمنين افتح الشباك الذي يطلع
 على الدجلة حتى تتفرج على تلك المراكب والملاحين وهذا يصفق
 وهذا ينشد موالى وهذا يقول دوبيت وهذا مل كان وكان فقال
 الرشيد ماتهم نفسي الى شيء من ذلك قال جعفر قم يا امير المؤمنين حتى
 نزل الى الاصطبل الخاص وننظر الى الخيل العربية ونفرج على
 حسن ألوانها ما يرى أدهم كالإبل اذا أظلم وأشقر وأشهب وكيت
 وأحمر وأبيض وأخضر وأبلق وأصفر وألوان تحير العقول فقال
 الرشيد ماتهم نفسي الى شيء من ذلك قال جعفر يا امير المؤمنين عندك
 في قصرك ثلاثمائة جارية ما بين جمكية الى عودية الى دفية الى قانونية
 الى زامرة الى مغنية الى راقصة الى سنطيرية أحضر الجميع وأحضر
 العقار المروق فلعل أن يزول ما بهلك من الضجر فقال ماتهم نفسي الى
 شيء من ذلك فقال جعفر يا امير المؤمنين ما بيني من الامر الا ضرب عنق
 ملوكك جعفر فاني قد عجزت عن ازالة هم مولانا فقال يا جعفر أما سمعت
 قول ابن عبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من قم مونا أحلى فقال
 الرشيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرح أمي في ثلاث أن يرى
 بعينه شيئا لا رآه أو يسمع شيئا لا سمعه أو يطعم مكانا لا وطنه فيتفق
 يا جعفر أن يكون في بغداد مكان لا وطناء أو شيء لا سمعناه
 أو موضع لا رأيناه فقال جعفر أنا ذنبي يا امير المؤمنين أن أطلع
 الى مجلس النبوة وأنظر أحدا من المسافرين أحضره بين يدي أمير

المؤمنين لعلمه أن يحذرك بحديث ما سمعته فقال الرشيد قم وافعل فقام
 جعفر وطلع وعاد بسرعة بالشيخ أبي الحسن الخليع الدمشقي المسامر
 قال فلما رأى أمير المؤمنين سلم فأحسن وترجم فأبلغ ثم قال يا أمير
 المؤمنين وحامي حوزة الدين وابن عم سيد المرسلين * وخاتم النبيين
 صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين أطال الله بقاءك وجعل
 الجنة مأواك والنار مثوى لاعدالك لاخذت لك نار ولا أغيط لك جار
 ثم أنشد يقول

دام لك العز والبقاء * ما اختلف الصبح والمساء

ودمت ما دامت الليالي * بمدة ما لها انقضاء

الناس ناس بكل أرض * وأنت من فوقهم سماء

قال فرد على الشيخ السلام وقال له اجلس يا أبا الحسن وحدثنا بحديث
 مليح عجيب لم نسمعه قط فقال الشيخ يا أمير المؤمنين أحدثك بشيء سمعته
 ما ذنى أو بشيء رأيته بعيني قال الرشيد يا شيخ أبا الحسن الذي تراه العين
 أحسن من الذي تسمعه الاذن فقال الشيخ يا أمير المؤمنين أفرغ لي عن
 ثلاثة أشياء منك فقال ما هم الثلاثة قال ذهبت وسمعت رقيبك فقال
 الرشيد هات يا أبا الحسن * فقال يا أمير المؤمنين لي عادة أي أسافر
 في كل سنة الى البصرة للامير محمد بن سليمان الريفى وأقعد عنده
 أحدثه الاسمار وأرسله اذ خبار وأشد له الاشعار * ولى عليه رسم
 ألف دينار أخذها وأعود الى بغداد فانفق لى في سنة من السنين أنى
 سافرت الى البصرة على عادتي ودخلت على الامير محمد بن سليمان
 وجلست عنده اليوم الاول والثاني والثالث فركب الى الصيد
 وتركنى في منزله وأوصى أرباب دولته بخدمتى واكرامى الى أن يعود
 وأوصى الطماخ الذى له أن لا يطعمنى الا شياً نشتهيه نفسى فاشتيت

السمك فقلت للطباخ حمل لي من السمك عدة ألوان فأكلت وطاب لي
 الاكل حتى ثمل على فؤادي فقلت ما يصرف عني هذا الا المشي ولي
 عدة أسفار الى ابصرة ما أعرف فيها مكانا وأريد اليوم أجعلها حجة
 وفرجة ثم اني نزلت أنمشي في شوارع البصرة فعدت عشت عطشا شديدا
 وما هيل بعطش السمك فقلت في نفسي ان تناولت شربة من السقاء
 لا تطيب نفسي لانه يشرب منها أصحاب الامراض وكبرت نفسي على ان
 اجعلها الى شاطئ الدجلة وقلت مالي الا أن أقصد بئس دورا لمتهمين
 رأيت طلب منها شربة من الماء فأتيت الى درب وفي ذاك الدرب خمسة
 دور داران مقابلا دارين ودار صدرانية قد قامت من التراب وقعدت
 بأذيال السحاب ولها باب مقطر مزخرف بمصاطب طولانية مفروشة
 عليها حصر عبدانية والاب ساج مصفح بصفائح الذهب الوهاج
 ومسامير الفضة وستر من الحرير الاصفر المدنر مكتوب عليه هذه
 الايات

ألا يا دار لا يدخلك حزن * ولا يفدرب صاحبك الزمان
 فنعيم الدار أنت لكل ضيف * اذا ما ضاق بالضيف المكان
 قال فقلت في نفسي من هذه الدار أشرب الماء فأتيت الى الباب
 فسمعت صوتا ضعيفا من فؤاد نحيف فثابثا يقول

بالله ربكم اعوجا على سكرني * وعاتباه لعل العتب يعطفه
 وعرضاني وقولا في حديثكم * ما بال عبدك بالهجران تلتفه
 فان تبسم قولا في ملاطفة * ما ضرلو بومال منك تسعفه
 وان بدالك في وجهه غضب * فعاطاء وقولا ليس نعرفه
 قال فقلت والله طيب ان كان قائل هذا الصوت شخص صورته
 على قدر صوته واحتشمت ثم اني قويت قلبي ورفعت الستر ودخلت

الدهليز الى ان انتهيت الى آخره ومدت طرفي واذا بد ارقدة أقبلت عليها
السعادة وزالت عنها الشقاوة ورأيت في صدر المكان ايوانا وبركة
وشاذروانا وفي ذلك الايوان تخت من الساج وقوائمه من العاج مصفح
بالذهب الوهاج وفوق التخت فراش من الحرير الاطلس ومسند
مزرکش وعليه جارية نائمة خماسية القد فائمة النهل بالاعويلة الشاهقة
ولا بالقصيرة الا لصقة أشهر من علم تربية العجم على اكتاف الخدم بخد
أسيل وطرف كحيل وخصر نحيل وردف ثقيل ان أقبلت فنت وان
وات قتلت كما قال فيها بعض واصفها

كما اشتهت خلقت حتى اذا اعتدات * في قالب الحسن لا طول ولا قصر
جري بها الشهم حتى داراً عكبتها * طبي القباطي فلا سمن ولا غور
كانها أفرغت من ماء لؤلؤة * في كل جارحة من حسنها قمر
الا أن الجارية يا أمير المؤمنين قد حكمت عليها يد الايام ونزات بها جمع
الاسقام وعند رأسها طبيب وهو يحس يدها ويقول يا ست بدور
الضارب ضارب والساكن ساكن ولا برد لاجي ولا شئ تشكينه
أكثر من سهر الليل وجريان الدمع لنكون لست في قلبها هوى من أحد
فلما سمعت كلام الطبيب أنشدت تقول

اذا همت بكتمان الهوى نطقت * مداهمي بالذي أخفي من الالم
فان أبح أقتضع من غير مفعلة * وان كتمت فدمعي غير منكتم
الكن الى الله أشكوماً كابده * من طول وجدود مع غير منصرم
قال فنهض الطبيب قائماً على قدميه فناولته صرة فيها عشرة ودينار
ثم التفت الى وقالت من أين يا شيخ فقلت لها من بغداد جاني العطش
الى أن أتيت الى هنا فقالت لعل أن يكون على يدك فرجي فأنا أكتب
لك ورقة فتسأل عن بيت الامير عمرو وتعطيها له فان رديت على الجواب

فأنا أعمى لك خمسمائة دينار ثم استدعت بدواة وورق وكتبت وهي
تقول أما بعد يعجز لساني ويكسر جناني عن بث الاشواق ولكن
أسأل الكريم الخلاق أن يمن علينا باللقاء بالسعد الراق والامر
الموافق وأنا القائلة حيث أقول

سرورى من الدنيا لقاكم وقربكم * وحبكم فرض وما منكم بد
ولى شاهد دمعى اذا ما ذكرنكم * جرى فوق خدى لا يطاق له رد
اذا الريح من نحو الحبيب تسمت * وجدت لسراها على كبدي برد
فوالله ما أحبت ما عشت غيركم * ولا كنت الا ما حيت لكم عبد
سلام عليكم ما أمر فراقكم * فلا كان هذا منكم آخر عهد
أما بعد فهذا كتاب من ليلى فى نحيب ونهارها فى تعذيب لا تترك
الى عاذل ولا تدخلى الى قائل قد غلبتها أيدى الفراق ولو شرت بعض
ما عندها للفسيح ضاق وما وسعته الاوراق ولكن أسأل الكريم
الخلاق رافع السبع الطباق أن يمن علينا باللقاء وأنشدت تقول
أحبة قلبي وان جرتو * على فكل المناء أنتمو
رحلتم وفي القلب خلفتمو * لهيافه — لا ترفقتمو
واودعتمو يوم ودعتمو * باحشائى ناراً وأفرمتمو
وما كنتمو تعرفون الجفا * على شؤم يخفى تعلمتمو

فألف ألف لا أوحش الله منكم والسلام منى عليكم عدد شوقى اليكم
ما حن الغريب الى الاوطان وغرد حمام الايك على البسان فرحم الله
من قرأ كتابى وتعطف برد جوابى وأنشدت تقول

أحبابنا ما رفا دمعى لفرقتكم * يوم الفراق ولا كنت عراذيه
بنتم فلم يبق لى من بعدكم جلد * ولا فؤاد ولا صبر أرجيه
فسلام أمنى فؤادى بالهوى كذبا * ولست أول من بان غوانيه

قال ثم انما طوت الكتاب وختمته بعد ان نثرت فيه قنات المسك والعنبر
 وناولتني اياه فاخذته وانيت الى دار الامير عمرو فوجدته في الصيد
 والقنص فجلست على بابه ساعة انتظره واذا به قد اقبل وهو راكب
 على حصان اشقر عال من الخيل الضمير ساوي ملك كسرى وقصر من
 اولاد الابحر الذي كان لعنتر ان طلب لحق وان طلب لم يلحق والامير
 في ظهره كانه انقلب فيه قلبا والممالك قد احدث قوايه كما تحديق العجوم
 بالقمر وهو نخذ اسيل وطرف كحيل وخصر نحيل وردف ثقيل وله
 عذارا خضر فوق خذاجر وتغر جوهر وعنق مرم كما قال فيه ابن معشر
 قمرتكامل في نهاية حسنه * قد القضيبي على رشاقة قد
 فالبريد لمع من ضياء حيينه * والشمس تغرب في شقائق خده
 ملك الجمال بأسره فكأنما * حسن البرية كاهلها من عنده
 قال ابو الحسن فما أمهله دون أن قبلت ركبته فلما نظر الى ترجل
 واعتنتني واخذ بيدي وأدخلني الدار وأنشد يقول
 ما أظن الزمان يأتي بهذا * غير أني رأيت في منامي
 قال فلما جلس على حافة البركة أقبل على يحدثني ساعة واذا بالمائدة
 قد وضعت بين أيدينا واذا عليهما من ألوان الطعام ما درج وطار
 في الاسرار وتساكن في الاوكار من قطا وسمان وأفراخ حمام وبط
 مسمن ودجاج حمر وخراف رضع ومعلكات السكر فقال لي بسم الله
 يا شيخ ابا الحسن فقلت لا والله يا مولاي ما أكلت لك طعاما ولا شربت
 لك مداما الا ان قضيت لي حاجتي فقال يا ابا الحسن كان هذا من الاول
 من الكتاب الذي للست بدور فقلت يا سيدي وما هي الست بدور
 فقال التي جئت عندها تطلب شربة من الماء منها ووجدت عندها
 الطيب وجرى لك معها ما هو كيت وكيت فقلت يا مولاي أكنت

حاضرا فقال لو كنت حاضرا لاي شئ كتب الكتاب فقلت والاجاء
 أحدهم عندها أعلمك فقال انه لا يجسر أحدهم من علمائها يقابلني فقلت
 ولا راح أحدهم عندي فقلت يا سيدي الغيب لا يعلمه الا الله تعالى والوحى
 اليها أحدهم عندي فقلت يا سيدي الغيب لا يعلمه الا الله تعالى والوحى
 ما نزل الا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ع قل أما سمعت
 قول القائل

قلوب العاشقين لماعيون * ترى ما لا يراه الباطرون
 وأجنحة تطير بغير ريش * الى ملكوت رب العالمين
 فقلت صدقت يا مولاي ثم ناولته الكتاب ففضه وقراه ثم يمشى فيه
 وداسه برجله ورماه في البركة فصعب على فلما علم مني ذلك قال م
 غيظك أقعد اليلة عندي كل واشرب وخذمني الخمسة دينا رالتى
 وعدت بها الست بدور وأنا أحب اليك منها وأنشد يقول

رأيت شاة وذئبا وهي ماسكة * بأذنه وهو منقاد لها سارى
 فقلت أعجوبة ثم التفت أرى * ما بين ناييه ملقى نصف دينار
 فقلت للشاة ماذا الالف يذكركما * والذئب يسطو بانياب وأظفار
 تبسمت ثم قالت وهي ضاحكة * بالتبريكسر ناب الضيفم الضارى
 قال فلما سمعت كلامه يا أمير المؤمنين تقدمت وأكلت بحسب
 السكاهية والنهاية ثم انتقلنا الى مجلس الشراب وقدمت بين أيدينا
 البواطى والسلاحيات فتناول الأمير عمرو وشرب وسقاني وأنا أحدثه
 وأنادمه الى قرب الغياب فقال لي يا أبا الحسن ما عادة أمير المؤمنين اذا
 شرب الى المساء فقلت يقول الشراب بلا طرب ولا سماع الدنأولى به
 فقال لي قم بسم الله فقامت معه الى مجلس وحضيرة تنقط بالذهب
 والالازورد العجب وهي مزخرفة قد عبت أزهارها وضجعت

سلاحياتها وصففت بواطيلها ورفعت أقداحها فجلس الامير عمرو
وأجلسني بجانبه وقدمت بين أيدينا الشموع وأسرجت القناديل
فنظرت الى مجلس عجيب وحضيرة مليحة ثم قلت يا مولاي قد تقدم القول
أن الشراب بلا سماع الدن أولى به فصفق بكف على كف وإذا
بثلاثة حوار قد أقبلن كأنهن الاقمار الواحدة تحمل عودا والثانية
تحمل دفا والثالثة تحمل مزمارا ثم نظرت الدفية على دفتها وأصلحت
العودية عودها وزمرت الزامرة بزمرها فخيلى أن المجلس الذي نحن
فيه يرقص بنا ثم ان الدفية غنت تقول

أحبنا اننى من يوم فرقتكم * على فراش الضنا ما زلت مضطجعا
داويت قلبي بحسن الصبر بعدكم * عسى يفيق من الاسقام ما نتما
فوالله يا أمير المؤمنين لقد طربت غاية الطرب من حسن صوتها فلما
فرغت الدفية ضربت العودية على عودها طرعا عديدة ثم رجعت الى
الطريقة الاولى وأنشدت تقول

أمؤنس طرقي لا خلا منك نا طرى * وجامع شملى لا خلا منك محلى
ويا ساكننا قلبي وما فيه غيره * يحل فما استوحشت فيه لمؤنسى
وبالله يا عين الورى من ملاحه * تصدق على صب من الصبر مقلس
ألقى الرضى حق أغىظ به العدا * ويا موحشى من بعدما كان مؤنسى
رضاك الذى ان نلته نلت رفعة * وألبسنى فى الناس أشرف ملبس
قال والله يا أمير المؤمنين لم تمالك عقولنا من الطرب ثم التفت العودية
الى نحو الدفية وقالت لها يا فلانة أنت حسنى أن تقولى مثل هذا فقالت
الدفية أنا أحفظ أبياتا ما أظن أنك تحفظلى لمن وزنا ولا قافية ولا عروضنا
فكانت العودية هات ما عندك فنظرت الدفية على دفتها بأنا ملها ورفعت
صوتها وهى تقول

كروردد ذكركم في مسمعي * فهم الشفا لتألمى وتوجعي
أقصر به ذلك يا عدول فان لى * قلبا العذل لا يفيق ولا يعي
فقات لها العودية أنا أحفظ الوزن والقافية والعروض فقالت لها
الدية دات فضربت العودية طريقة من اثنين واثنين وأربعة وأربعة
وثمانية وثمانية وستة عشر وستة عشر ثم عادت الى الطريقة الاولى
وجعلت تقول

ان لم أسل وادى الاسيل بأدمعي * اعلم بأنى فى الصبابة مدمعي
ياسعدان حيث الغور وعانيت * عيناك بان المنشاء فأرجع
وخذ الحذار من الغزال المحتفى * واحذر صيدك لحظا ذات البرقع
قال والله يا أمير المؤمنين فلقد طربنا حتى قام كل منا ورقص فلما فرغت
الجارية قال لها سيدها غنى لى الذى لقلبي وحدى فعندها سارت
عردها وقالت

ما كنت أول رامق صبا صبا * نحو التصابي وهو فى عشر الصبا
فعلى ميعذنى العذول على البكا * لولا الغرام لما غدوت مع ذبا
حكم الهواء بحكمه فى مهجتي * ولقد غدا قلبي به متعبا
يا الرجال خبا الهوى بمحاشتي * نارا فما تخنوا على ذاك الخبا
ولقد سبأ على غزال لورات * بلقيس طلعت له لما سكنت سبا
ولقد هربت من الفراق فقال لى * مهلا رويد فأين منى تهربا
فلما سمع الأمير عرو ذلك صرخ ووقع الى الارض مغشيا عليه فقالت
الجارية يا مولاي انه قد نام سبدي فان اخترت ان تنام فقم نام فى مرقوك
وان اخترت الشراب فدونك ونحن بين يديك الى الصباح فقامت وغمت
فلما أصبحت قمت وسألت عن الأمير عرو فقال بعض الجوارى انه سرح
الى الصيد والقتص فأخذت شاشا لابسها فرأيت تحته كيسا فيه

ألف دنيا رفاخذته وأتيت الى الست بدور واذا بها واقفة خلف الباب تنظروني تقول

يا رسولى الى الحبيب اعذرلى * فلعلى الحبيب يقبل عذرى
ثم قل للحبيب عني بلطف * أى ذنب جرى فأوجب هجرى
فلما رأتني قالت يا شيخ أقمع أم شعير فقلت لا والله ما هو الا زيوان والله
ما رضى يقرأ مكتوبك ولا يرد جوابك فرمت الى صرة فيها مائة دينار
وقالت اذهب يا أبا الحسن مامضى الليل وأتى النهار على شئ الا وأزاله
وغيره وبغير الله ما فى القلوب ثم انها أغلقت الباب فى وجهى ومضت
وعدت الى دار الامير محمد بن سليمان الزينبي فلقيته قدباء من الصيد
فقعدت عنده أياما وأخذت رسمى وعدت الى بغداد ثم اتى فى السنة
القابلة سافرت الى البصرة على ما جرت العادة به ومضت الى عند
الامير عمرو بن جبير الشيباني لا تمتع بذلك الوجه الملمع والقدر الحميم
فوجدت الدار منغيرة الاثارة والعبيد لا بسين السواد فلما رأيت ذلك
بكيت وأنشدت أقول

يا دار أين ترحل السكان * وسرت بهم من بعدها الاطمان
بالامس كان لك الضياء * واليوم فى عرصاتك الغربان
فسمعتنى بعض الغلمان فظهر لى وقال من ذا الذى يبكى على ديار ما ويندب
منازلنا كفى بنا ما عندنا فقلت له يا عبد الخير ان صاحب هذه الدار
كان من أصدق الناس الى فما فعل به الزمان فقال لى الغلام يا مولاي
هو فى قيد الحياة وهو يطلب الموت فلا يجده فقلت له بالله عليك خذلى
اليه الطريق فقال لى السلام يا مولاي من أقول فقلت قل الشيخ أبو
الحسن الخليلع الله مشقى المسافر قال فعبر الغلام وغاب ساعة وعاد
وقال لى بسم الله ادخل فدخلت فوجدت الامير عمرانائما وعند رأسه

طبيب وهو يجس يده ويقول له يامولاي الضارب ضارب والساكن
ساكن لا برد ولا حى ولا تشتكى غير سهر الليل وجريان الدمع لا يكون
المولى الامصورا فلما سمع الامير عمر و كلام الطبيب بكى وانشد
يقول

قال الطبيب اقومي حين جئى بدي * هذا قناكم ورب البيت مسهور
فقلت ويحك قد فاربت فى صفتى * عين الصواب فهلا قلت مهور
ثم انه ناوله كاغدا فيه بعض دنانير فآخذها الطبيب وانصرف ثم التفت
الامير عمرو الى وقال يا شيخ ابا الحسن اما تنظر الى هذا الحال الذى وقعت
فيه فقلت لها شاك من الاسواء ما سبب ذلك قال ما اعرف له سببا
الا انه هجر الست بدور قد قتلنى وحبها أضنى فؤادى فقلت يامولاي
بالعام الماضى تركتكم اميرا واليوم أتيت لقينك أسيرا فما السبب
فقال الامير عمرو يا شيخ انى فى ليلة من الليالى ركبنا فى الشط وقد
عجيت فى مركبى من سائر الارهاط والغواكه والرياحين والطعام
والمدام وأقدت الشموع حتى صارت مثل ضوء النهار وقد غرقنا فى البسط
وبقينا فى لعب ومضحك الى ثلث اليل الاول واذ قد أقبل من صدر الشط
مركب وهى تعرف بالطارات والدفوف وتضىء كضوء الشمس وفيها
وهج عظيم فقلت للملاح قدم بنا حتى نتفرج وننظر أينما أحسن تعبئة
مركبنا وهذه المركب قد دت عيني أرى صاحبى الست بدور وهى بين
جواربها وغلماها تلعب وتضحك وهى مثل اسمها اسم على مسمى فلما
وقعت عيني عليها مكان ما رمت فى قلبى جمره نار فقلت فى نفسى
ما فارقت هذا الوجه الملبى بذب ثم انى تذكرت العهد القديم الذى كان
بيننا فلم أقدر أصبر فددت بدي وأخذت فحاحة ورمتها الى الست بدور
فالتفت فرأتنى فقالت للملاح ارجع بنا الى البر نحن خرجنا هذه الليلة

فشرح فأرسل الله لنا هذا الفتى بنغص علينا عيشنا لما سمعتمنا تشتمني
 أضربت النار في قلبي ثم قلت لنفسي أنت كنت المطلوب فصرت الطالب
 ولم يهن لي عيش في هذه الليلة وقلت للملاح ارجع الى الشيطان اني
 نزلت ومضيت الى منزلي وما ذقت طعم المنام فلما أصبحت لم يقر لي قرار
 وصرت أترقب أن يأتي أحد من عندها ثلاثة أيام فلم يأت أحد فبعثت
 من يعرض بذكرى لها فدعت عليهم وشتمتهم وكتبت لها بعد ذلك
 ألف كتاب فلم ترد لي جوابا وقد رميت روحى على كل كبير في البصرة
 فدخلون عليهم فلم يقبل ولم تزد الا حياء ولى مدة أنتظرك يا شيخ أبا
 الحسن حتى أبعث معك كتابا وأنا أحلف لك ان هي ردت لك جوابه
 أعطيتك ألف دينار وان لم ترد جوابه أعطيتك مائة دينار فقلت له
 اكتب فدعا بدواة وقرطاس وكتب في أول الكتاب بسم الله الرحمن
 الرحيم هذا كتاب من متهم يشكو اليك الصباية ويسألك بالله
 أن تردى جوابه أما بعد فانه يعجز لسانى ويكل جنانى مما أنا فيه من
 طول السهر ودوام الفكر وبكى البكاء صم الحخر وألف ألف لا أوحش
 الله منك والسلام عليك ثم ختم الكتاب وناولنى اياه فأخذه وأتيت به
 الى دار الست بدور فلقيت الباب على غير تلك الحالة الاولى عليه ستر
 مرخى وبواب وخادم فقلت لا اله الا الله كان هذا الباب بالامس خاليا
 من الاصحاب واليوم عليه خادم وبواب ثم انى تقدمت الى عند الخادم
 وقلت له قم يا ولدى ادخل واستأذن على مولات الست بدور وقل لها
 الشيخ أبو الحسن الخليع الدمشقى قد أتى ويطلب التمثيل بين يديك
 فغاب الخادم ثم عاد مسرعاً وقال بسم الله ادخل فدخلت الدهليز
 فسمعت الست بدور وهى تقول

ولا صبرن على الزمان وجوره ❀ حتى يعود كما أريد وأشتهى

قال فلما دخلت رأيتها فاعادة على حافة البركة وبين يديها جارية تروح
عليها فاعتذمت وقبلت يديها وجلست فنظرت واذا عليها غلالة
لا زوردية وجميع جسدها بائن من تحت الغلالة كأنه عود مرمر وعلى
الغلالة مكتوب هذه الايات

أقبلت في غم — لالة زرقاء * لا زوردية كالون السماء
فتمأملت في الغلالة أل في * قمر الصيف في ليالي الشتاء
ليتني كنت للليعة عقدا * أوبرقما للوجه مثل الرداء
أوقميصا من الحرير خفيقا * لاصقا للغواد والاحشاء
ضربتني بتخبر العشق حتى * صرت ملقى مخضبا بدماء
تركتني على الطريق ونادت * من يصلى على قتيل هواء
ثم انى لما فرغت من قراءة الاشعار قالت لجاريتها هات لى بدلة قماش
ثم غيرت ما كان عليها وجلست ثم أمرت باحضار المائدة وقالت لى
باسم الله كل يا أبا الحسن فقلت والله لا أكلت لك طعاما ولا شربت
عندك مدا ما حتى تقضى حاجتى فقالت كان هذا من الاول ولكن والله
قد وقعت من عيننا بر واحل الى الامير عمرو وقبل يجيئك الينا فقلت لها
أنا ما رحت فقالت تكون شيئا وتكذب أنت ما عبرت عنده ورايت
الطيب وهو يقول له كيت وكيت وجرى لك معه كذا وكذا وهذا
الكتاب فى طى عمامتك وبالا مارة قال لك ان رديت لى الجواب أعطينك
ألف دينار وان لم ترد لى الجواب أعطينك مائة دينار فقلت يا ستي
من أعلمك بهذا فقالت أليس القائل يقول

قلوب العاشقين لها عيون * ترى ما لا يراه الناظرون
وأنا يا شيخ أبا الحسن أعشقت منه وأرى أكثر مما يراه فقلت صدقت
يا مولاتى كان ذلك ثم ناوتها الكتاب ففضته وقرأته ثم انها مزقته

وبصقت عليه وداسته ورمته في البركة فلما رأيت ذلك قلت في نفسي
 هذا بذالك وقرض الدين لا بد له من وفاء الا اني حصل لي بعض غيظ على
 الالف دينار التي تقوتني فنظرت الى وعرفت مني ذلك فقالت يا شيخ
 أبا الحسن من غيظك ان كان وعدك بالالف دينار بت الليلة عندي
 وكل واشرب ولذوا طرب وخذلك غدا مني ألف دينار وامن في وداعة
 الله فقلت يا سيدتي يكاد الامير عمرو ان يموت فقالت دعنا من هذا
 الكلام ثم ان المائدة حضرت فاكلنا بحسب الكفاية فلما فرغنا
 قالت يا شيخ تعرف تلعب بالشطرنج قلت ما ألعب الا على الحكم والرضى
 فقالت نعم ثم دعت بالشطرنج فوضع بين أيدينا ولعبت معها الدست
 لاول فغلبتني فأمرت الجواري أن يرموني في البركة فسكروني
 ورموني في البركة فضحكت على ساعة ثم أخرجوني وقد ابتلت جميع
 حواشي فلما رأني على تلك الحالة أمرت بدلة من القماش من أفخر
 الملبوس فلبست فقالت تلعب أيضا على الحكم والرضى قلت نعم
 فلعبنا فتغابرت عليهما وأتيت لهما بحكاية لطيفة مضحكة وأشغلتهما
 وسرقت القطع الى أن غلبتهما وتحكمت فيهما وقلت أريد الالف دينار
 وجواب الكتاب فأعمايتني الالف دينار وطلبت الدواء والقرطاس
 ثم انهما أطرقت ساعة ورفعت رأسها وكتبت تقول

ألا يا عمرو كم هذا العناء * وكم هذا التعب والاذاء
 كتبت الى تشكو ما نلاقي * من الاسقام اذ نزل القضاء
 فسقم لا يزال طول دهر * وداء ما له أبدا دواء
 ولو ساعدتنا يا عمرو يوما * لساعدناك اذ نزل البلاء
 فعش صبا وبت كذا خرينا * فواحدة بواحدة جزاء
 فلما فرغت ناولتني الورقة فقرأتها فقلت يا ستي بالله عليك لا تفعل

وارحمي الامير عمرو واكتبي له غير هذا فقالت لي يا شيخ ابا الحسن
 أنت رسول والافضولى فقلت لها رسول وفضولى وطفلى ويعظ
 القسط ويحلف انه ما يبات الا فى الوسط ويعني بليت بكم قال فضحكت
 من كلامى وقالت حكمتك فى نفسى فقلت يا ست بدور أين تلك
 المحبة التى كنت تحميم اللامير عمرو فلما بصرتيه ما عرفتيه من شدة
 ما يقاسى من الاسقام والالام والامراض فلما سمعت ذلك قالت
 أخبرنى عن أقوى شئ به من المرض فقلت يا سيدتى ما أقدر أصف لك
 بعض ما فيه من ألم المرض فتغرغرت عينها بالدموع ثم قالت يعز على
 ما وصفت لى عنه وروحى لروحه الفداء فالحمد لله الذى كان اجتماعنا
 على يدك ثم دعت بدرج غير تلك الورقة وكتبت فى أول الكتاب بسم
 الله الرحمن الرحيم ثم انها ابتدأت تشد وتقول

وصل الكتاب فلا عدمت أنا ملاً * غنيت به حتى تصوغ طيباً
 ففضضته وقرأته فوجده * لحنى أوجاع القلوب طيباً
 فكأنه موسى أعيد لأمه * أو ثوب يوسف قد أتى يعقوباً
 الملوكة تقبل الأرض ونهى أن شوقها شديد وغرامها ما عليه مزيد
 وسؤالها من الحميد المجيد أن يجمع شملها بك قبل أن تريد وأقول
 أشتاقكم حتى اذا نهض الغرام * لمقامكم قعدت بى الايام
 والله انى لو وصفت صباتى * فى المداد وكلت الاقلام
 ثم انها نثرت فيها قنات المسكن والطيب وطوتها وختمتها وناولتنى
 اياها فأخذتها وقمت مسرعا وأنا فرحان الى أن أتيت دار الامير عمرو
 ودخلت الدهليز فسمعته يقول

ترى حرمت كتب المحبة بيننا * أسعرا القراطس أصبح غاليا
 فاستأذنت عليه ودخلت فلما رآنى قال لى أقمع أم شعير فقلت له قمع

مغرب بل ليس فيه كدر * ثم ناولته الكتاب ففحصه وقرأه * فلما فهم
معناه تامل وجهه بالفرح فبكى وقال

هجم السرور على حتى اننى * من عظم ما قد سرنى أبكاني
يا عزيز قد صار البكاء عادة * تبكين في فرح وفي احزاني

فلما فرغ من البكاء قال لى باشيخ ما أطن الحديد يلين ولا الصخر يذوب
لعل أن تكون صنعت هذا الكتاب من عندك * فقلت يا مولاي والله
ما صنعت ولا كتبه بل هو خطها بيدها فينساها ويخطا طبعنى اذهى
عبرت علينا وهي تخطر في قوامها وهي تشد وتقول

نزوركم لا نؤاخذكم بجمفة كرم * ان الكريم اذا لم يستد زارا

فلما رآها الامير عمرو نهض قائما على قدميه ورحى بوجهه عليها واعتنقها
واعنتقه ساعة زمانية فقامت على أن أخلى لها المكان فقالت لى
الست بدور الى أين تروح باشيخ قلت أخلى لكما المكان لانك
ما اجتمعنا من مدة سنة كاملة فقالت لا تفارقنى من الساعة الى
الصباح فقام الامير عمرو وأخذنا مضى بنا الى مجلس مليح وقدم
لنا الطعام المقطر وأمر بارلة كل شئ كان عليه من آلة الحزن
وجيء له بالماء فغسل يديه وغسلنا أيدينا وانتقلنا الى مجلس
الشراب وبتنا في لذة ورأيت الماوية تدب في وجه الامير عمرو وبتنا
في لذة فلما أصبحت قالت لى الست بدور باشيخ أبا الحسن امض
وانتنا بالقاضى والشهود فلم يكن بأسرع مما حضرهم فقالت
الست بدور للقاضى اكتب كتابى على الامير عمرو وقد وليت الشيخ
أبا الحسن عقد النكاح * قال فخطب القاضى خطبة النكاح
وعقد العقد بينهما * ورسوم الامير عمرو للقاضى بألف دينار والشهود
بمائتى دينار وعمل الوليمة واطعم الجميع الحلوات وجمع الناس

ووضع بين أيديهم الموائد وأطعم الشارد والوارد وزفت الست بدور تلك
 الليلة على الأمير عمرو رحمه الله فلما وقفوا على المصصة قلت ما تصلح إلا له ولا يصلح
 إلا لها ولوراد ما غيره لزلزلت الأرض زلزلا لها رحمته الله ثم تقدمت إلى الأمير عمرو
 وقلت له يا مولاي المثل يقول العصفور يتقلى والصياد يتفلى وأتم تقولون
 واطرباه وأنا أقول واخرناه فقالت الست بدور ما معنى كلامك هذا
 قلت يا سيدي الأمير عمرو وعدني بوعد والوعد على الكرماء دين
 فقالت الست بدور صدق الشيخ اعطه الذي وعده به فقال الأمير عمرو
 لبعض غلمانه أعط الشيخ أبا الحسن ألفا وخمسمائة دينار يستاهل والله
 أكثر من ذلك فضى الغلام وعاد بسرعة ومعه كيس وناولني إياه
 وأعطيني الست بدور مثله ثم اني ودعتهم وخرجت إلى ان أتيت إلى
 الأمير محمد بن سليمان الزينبي وقعدت عنده على عادي وأخذت رسي
 الذي لي عليه في كل سنة وعدت إلى بغداد فمأريت سنة أبرك على
 منها حصل لي فيها أربعة آلاف دينار رحمته الله وهذا حلة الحديث رحمته الله فتعجب
 الخليفة وقال ما قصرت يا شيخ أبا الحسن خذ من جعفر ألف دينار
 لأنك أنت الذي أرايت عني ما بعلي فقال جعفر ومن عند أمير المؤمنين
 ألف دينار لأنه هو الذي زال عنه ما كان يجده رحمته الله فقال أبو الحسن صدق
 الوزير بقاء الله تعالى رحمته الله ثم انه قبض الألفين دينار وأمضى إلى منزله
 والله أعلم رحمته الله قال أبو القاسم عبد الملك بن بدرون في شرحه لقصيدة
 عبد المجيد بن عبدون جعفر البرمكي هو جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك
رحمته الله والبرمك هو الذي يعرب بيت النور رحمته الله وهو بيت النار رحمته الله وكان برمك
 من مجوس بلخ وكان عظيم القدر فيهم وولد له خالد فلما كبر مار وزيراً
 لابي السفاح بعد أبي سلمة الخلال رحمته الله وقتل هارون الرشيد جعفر سنة
 سبع وثمانين ومائة وكان جعفر قد بلغ من الرشيد ما لا يبلغه وزير من

خليفة قبله حتى كان يجالس معه في حلة واحدة قد اتخذ لها جيبان على
 ما ذكره بعض المخبرين وهو كان بلغ عنده أن يحكم عليه فيما شاء من
 أمر ماله وولده فمن ذلك ما حكاه ابن المهدي عم الرشيد وهو ابراهيم
 المعروف بابن شسكة وكانت شسكة أمة سوداء وقد ذكر ابن ابراهيم
 كان أسود شديد السواد وكان من الطبقة العليا في صنعة العود قال
 قال لي جعفر يوما ابراهيم اذا كان غدا فبكرك لي فلما كان الغد مشيت
 اليه باكرا فجلستنا فحدثت فلما ارتفع النهار اخرجنا فمناجنا ثم قدم لنا
 الطعام فضعنا ثم خلع علينا ثياب المنادمة وقال جعفر لخادمه
 لا يدخل علينا أحد الا عبد الملك القهرمان فحسب الحاجب ما قاله فجاء
 عبد الملك بن صالح الهاشمي وكان رجلا من بني هاشم ذا ملاحاة
 وفصاحة وعلم وحلم وجلالة قدر وفخامة ذكر وصيانة وديانة فظن
 الحاجب أنه الذي أمره بإدخاله عليهم فلما رآه جعفر تغير لونه فقال له عبد
 الملك بن صالح لما رآهم على تلك الحالة وظهر له أنهم احتشموه أراد أن
 يرفع حججه ويخجلهم بمشاركته لهم في فعلهم فقال اصنعوا بنا ما منعتم
 بأنفسكم فجاء الخادم فطرح عليه ثياب المنادمة ثم جلس للشراب
 فلما بلغ ثلاثا قال للساق ليخفف عني فاني ما شربته قط فتהל وجهه
 جعفر فقال له هل من حاجة تبلغها مقدرتي وتحيط بها نعمتي فأقضيها
 لك مكافأة لما صنعت به قال بلى ان أمير المؤمنين علي غاضب فسله
 الرضا عني قال قدرضني عنك أمير المؤمنين قال وعلى أربعة آلاف دينار
 قال هي لك حاضرة من مال أمير المؤمنين قال وابن ابراهيم أريد أشد
 ظهره بصهر من أمير المؤمنين قال قدروجه أمير المؤمنين بأبنته عائشة
 قال واحب أن تتحقق الالوية على رأسه قال نعم قد ولأه أمير المؤمنين
 مصر قال ابراهيم بن المهدي فانصرف عبد الملك بن صالح وأنا أتعجب

من اقدام جعفر على قضاء الحوائج من غير استئذان فلما كان من العذر
وقفا على باب الرشيد ودخل جعفر فلم يلبث ان دعا بأبي بوسن
القاضي ومحمد بن واسع وابراهيم بن عبد الملك فعدله السكاح وحملت
البدر الى منزل عبد الملك وكتب سبيل ابراهيم على مصر وخرج جعفر
فأشار الى فلما سار الى منزله ونزلت بنزوله التفت الى وقال لعل قلبك
معلق بأمر عبد الملك بن صالح فأحببت معرفة خبره قلت نعم * قال
بذلك اني لما دخلت على أمير المؤمنين وتمثلت بين يديه وانسدت
لقصة من أولها الى آخرها كما كانت * قال الرشيد أحسن والله *
أحسن والله * ثم قال ما صنعت فأخبرته عما سألت وبما أحبته في ذلك
فقال أحسنت * وخرج ابراهيم واليا على مصر من يومه والله تعالى
علم * (قال ابراهيم بن اسحاق) * كنت منقطعا الى البرامكة فبينما
أنا ذات يوم بمنزلي واذا سابي يدق فخرج غلامى وعاد وقال على الباب
فنى جميل يستأذن فأذنت له فدخل شاب عليه أثر السقم فقال لى
مدة أحاول لقمك ولى اليك حاجة فقلت ماهى فأخرج ثلثمائة دينار
فوضعهما بين يدى وقال أسئلك أن تقبلها منى وتصنع لى بيتين
قلتما نقلت أنفسنا منىهما فقال

يا الله يا طر فى الحماى على كبدى * لتطفئن بدمعى لوعة الحزن
لا لأبوحن حتى تحللى سكنى * فلا أراه ولو أدبرت فى كفى
قال فصنعت لهما لحما يشبه النوح ثم غنيت به فأغنى عليه حتى انى ظننت
أنه مات ثم أفاق وقال أعدده فما شدته الله وقلت أخشى أن تموت فقال
ليت ذلك وما زال يخضع ويتضرع حتى رحمته وأعدته فصعق صعقة
أشد من الأولى فلم أشك فى موته ومارلت انضج عليه من ماء الورد حتى
عاف * ثم جلس فحمدت الله على السلامة ووضعت دنانيره بين يديه

وقلت خذ مالك وانصرف عني فقال لا حاجة لي بها ولاك مثلها ان أعدته
فشرفت نفسي فقلت أعيدوايكن بثلاثة شرائط أولها تقيم عندي
ثأكل من طامعي حتى تتقوى نفسك الثاني أن تشرب من الشراب
ما يمسك قلبك الثالث أن تحذني بحديثك ففعل ذلك ثم قال اني رجل
من أهل المدينة خرجت منزها وقد سال المطرفي العقيق مع اخوتي
فرايت فتاتا مع تيات كأنها غصن جلالة النداء تنظر بعينين ما ارتد
طرفهما الا بغس ملاحظهما فأطلن حتى فرغ النهار فانصرفن
وقد رمت بقلبي جراحا بضيئة الاندمال فعدت أنسم أخبارها فلم أجد
أحدًا يرشدني اليها فجلت أتتبعها في الاسواق فلم أقع لها على خير
ومرضت أساوحكيت قصتي لذى قرابة لي فقالت لي لا بأس عليك
هذه أيام الربيع ما انقضت وستطر السماء فتخرج حينئذ وأخرج أنا
معك فأفعل مرادك قال فاطمئنت نفسي بذلك الى ان سال العقيق
ونخرج الناس ينظرون فخرجت مع اخوتي وقرابتي فجلست في مجلسها
بعينه فالبسها الا والفسود كفرسي رهان فقلت لقرابتي قولي لهذه
الجارية يقول لك هذا الرجل لقد أحسن من قال

رمتني بسهم أفصد العلب وانثفت * وقد عاودت جراجه وتذوبا
قال فمضت اليها وقالت لها ذلك فقالت لها قولي له وقد أحسن من أجابه
بنامثل ما تشكو فصر العلبا * نرى فرجاي شفي الغلوب قريبا
قال فأمسكت عن الكلام خوفاً للضيعة وقمت منصرفا فقامت
لقيامي فتبعتها قرابتي حتى عرفت منزلها ورجعت فأخذتني وسرنا اليها
حتى اجتمعا واتصل ذلك حتى شاع وظهر وجها أبودا فلم أرل محتردا
في لقاءها فلم أقدر وشكوت ذلك الى أبي فجمع أهلنا ومضى الى أبيها
راغباً في خطبتها فقال لو بداله ذلك قبل أن يفضها العلبت ولكنه

أشهرها فها كنت لأحقق قول الناس قال إبراهيم فأعدت عليه
 الصوت وعرفني منزله ثم انصرف وكانت بيننا عشرة ثم جلس جعفر
 ابن يحيى وحضرت على عادتي فغيبته شعرا لفتي فطرب وشرب أقدا ما
 وقال وبلك لمن هذا الصوت فحدثته حديث الفتى فأمرني بالركوب
 اليه وأن أجلسه على نقعة من بلوغ أربعة فضيت اليه وأحضرت فاستعاده
 الحديث فحدثه وقال هي في دمتي حتى أروحك أياها فطابت نفسه
 وأقام معنا فلما أصبح ركب جعفر إلى الرشيد وحدثه بذلك فاستظرفه
 وأمر أن يحضرا جميعا فاستعاد الصوت وشرب عليه فأمر بكتب
 الكتاب للملح عامل الحجاز بإحضار المرأة وأهلها وأهلها
 مبلين إلى حضرتها والانفاق عليهم نفقة واسعة فلم يمس إلا سير حتى
 حضروا فأشار الرشيد بإيصال الرجل اليه فحضر وأمر بتزويج ابنته
 من الفتى وأعطاه ألف دينار وقلت إلى أهله ولم يزل الشاب من ندماء
 جعفر حتى حدث ما حدث فعاد الفتى بأهلها إلى المدسنة فرحم الله
 تعالى أرواحهم أجمعين (حكاية أجنبية) وم اتفق أن الوزير أبا
 عامر أحمد بن مروان كان قد أمدى له علام من البصري لا تقع العينون
 على أحسن منه فلمحه الملك الباصر فقال له أني لك هذا قال هو
 من عند الله فقال تفرنا يا نخوع ونستأثرون بالاقار فأمر باله
 ثم احتفل في مدينة بعتها اليه مع الغلام وقال له كن داخل في جملة الهدية
 ولولا الضرورة ما سمحت بك نفسي وتنب منه هذه الآيات
 أمولاي هذا البدر سار لا فكم * والافق أولى بالبدور من الارض
 أراضيك بالفس وهي نفيسة * ولم أرقب — لي من بهجته يرضى
 قال فحسن ذلك عند الماصر وتوقفه بمال جليل يمكن عنده ثم بعد
 ذلك أهديت لأربرجارية من أجل نساء الدنيا فخاف أن ينهي ذلك

الى الناصر في طلبها فتكون قصة الغلام فاحتفل في مدينة أعظم
من الاولى وأرسلها مع الجارية وكتب هذه الابيات
أمولاي هذى الشمس والبدر أولا * تقدم لى أن يلتقى التمران
قران لعمري بالسعادة ناطق * قدم معهم فى كوثر وجنان
فما لهما والله فى الحسـ ن ثالث * ومالك فى ملك البرية ثانى
قال فضاغت مكانته عنده ثم وشى به بعض أعدائه عند الناصر أن
عنده بقية من الغلمان وحزره وأنه لا ينزل يلهمج بذكره حين تحركه
الشمول فيقرع السن على تعذر الوصول فقال الناصر للواشى لا تحرك
به اسنانك والاطرار أسك وكتب على لسان الغلام ورقة فيها مولاي
تعلم أنك كنت لى على الانفراد ولم أزل معك فى ذميم وأنا وان كنت
عند السلطان مشاركا فى المنزلة محاذرا ما يدوم من سطوة الملك فتعيل
فى استدعائى منه ثم بعثها مع غلام صغير وأوصاه أن يقول هى من عند
فلان وان الملك لم يكلمه قط فلما وقف عليها أنو عامر واستخبر الخادم
فأحس بالمكيدة فكتب على ظهر الورقة يقول

أمن بعد أحكام التجارب ينبغي * لدى سقوط الير فى غابة الاسد
ولا أنا بمن يغلب الحب عـ له * ولا جاهل ما يدعيه أولو الحسد
فان كنت روى قد وهبتك طائعا * وكيف ترد الروح ان فارق الجسد
فلما وقف الناصر على الجواب تعجب من فطنته ولم يعد الى سماع واش
فيه بعد ذلك ثم قال له كيف خلصت من الشرك قال لان عـ لى بالهوى
غير مشترك انتهى وهذا سبب قتل البرامكة وما وقع لهم مع الرشيد
(والقصة فى ذلك على ما رواه ابراهيم بن اسحاق عن أبى ثور زاهر بن
مقلاب) قال بلغنى انه كان لهارون الرشيد مجلس بالليل مع جعفر
البرمكى فقال له يوما لا يطيب لى ذلك الا بمحض أختى ميمونة ولا يكن

لا يجوز الا ان كتبت لك عليهم الاباحة النظر من غير أن تقر بها فافقنا
على ذلك وعقد له عليهم اثم أحضرها فكانت تحضر لذلك المجلس الا أنه
زاد غرامها وعشقها فيه وكان مجعرا البرمكي امرأة تزين له الجوارى كل
ليلة فجاءت ميمونة لها وأرشتها بمال فزينته له وأدخلته اعليه فظن
انها جارية فواقعها فلما أصبحوا قالت له أنا ميمونة وقد كنت أسألك
أن تساعدني على مودتك فتأني فلما أيسست منك احتلت عليك بما
رأيت في هذه الليلة وان لم تواطب لآكونن سبيبا في سلب نعمتك وهل
أنت الا زوجي فقال لها جعفر ويحك أهلكك تبني وأهلكك نفسك وكان
كما قال ولم يزرها حتى ظهر أمرها للرشيدها كان سبب قتل البرامكة
وهذا ابتداء الحديث قال المبرق قال أبو عبد الله المارستاني عن يحيى
ابن أكرم القاضي قال سألت اسماعيل بن يحيى الهاشمي عن سبب
زوال نعمة البرامكة قال نعم أعرف صحة الخبر وباطن القصة كان
سبب ذلك أني كنت مع الرشيد يوما من الايام راكبا الى الصيد فبينما
نحن نسير اذنظر الى موكب بالبعد اعترضنا فقال لي يا اسماعيل لمن هذا
فقلت هو اخي جعفر بن يحيى فالتفت عينا وشمالا الى من معه
في موكبه فاذا هو شزيمة يسيرة ثم نظر الى الموكب الذي فيه جعفر فلم
يره فقال يا اسماعيل ما فعل جعفر وموكبه فقلت يا سيدي قدمضي
أخوك في طريق ولم يعلم بموضعك فقال مارأنا أهلا أن يزينا بموكبه
ويجملنا بحيشه فقلت العفويا أمير المؤمنين لو علم بمكانك ما تعداك وما
سارا لا بين يديك واعتذرت بما حضرني من الكلام ثم سرنا حتى
انتهينا الى ضيعة عامرة ومواش كثيرة وعمارة حسنة وكان الطريق
يدور عليهم اندرنا حتى وردنا باب القرية فنظر الرشيد الى البيدر والى
كثرة الغلال فيه والمواشي ويسار أهلها فالتفت الى وقال يا اسماعيل

لمن هذه الضيعة قلت لاختيك جعفر بن يحيى فسكت ثم تنفس الصعداء
 ثم سرنا ولم نزل يمر بكل ضيعة أعمر من الأخرى وكل مامر وسألتني عن
 ضيعة قلت لجعفر بن يحيى حتى سرنا ووصلنا إلى المدينة فلما أردت
 وداعه والانصراف إلى منزلي نظر إلى من كان حواليه نظرة فعلموا
 ما أراد ففرقوا وبقيت أنا وودو فقار يا اسماعيل قلت لبيك يا أمير
 المؤمنين فقال انظر إلى البرامكة أغنيهاهم وأفقرنا أولادنا وأغفلنا
 أمرهم فقلت في نفسي بلية والله ثم قلت لما دأب أمير المؤمنين قال نظرت
 أو هؤلاء وغفلات عن هؤلاء لا إلى لا أعرف لاحد من أولادى ضيعة من
 ضياع البرامكة على طريق واحد على قرب هذه المدينة فكيف عبادو
 لهم غير ذلك على غير هذه الطريق في سائر البلدان فقلت يا أمير المؤمنين
 إنما البرامكة عبيدك وخدمك والضيعات وأموالهم وكل ما يملكونه لك
 فنظر إلى نظرة جبار عنيد ثم قال ما عهد البرامكة بنى هاشم الأعيادهم
 وأنهم هم الدولة وإن لنعمة لبني العباس إلا والبرامكة أنعموا عليهم بها
 فقلت أمير المؤمنين أبصر من غيره فندمه وواله فقال والله يا اسمعيل
 الملك تعلم أنى قلت هذا وكأني أراك أن تعلمهم بكلامي فتتخذ ذلك
 عندهم بدا واني أمرك أن تكتم هذا الأمر فانه ما علم به أحد غيرك ومتى
 بلغهم شيء مما جرى علمت أنه ما أفساء إلا أنت فقلت يا أمير المؤمنين
 أعوذ بالله أن يكون مثلى يفشى شرك قال وكان هذا أول ما ظهر من
 أمر البرامكة ثم ودعته وانصرفت متفكرا في إيقاع الحيلة عليهم فلما
 كان من الغد بكرت إليه وجلست بين يديه وكان في محل يشرف على
 الدجالة من شرقي مدينة باب السلام وبأزائه منزل جعفر بن الجباب
 الغربي وكانت المواكب من جميع الأصناف من قائد وأمير وعامل
 يردون في كل يوم إلى قصر جعفر فالتفت إلى وقال يا اسمعيل هذا ما كنا

فيه بالامس انظر كم على باب جعفر من الجيوش والعلماء والمواكب
وأنا ما على باب دارى أحد فقلت يا أمير المؤمنين ناشدك الله
الأتعلق نفسك بشئ من هذا وإن جعفر إنما هو عبدك وخادمك
ووزيرك وصاحب جيوشك اذ لم يكن الجيش على بابه فعلى باب من
يكن إنما بابه باب من أبواب فقال يا اسماعيل انظر الى دوابهم
ألم ترى أعجازهم الى قصرى وتروث بازائنا ونحن ننظر اليها
والله هذا هو الاستغفار بعينه والله لا أضربن على ذلك ثم غضب
غضبا شديدا وامتلا غيظا فأمسكت عن الكلام وقلت والله
هذا قضاء من الله سابق وحكم لا محالة واقع ثم استأذنته فى الانصراف
ورجعت الى منزلى فلقيت جعفر فى الطريق يريد الرشيد فقتلوا ريت
عنه حتى مضى فدخل اليه وسلم فأجلسه عن يمينه وأكرمه غاية
الاکرام وبش فى وجهه وحادثه ساعة ووهب له خادما من خاصة
خدمه وأنبلهم وأوضحهم وجها وأكملهم ظرفا كاتبا حاسبا اليها فمر
جعفر سرورا كاملا ووقع فى قلبه أجل موقع وكان دسيسا عليه
وبلية لديه يرفع أخباره الى الرشيد ويحصى عليه أنفاسه ساعة
بساعة ووقتا بوقت فخلاه جعفر يومه ذلك وليلته واحتجب من أجله
عن الناس فلما كان بعد ثلاثة أيام سرت الى جعفر فسلمت عليه فلما
خلا مجلسه ولم يبق عنده غيرى وذلك الخادم واقف وعلمت ان الخادم
يحصى علينا أخبارنا فقلت أيتها الوزير نصيحة أقتأذن لي بالكلام قال
تسكلم وكان الرشيد ولأه كورة خراسان كلها وما يضاف اليها وينسب
لها قبل هذا الكلام بأيام وخلع عليه وعقد له لواء وعسكر بالتهروان
وضرب الناس مضاربهم بها وهم متأهبون لفسر فقلت يا سيدى أنت
عازم على الخروج الى بلدة كثيرة الخير واسعة الاقطار عظيمة الملكة

فلو صيرت بعض ضياعك لولد أمير المؤمنين لكان أحظى انزلتلك عنده
فلما قلت ذلك نظر الى غضبا وقال والله يا اسماعيل ما كل الخبران
عمك أو قال صاحبك الا بفضل ولا قامت هذه الدولة الا بنا ما كفى أنى
تركته لا يهتم بأمر شئ من أمر نفسه وولده وحاشيته ورعيته وقد
ملا ث بيوت أمواله أموالا ولا رلت للامور باليلة أدبرها حتى يمد
عينيه الى ما ادخرته واخترته لولدى وعقبى من بعدى ودخله حسد بنى
هائيم وبغيرهم ودب فيه الطمع والله لئن سأنى شياً من ذلك ليكونن
وبالا عليه سر يعا فقلت والله يا سيدى ما كان مما طنت شياً ولا تكلم
أمير المؤمنين بحرفى قال فما هذا الفضول منك فقعدت بعدها هنيهة ثم
قمت الى منزلى ولم أركب اليه ولا الى الرشيد لاني صرت بينهم فى حال
تهمة وقلت فى نفسى هذا الخليفة وهذا وزيره وأى شئ لى بالدخول بينهما
ولا شك فى زوال نعمة البرامكة وان أمورهم قد انشلت قال وحدثنى
خادم أم جعفران الخادم الذى وهبه الرشيد لجعفر كتب الى الرشيد
بما كان بينى وبينه وما تكلم به من الكلام الغليظ قال فلما قرأ الكتاب وفهم
الخبر احجب ثلاثة أيام متفكرا فى ايقاع الخيلة على البرامكة فدخل
فى اليوم الرابع على زبيدة فحلى بها وشكى لها ما فى قلبه وأساء لها على
الكتاب الذى رفعه اليه الخادم وكان بين جعفر وزبيدة شز وعداوة
قديمة فلما تملك الحجة عليه بالغت فى مكرهم واجتهدت فى هلاكهم
وكان الرشيد يتبارك بمشورتها فقال أشيرى على برأيك الموفق الرشيد
فانى خائف أن يخرج الامر من يدي ان تمكده وامن خراسان وتغلبوا عليها
فقالت يا أمير المؤمنين مثلك مع البرامكة كمثل رجل سكران غريق
فى بحر عميق فان سكنت قد أفتت من سكرتك وتخلصت من غرقك
أخبرتك بما هو أصعب عليك وأعظم من هذا بكثير وان كنت على الحالة

الاولى تركتك فقال لما قد كان ما كان فقولي اسمع منك فقالت ان هذا
 الامر قد اخفاه عنك وزرك وهو اصعب مما أنت فيه واقبح واشنع فقال
 لها ويحك وما هو فقالت انا اجل من ان اناط بك به ولكن تحضرا رجوان
 الخادم وتشدد عليه وتوهمه ضربا فانه يعرفك الخبر وكان الرشيد
 قد اهل جعفر بمحلام يحمله أخوه ولا أبوه وأمره أن يدخل على الحريم
 في السفر والحضر وأبرز اليه جواربه وأخواته وبناته لانه كان بينهما
 رضاع سوى امرأته زبيدة فانه لم يكن رآها ولا دخل إليها ولا قضى لها
 حاجة ولا هي أيضا تستغني عن حاجة فلما فسد قلب الرشيد وعزم على
 هلاك البرامكة وجدت سبيلا على البرامكة فمخطت على جعفر وكان
 جعفر يدخل على الحريم في غياب الرشيد وقضى حوائجهم لانهم
 لا يستترن منه وكان ذلك بأمر الرشيد ولم يعلم الرشيد ما حدث من جعفر
 قال فخرج الرشيد واستدعى بأرجوان الخادم وأحضر السيوف والنماذج
 وقال برئت من المصوران لم تصدقني في حديث جعفر لا قتلنا فقال
 الامان يا أمير المؤمنين قال نعم لك الامان فقال اعلم ان جعفر اقد خانك
 في أخيك ميمونة وقد دخل بها منذ سبع سنين وولدت منه ثلاث بنين
 أحدهم له ست سنين والآخرون له خمس سنين والثالث عاش سنتين
 ومات قريبا والاشان قد أنفذهما الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم
 وهي حامل بالرباع وأنت أذنت له بالدخول على أهل بيتك وأمرتني
 أن لا أمنعه في أي وقت شاء ليلا أو نهارا قال أمرتك أن لا تحجبه فحين
 حدثت هذه الحادثة لم لا أخبرتني اقول مرة ثم أمر بضرب عنقه وقام من
 وقته على الفور ودخل على زبيدة وقال لها رأيتي ما عاملني به جعفر وما
 ارتكب من منك سترى ونكس رأسي وقضيت بين العرب والحجم
 فقالت هذه شهوتك وارادتك عدت الى شاب جميل الوجه حسن

الثياب طيب الرائحة جبار في نفسه أدخلته على ابنة خليفته من خلفاء
 الله وهي أحسن منه وجهاً وانظف منه ثوباً واطيب منه رائحة لكنهم لم تر
 رجلاً قط غيره فهذا جزء من جمع بين البار والحطاب فخرج من عندها
 مكروهاً فدعا بخادمه مسرور وكان قاسي القلب فظاً غليظاً قد نزع الله
 الرحمة من قلبه فقال يا مسرور إذا كان الليلة بعد العتمة فأنتي بعشرة
 من الفعلة أجلاًداً ومعهم خادمان قال نعم فلما كان بعد العتمة
 جاءه مسرور ومعهم الفعلة والخادمان فقام الرشيد وهم بين يديه حتى
 أتى المقصورة التي فيها أخته فنظر إليها وهي حامل فلم يكلمها بشيء ولم
 يعاتبها على ما فعلت وأمر الخادمين بإدخالها في صندوق كبير
 في مقعده ورتبها بعد قتلها ووضعها بحليها ونسيانها كما هي وقفل عليها
 وقد علمت أنها بعد قتل أرجوان لاحقته به فلما علم أنه استوثق بها
 دعا بالفعلة ومعهم المعاول والزناجيل فحفروا وسط تلك المقصورة
 حتى بلغوا الماء وهو قاعد على كرسى ثم قال حسبكم هاتوا
 الصندوق فدلوه في تلك الحفرة ثم قال ردوا التراب عليه ففعلوا
 وسووا الموضع كما كان ثم أخرجهم وقفل الباب وأخذ المفتاح معه
 وجلس في موضعه والفعلة والخادمان بين يديه ثم قال يا مسرور خذ
 هؤلاء القوم واعطهم أجرهم والخادمان معهم وأخذهم مسرور
 وجعلهم في جواريق وخط عليهم بعد أن نقاهم بالصخر والحصى ورماهم
 في وسط الدجلة ورجع من وقته فوقف بين يديه فقال يا مسرور
 فعلت ما أمرتك به قل وفيت القوم أجورهم قد دفع إليهم مفتاح البيت
 وقال احفظه حتى أسألك عنه وامنض الآن فانصب في وسط المحل
 القبة الترككية ففعل ذلك ووفاه قبل الصبح ولم يعلم أحد ما يريد فلما
 جلس في مجلسه وكان يوم الخميس يوم موكب جمع فر قال يا مسرور

لا تنبأ عني ودخل الناس فسلموا عليه وقفوا على مراتبهم ودخل
جعفر بن يحيى البرمكي فسلم عليه فرد عليه السلام أحسن رد وترحب
به وضحك في وجهه فجلس في مرتبته وكانت مرتبته أقرب المراتب إلى
أمير المؤمنين ثم حدثه ساعة رضا حكه فأخرج جعفر الكتب الواردة
عليه من النواحي فقرأها عليه وأمر ونهى ومنع ونفذ الأمور وقضى
حوائج الناس ثم استأذنه جعفر في الخروج إلى خراسان في يومه ذلك
فذهبا يشيد بالمعجم وهو جالس بحضرته فقال الرشيد كم مضى
من النهار قال ثلاث ساعات ونصف فأخذله الارتفاع وحسب له
الرشيد نفسه ونظر في نجمه فقال يا أخى هذا يوم نحوسك وهذه ساعة
نحس رلا أرى إلا أنه يحدث فيها حدث ولا تكن نصلى الجمعة وترحل
في سهودك وتبيت في النهروان وتبكر يوم السبت وتستقبل الطريق
بالتعارف أهأصلح من اليوم فإرضى جعفر بما قاله الرشيد حتى أخذ
الأصطرلاب من يد المخم وقام وأخذ الظالع وحسب الطالع لنفسه
وقال والله صدقت يا أمير المؤمنين إن هذه الساعة ساعة نحس وما
رأيت نجما أشد احتراقا ولا أضيئ مجرى من البروج في مثل هذا اليوم
ثم قام وانصرف إلى منزله والناس والقواد والخاص والعام من كل
جانب يعظمونه ويبجلونه إلى أن وصل إلى قصره في جيش عظيم وأمر
ونهى وانصرف الناس عنه فلم يستقر به المجلس حتى بعث إليه
الرشيد مسرورا وقال له امض إلى جعفر وأتني به الساعة فقل له وردت
كتب من خراسان فإذا دخل من الباب الأول أو وقف الجند والثاني
أو وقف الغلمان والثالث فلا تدع أحدا يدخل معه من غلمان بل يدخل
وحده فإذا دخل في محن الدار فمل به إلى القبة التركية التي أمرت
بنصبها فاضرب عنقه وأتني برأسه ولا تقف أحدا من خلق الله على

ما أمرت به ولا تراجعني في أمره وان لم تفعل أمرت من يضرب عنقك
 ويأتينني برأسك ورأسه جملة وفي دون هذا كفاية وأنت أعلم وتبادر
 قبل أن يبلغه الخبر من غيرك فمضى مسرورا واستأذن على جعفر
 ودخل عليه وقد نزع ثيابه ولرح نفسه ليسترى فقال سيدي
 أجب أمير المؤمنين قال فارح وارناع منه وقال ويلك يا مسرورا أنا
 في هذه الساعة خرجت من عنده وبما الخبر قال وردت كتب من
 خراسان يحتاج قراءتها فطابت نفسه ودعا ثيابه ولبسه وقلد بسيفه
 وذهب معه فلما دخل من الباب الاول أو وقف الجمد وفي الثاني أوقف
 العلمان فلما دخل من الباب الثالث انفتحت فلم ير أحدا من علمائه
 ولا الخدام العرد فمدم على ركوبه تلك الساعة ولم يمكنه الرجوع فلما
 صار باراء تلك القبة الممروبة في صحن الدار مال به اليها وأنزل عن دابته
 وأدخله القبة فلم يرفها أحدا وفي رواية رأى فيها سيفا ونظعا فحس
 بالبلاء وقال لمسروريا أخى ما الخبر فقال له مسرورا أنا الساعة اخوك
 وفيه نزلت تقول لي ويلك أنت تدري ما القضية وما كان الله ليهلك
 ولا ليغفل عنك فقد أمرني أمير المؤمنين بضرب عنقك وحمل رأسك اليه
 الساعة فبكى جعفر وجعل يقبل يدي مسرور ورجليه ويقول
 يا أخى يا مسرور قد علمت كرامتي لك دون جميع العلمان والحاشية وان
 حوائجك عدي مقمية في سائر الاوقات وأنت تعرف موضعى ومحل
 من أمير المؤمنين وما يوحى الى من الاسرار ولعل أن يكونوا بلغوه عنى
 باطلا وهذه مائة ألف دينار أحضر لك بها الساعة قبل أن أقوم من
 موضعى هذا وخافى أهيم على وجهى فقال لا سبيل الى ذلك أبدا قال
 ما حافى اليه وأوقع بين يديه فلم يعلمه اذ وقع نظره على تدرج الرحمة
 فيه فخرج عنى قال ما لي سبيل الى ذلك أبدا ولا يمكنى مراجعته وقد علمت انه

الاسبيل الى الحياة أبدا قال فتوقف عنى ساعة وترجع عليه وتقول له
 قد فرغت مما أمرتني به وأسمع ما يقول وعد فانه لم ماتريد فان فعلت
 ذلك وحصلت لي السلامة فاني أشهد الله وملائكته أني أسأطرك
 في نعمتي مما ملكتني يدي وأجعلك أمير الجيوش وأملكك امر الدنيا
 ولم ينزل به وهو يكي حتى طمع في الحياة قال له مسرور ربما يكون ذلك
 وحل سيفه ومطقة واخذهما وكل به أربعين غلاما من السودان
 يحفظونه ومضى مسرور ووقف بين يدي الرشيد وهو جالس بقطر غضبا
 وفي يده العصيب الولع ينكت به في الارض فلما رآه قال له ذلك انك امك
 ما فعلت في امر جعفر فقال يا أمير المؤمنين قد أنفذت أرك فيه قال فأتى
 رأسه قال في الذبة قال فأتى برأسه الساعة ترجع مسرور وجعفر
 يصلي وتذكر ركعه فلم يله أن يصلي الثانية حتى سل سيفه الذي أخذه
 منه وضرب عمقه وأخذ رأسه بلحيتته وطرحها بين يدي أمير المؤمنين
 وهو يشخب دما فنفس الصعداء وبكى بكاء شديدا وجعل ينكت
 في الارض أثر كل كلمة ويتبرع انانه بالعضب ويخاطبه ويقول
 يا جعفر ألم أحللك محل نفسي يا جعفر ما كادتي ولا عرفت حق
 ولا حفظت عهدى ولاد كرت نعمتي ولا نظرت في عواقب الامور
 ولا تفكرت في صروف الدهر ولا حسبت تقرب الايام واختلاف
 أحوالها يا جعفر خنتني في اهلي وفضعتني بين العرب والعجم يا جعفر
 أسأت الى والي نفسك ولا تفكرت في عاقبة امرك قال مسرور وأنا
 واقف بين يديه وهو ينكت في الارض في كل كلمة ولم ينزل كذلك الى أن
 أذن للصلاة الظاهر فدعا بآباءه فترضا للصلاة وخرج للجامع فصلي بالباس
 جماعة ثم اظهر وجهه لقصور جعفر ودوره وقبض على ابيه واخيه
 وجميع اولاد البرامكة ومواليهم وغلمانهم واستباح ما فيها ووجه مسرورا

الى العسكر فأخذ جميع ما فيه من مضارب وخيام وسلاح وغير ذلك
فلما أصبح يوم السبت فاذا هو قد قتل من البرامكة وحاشيتهم نحو ألف
انسان وترك من بقي منهم لا يرجع الى وانه وشقت شملهم في البلاد
ولم يقدر واحد منهم على كسرة خبز وجبس أباه يحيى وأخاه الفضل
في مطهورة وأمر بحنة جعفر فوصلت على الجسر ببغداد ثم بعث الى
خراسان أن يؤمن بلادها وأمر الناس فردوا مضاربهم ودخل العسكر
واستقروا له الامور واحضر على بن عيسى بن همام فولاه خراسان
ثم وجهه الى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم فأقنى الصديق ولدى جعفر
من اخته ميمونة فأدخله عليه في بيته فلما رآه أعجب بها وكان في نهاية
من الحسن والجمال فاستطعمها ووجد لغيرها دنية وفصاحتها
هاشمية وفي أنفاطهم اعدوة وبلاغه فقال كبيرهما ما اسمك
يا قرة عيني قال الحسن وقال للصغير ما اسمك يحيى قال الحسين
فنظرا اليهما وبكى بكاء شديدا ثم قال يعز علي حسنكما وجمالكما
لأرحم الله من ظلمكما ولم يدري ما يراد بهما ثم قال يا مسرور ما فعل
بالمفتاح الذي دفعناه لك وأمرتك فظاء قال هاهو حاضر يا أمير
المؤمنين قال فأقن به ثم دعا بجماعة من العلماء والخدم وأمرهم أن
يحفروا في البيت حفرة عميقة وده مسرورا وأمره بقتلهما ودفنهما مع أمهما
في تلك الحفرة رحمهم الله تعالى جميعا وهو مع ذلك يبكي بكاء شديدا
حتى ظنفت أنه رجهما ثم مسح عينيه من الدموع وأمر أن لا تذكر
البرامكة في مجلس ولا يستعان من بني منهم في المدينة أبدا فخرجوا
على وجوههم في البلاء شاردين متذكرين وقطع الله دابرهم
قال فلما كان بعد مدة من هلاك البرامكة وجد الرشيد رقعة تحت
مصلاه فيها خطاب وأبيات من الشعر فبحث عنها فقبل ان

صاحب السرماعها فبعث اليه فسأله عنها فقال يا أمير المؤمنين
وجدتها في محن الدار ولا أعلم من طرحها فأخذتها بارحمتها تحت
مصلاك فقيل ان ذلك من زبيدة اتهلك من بقي من البرامكة فعمت
الرقعة للرشيده وحركته وزادت في غيظه فاستدعى في الوقت بالفضل بن
يحيى وضربه اسيا طاحت كاد أن يهلكه وراد في حديدته واغلاله
ثم استدعى يحيى وكان شيخا كبيرا وزاد في حديدته واغلاله أيضا
وكان قد نشأ في النعيم فتذكر قد جعفر وتشتت الادل فمكتب كتابا
الى الرشيد يستعطفه ويسأله أن يخفف عنه من القيد والغل وهو
بسم الله الرحمن الرحيم الى أمير المؤمنين وفسل المدينين وامام المسلمين
وخليفة رسول رب العالمين من عبد أسلمته ذنوبه وأوبقته عيوبه
وخذله شقيقته ورفضه صديقه وخانه الزمان واناخ عليه الخذلان
ونزل بالخذلان فصار الى الضيق بعد السعة وعالج الموت بعد الدعة
وشرب بكأس الموت مترعه واقترش السخط بعد الرضا واكتسب
السهر بعد الكرا فتم اده فكر ونومه سهر وساعته شهر وليله دهر
قد عاين الموت مرارا وشارف الملاك جهارا يا أمير المؤمنين قد أصابني
مصيبتان الحال والمال أما المال فان ذلك منك ولك وكان في يدي
عارية منك ولا بأس برد العواري الى أهلها وأما المصيبة فجعفر فجرمه
وجبرته وعاقبته بما استخف من أمرك وكان جزاؤه فوق ما استحق
وأما الفقير فاذكر يا أمير المؤمنين خدمتي وارحم ضعفي ووهن قوتي
وهب لي رضاك فمن مثلي الزلل ومن مثلك الاقالة ولست اعتذر ولكن
أقر وقد رجوت أن افوز برضاك فتقبل عذري وصدق نيتي وظاهر
طاعتي وتلويع حجتى ففي ذلك ما يكتفى به أمير المؤمنين ويرى الحقيقة
فيه ويبلغ المراد منه ثم أنشأ يقول

قل للخليفة ذى الصنائع * والعطايا الفاشية
 وابن الخلائف من قريش * والملوك العاليه
 رأس الامور وخير من * ساس الامور الماضيه
 ان البرامكة الذي — من رمو الديك بدايه
 عنهم مولك سقطه * لم تبق منهم باقيه
 فكأنهم مماسهم * أعجاز نخل خاويه
 صفرا الوجه عليهم * خلع المذلة باديه
 مستضعفون ومطردون * ن بكل ارض قاصيه
 بعد الامارة والوزا * رة والامور الساميه
 ومنازل كانوا بها * فوق المسارل عليه
 أضحوا وجل مناهمو * ملك الرضا والعافيه
 دامن يريد الى الردا * يكفيك ويحك ما به
 يكفيك انى مستقبا * ح لعشرى ونسائيه
 يكفيك ما أبصرته * ذلى وذلم كانيه
 فلقد رأيت الموت من * قبل الممات علانيه
 وبكاء فاطمة الكب — يرة الدموع البحاريه
 ومقالها بتفجع — ع * يا أسرتى وشفائيه
 من لى وقد غلب الزما * ن على جميع رجاليه
 يالهف نفسى لهفها * ما للزمان وماليه
 أو ما سمعت مقاتلى * يا ذا الفروع الراكيه
 يا عطفة الملك الرضا * عودى علينا ثانيه
 فلما وقف الرشيد على الرقة كتب على ظهرها هذه الايات
 يا آل برمك انكم * كنتم ملوكا عاتيه

فصيتهم وطغيه — تم * وكفرتونهم ما فيه
 هذى عقوبة من عصى * من فوقه وعصانيه
 أجرى القضاء عليكمو * ما ختموه علانيه
 من ترك نصيح امامكم * عند الامور البادية

ثم أردفه بقوله تعالى * (بسم الله الرحمن الرحيم) وضرب الله مثلا
 قرية كانت آمنة مطمئة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم
 الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون * فلما قرأها
 يحيى وهو بالسجن أخذته الحمى لوقته وساعته وكان ينام على التراب
 وأبس من الحياة وعلم انه ليس له محصل مما هو فيه من السجن انتهى *
 وقيل ليعي بن خالد بن برمك أها الوزير أخبرنا بأحسن ما رأيت في أيام
 سعادتك قال ركبت يوما في بعض الأيام في سفينة أريد الله نزه فلما
 خرجت برحلي لأصعد * فأتت كائن على لوح من الواحها وكان بأصبعي
 خاتم فطار فسه من يدي وكان ياقوتا أحرقه — هـ ألف منقال من
 الذهب فتطيرت من ذلك ثم عدت الى منزلي واذا بالطباخ قد أتى بذلك
 الفص بعينه وقال أها الوزير رقيت هذا الفص في بطن حوت وذلك
 لاني اشتريت حينانا للطبخ فشقيت بطنها فرأيت هذا الفص فقلت
 لا يصلح هذا الا للوزير أعز الله تعالى فقلت الحمد لله هذا بلوغ الغاية
 * وقيل له أخبرنا بعض ما لاقيت من المح قال اشتهيت لحما في قدر
 طباخ وأنا في السجن فغرمت ألف دينار في شهوتي حتى أتيت بقدر
 ولحم مقطوع في قصبة فارسية والحل وسائر حوائجها في قصبة أخرى
 وتركوا عمدي ما احاج اليه وأتيت بنار فأوقدت تحت القدر ونفخت
 ولحيتي في الارض حتى كادت رجلي تخرج فلما انفجرت تركتها تفور وتغلي
 وقتيت الحبز عمدت لانزلها فانفلتت من يدي وانكسر القدر على الارض

فبقيت ألتقط اللحم وأمسح منه التراب وآكله وذهب المرق الذي كنت
أشتهيه وهذا أعظم ما مر بي انتهى * ثم ان الرشيد نذر الحج فخرج
وخرج معه العسكر وكان خروجه في رمضان فكانت تضرب له
السرادات المكاهة بالديساج مفروشة بالحري يخرج من سرادق إلى
سرادق والباس محذقون به حتى وصل إلى الحرم وحج * فاتفق ان الوفاة
دنت من يحيى وهو في السجن فكذب ربيعة وأرصى لوزة الفصل أن
يوسلوا إلى الرشيد وكتب فيها هذه الآيات

سنة لم في الحساب اذا التقيا * غدا يوم القيام من الظالم
وينقطع التلذذ عن أناس * من الدنيا وقته طاع الموم
تنام ولم تتم عمل المسايا * تنبيهه للمنية يا ثوم
تروم الخلد في دار المسايا * وكم قد رام غيرك ما تروم
إلى ديان يوم الدين نضى * وعبد الله تبت مع الخصوم
قال فلما قدم لرشيد أنقذا إليه الفضل * فلما قرأها علم بمرته فقال
مات والله يحيى ومات الجود والكرم والسخاء والله لو كان حيا فرحت
عنه ثم أمر بإطلاق الفضل إليه واستنوزره مكان أخيه جعفر رحمه الله
عليهم اجمعين قال بعضهم في البرامكة شعرا

ان البرامكة المكرام تعلموا * فعل المكرام فعلموه الماسا
كانوا اذا غرسوا سقوا وادابوا * لم يردوا البسائم أساسا
واذا هم وصعوا لصنائع في الوري * جعلوا لها داول البقاء لباسا
فلم يمتسقينى وأمت سقيتي * كأس المرارة من جانيك كأسا
أنستني مفضلا أفضلا ترى * ان القطيعة توحيش الألباسا
وسئل اسحاق الموصلي عن سخاء اولاد يحيى بن خالد فقال أما الفضل
ففعليه رضىك * وأما جعفر فقوليه رضىك وأما محمد فيفعل ما يجحد *

بنى يحيى يقول القائل

سألت النداهل أنت حر قال لا * ولكنى عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لابل ورائة * توارها من واند بعد واند

وفى الفضل يقول القائل

اذ انزل الفضل بن يحيى ببلدة * رأيت بها غيث السماحة نبت
فليس بسعال اداسيل حاجة * ولا بكب في ثرى الارض ينكت

وفى محمد يقول القائل

سألت البداء الجود ما لى أراكما * تـدلتما عزاً بذل مؤبد
وما بال ركن المحدث مسمى مهدما * فقالا أمبنا فى اريحى محمد
فقلت دهلا ممتا بعد موته * وقد كتما عبديه فى كل شهر
فقالا أقما كى نعزى بفقده * مسافة يوم تم تلوه فى غد

وذكر الحافظ السيوطى نفعنا الله به فى رسالته مشتملى العقول
فى منتهى النقول ان منتهى الكرم للوزراء البرامكة كاد أن لا يوجد
أحد من العلماء والحكماء والعظماء والندماء الا وللبرامكة عليه كرم غناء
كباء السماء ربه كرم جعفر بن خمسين ألف دينار من الذهب وتكر رمنه
كثيرا فى ولايته كلها من غير من ولا أذى ولا لغرض ولا لمرض حتى صار
يضرب بهم المثل الا كبرية ولم تبرك فلان * ومن كرم جعفر أنه
تكرم فى يوم على ألف شاعر اعطى كل شاعر ألف درهم والدرهم ثلاثة
انصاف فضة * ومن كرمه انه تكرم على من هجاء بخمسة آلاف دينار
وعفا عن تأديبه وتعذيبه ولما وقع بهم من الامر ما وقع من الرشيد صار
أمرهم الى ما سيوصف من الفقر والذل والاهانة * فمن ذلك ما قاله محمد
ابن غسان صاحب ولاية الكوفة وقاضيهما قال دخلت على أمى فى يوم
عيد أضفى فرأيت عندها عجوزا فى امارثة واذ لها بيان ولسان

فعلت لاني من هذه قالت هذه خالتك عتابة أم جعفر البرمكي بن يحيى
فسلمت عليهم اوقات لها صار بك الدهر الى ما أرز قالت نعم يا بني ان الذي
كنا فيه عارية أرتجعهما الدهر منا قال فقلت حدثني به من شأنك
قالت خذه جنة لعمري على عيда أضحي مثل هذا منذ ثلاث سنين
وعلى رأسي أربع مائة وصيفة وأنا ازعم ان ابني عاق لي وقد جئتكم اليوم
أطلب جلدي شاة اجعل أحدهما شعارا والا آخر دنار قال فغمني ذلك
وأبكيتني فوديت لها بعض دنائرك كانت عندي والله أعلم * ومن قول
يحيى بن خالد لابنه جعفر يا بني ما دام قلمك يرعف فامطره معروف
* ومن كلام جعفر اذا أحببت انسانا من غير سبب فارج خيره واذا
بغضت انسانا من غير سبب فتوق شره * وقال يحيى بن سلام الارش
قال حدثني أبي قال خرج الرشيد للصيد يوما بعدما آباد البرامكة
فاجتار بجدار خراب من جدران بني برمك فرأى لوحا مكتوبا عليه
هذه الايات

يا منزلا لعب الزمان تأهله * فأبادهم بتفرق لا يجمع
ان الذين عهدتهم بك مرة * كان الزمان بهم يضر ويتقع
أصبحت نزع من رأك وطالما * كنا اليك من المهاول نضرع
ذهب الذين يعاش في أكنافهم * وبقي الذين حياتهم لا تنفع
قال فبكى الرشيد وأقبل على الاصمعي وقال أنعرف شيئا من أخبار
البرامكة تحدثني به فقال الاصمعي ولي الامان قال ولك الامان *
فقال أحدك بشي شاهدته بعني من الفضل بن يحيى * وذلك
أنه خرج يوما للصيد والقدس وهو في موكة به ادراى أعرابية اعلى
ناقة قد أقبل من صدر البرية ركض في سيرة * قال هذا يقصدني
فقلت ومن أعلمك قال لا يتكلمه أحد غيري فلما دنا لاعرابي ورأى

المصارب تضرب والخيام تنصب والعسكر الكثير والجمل العفير
وسمع الغوغة والضجة ظن أنه أمير المؤمنين فنزل وعقل راحلته
رتة ثم إليه وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته
قال اخفض عليك مائة قول فقال السلام عليك أيها الأمير قال
الآن قاربت اجلس فجلس الاعرابي فقال له افضل من أين
أقبلت يا أبا العرب قال من قضاة قال من اذنأها أو من اقضاها
قال من أقضاها قال الاممى فالتفت الى الفضل وقال كم من العراق
الى ارض قضاة وقتل ثمانمائة فرسخ فقال يا أبا العرب مثلك من
يقصد من ثمانمائة فرسخ الى العراق لاء شيء قال قصدت هؤلاء الا ما حد
الانجاد الذين قد اشتهر معروفهم في البلاد قال من هم قال البرامكة
قال انفصل يا أبا العرب ان البرامكة خلف كثير وفيهم حليل وخطير
ولكل منهم خاصة وعامة فهل أفرزت لنفسك منهم من اخترت
لنفسك وأنتبه لحاجتك قال أجل قال من قال أطولهم باعا وأسمعهم
كفأنا من هو قال الفضل بن يحيى بن خالد فقال ادخل يا أبا العرب
ان الفضل حليل القدر عظيم الخطر اذا جلس للباس مجلساء ما لم يحضر
مجلسه الا العلماء والفقهاء والادباء والشعراء والكتاب والمناطرون
للعلم أعلم أنت قال لا قال أفأديب أنت قال لا قال أفعارف أنت بأيام
العرب وأشعارها قال لا قال وردت على الفضل بكتاب وسيلة قال لا
فقال يا أبا العرب غرتك نفسك مثلك يقصد الفضل بن يحيى وهو
ما عرفتك عنه من الجلالة بأي ذريعة أو وسيلة تقدم عليه قال والله
يا أمير ما قصدته الا لاحسانه المعروف وكرمه الموصوف وبيتين من
المشعر قلتم ما فيه فقال الفضل يا أبا العرب أنشدني البيتين فان كان
بما يصلحان أن تلهاهما أشرت عليك ببقائه وان كانا مما لا يصلحان

ان تلقاهما بررتك بشئ من مالي ورجعت الى يادتك وان كنت
 م تستحق بشعرك شيأ قال أفنفعك أيها الامير قال نعم قال فاني أقول
 ألم تر ان الجود من عهد آدم * تحدر حتى صار يمتطيه الفضل
 ولوان أمانه ما جوع ما غلها * غذته باسم الفضل لا غذى الطفل
 قال أحسنت يا أبا العرب فان قال لك الفضل هذان البيتان قدمدنا
 بهما شاعر وأخذنا الجائزة عليهم ما فأنشدني غيرهما ما تقول قال أقول
 قد كان آدم حين حان وفاته * أوصاك وهو موجود بالحوباء
 بنيه ان ترعاهم هو فرعيتهم * وكفيت آدم غولة الانباء
 قال أحسنت يا أبا العرب فان قال لك الفضل ممتحن هذان البيتان
 أخذتهم من أفواه الناس فأنشدني غيرهما ما تقول وقد رمقتك الأدباء
 بالابصار وامتدت الاعماق اليك وتحتاج أن تاصل عن نفسك قال
 أذن أقول .

ملت جها بذا فضل وزن نائله * ومل كاتبه احصاء ما يهب
 والله لولاك لم يدرح بكرمة * خلق ولم يرتفع مجرد ولا حسب
 قال أحسنت يا أبا العرب فان قال لك هذان البيتان أيضا اخذتهم من
 أفواه الناس ما كنت قائلًا قال أقول
 والفضل صولات على مال نفسه * يرى المال منه بالمدلة والعنا
 ولو أن رب المال أبصر ماله * تصلى على مال الامير واذا
 قال احسنت يا أبا العرب فان قال لك الفصل هذان البيتان مسروقان
 انشدني غيرهما ما تقول قال ادن أقول
 ولوقيل للمعروف نادى أبا العلا * لنادى بأعلى الصوت يا فضل يا فضل
 لو أنفقت جدواك من رمل عالج * لاصبح من جدواك قد نفذ الرمل
 قال احسنت يا أبا العرب فان قال لك الفضل هذان البيتان مسروقان

ايضا أنشدني غيرها ما تقول قال اقول
وما الناس الا اثنان صب وباذل * وأنا لك الصب والباذل الفضل
على ان لي مثلا كما ذكر الوري * وليس الفضل في سماحته مثل
قال أحسنت يا أخا العرب فان قال لك الفضل أنشدني غيرها ما تقول
قال اقول ايها الأمير

حكى الفضل عن يحيى سماحة خالد * فقامت به التقوى وقام به البذل
وقام به المعروف شرقا ومغربا * ولم يك للمعروف بعد ولا قبل
قال أحسنت يا أخا العرب فان قال لك قد ضجرتا من الفاضل والمفضل
أنشدني بيتين على الكنية لا على الاسم ما تقول قال اذن اقول

ألا يا أبا العباس يا واحد الوري * ويامل كما خد الملوك له نعل
اليك تسير الناس شرقا ومغربا * فرادى وأزواجا كأنهم نحل
قال أحسنت يا أخا العرب فان قال لك الفضل أنشدنا غير الاسم والكنية
والعفة قال والله لئن زادني الفضل وأمتحنني بعد هذا لا قولن أربعة
أبيات ما سبقني اليهن عربي ولا أعجمي ولئن زادني بعده لا جمع
قوائم ناقتي هذه وأجعلها في حري أم الفضل وأرجعن الى قضاة خاسرا
ولا أبلى فتكس الفضل رأسه وقال للأعرابي يا أخا العرب أسمعني
الابيات الاربع قال اقول

ولا تمة لا تمك يا فضل في النداء * فقلت لها هل يقدح اللوم في البحر
أنهين فضلا عن عطاياه لأننا * فن ذا الذي ينهي السحاب عن القطر
كان نوال الفضل في كل بلدة * تمدره هذا المزن في مهمه قفر
كان وفود الناس في كل وجهة * الى الفضل لا قوا عنده ليله لقدر
قال فأمسك الفضل عن فيه وسقط على وجهه ضاحكا ثم رفع رأسه
وقال يا أخا العرب أنا والله الفضل بن يحيى سل ما شئت فقال سألتك

بالحق امير الانبياء لم يقل نعم قال له فأقضى قال فأفالك الله اذكرا
 حاجتك قال عشرة آلاف درهم قال الفضل اذريت بنا وبنفسك
 يا أخا العرب تعطي عشرة آلاف درهم في عشرة آلاف وأمر برفع المال
 فلما اراد المال اليه حسده وزير الفضل وقال يا مولاي هذا السراف
 يأتيك جلف من أجلاف العرب بأبيات أسترقها من أشعار العرب
 فقبح به هذا المال فقال استعقه بضرورة الينامن أرض قضاة قال
 الوزير أقسمت عليك يا مولاي الا أخذت سهما من كنانتك وركبته
 في صكبة قوسك وأوتأت به الى الاعرابي فان رد عن نفسه بيت من
 الشعر والا استعطف مالك ويكون له في بعضه كفاية فأخذ الفضل سهما
 وركبه في كبد قوسه وأرمأه الى الاعرابي وقال له رد سهمي بيت من
 الشعر فأشأ يقول

لقوسك قرص الجود والوتر لندا * وسهمك سهم العز فارم به فقرى
 قال فضحك الفضل وأنشأ يقول

اذا ملكت كفى منالا ولم أنل * فلا انبسطت كفى ولا نهضت رجلى
 على الله اخلاف الذي قد بذلته * فلما بولى بخل ولا مثلى بذلى
 أرونى بخيلا نال مجدا بعهده * وهاتوا كريمات من كثرة البذل
 ثم قال الفضل لوزيره اعط الاعرابي مائة ألف درهم لقصد شعره
 ومائة ألف درهم ليعكفينا شتر قوائم ناقته فأخذ الاعرابي المال
 وانصرف وهو يبكي فقال له الفضل مم بكائك يا اعرابي استقلا لا بالمال
 الذي أعطيك قال لا ولكنى أبكى على مثلك يا كاه التراب وتواريه
 الارض وتذكرت قول الشاعر

لعمرك ما الرزية فقد مال * ولا فرس يموت ولا بعير
 واكن الرزية فقد حتر * يموت لموته خلق كثير

ونوجه الاعرابي بالمال مسرورا رجة الله عليهم أجمعين * ويحكى
 ان الرشيد قال لابي نواس يعني ذقنك قال بكم قال بألف دينار قال
 بعنك فقال الرشيد لخازن داره ادفع له ألف دينار فدفعها له فأخذها
 وربطها وقال يا أمير المؤمنين خذ ما اشتريت قال لا ولكن جعلتها وديعة
 عندك قال فضى أبو نواس واشتغل بأمره وله ره وهو خائف على ذقنه من
 أمير المؤمنين قال فبينما هو متفكر في شيء فعله اذ جاءه فاسد أمير المؤمنين
 ولم يقدر أن يتكلم دون ان قام معه ودخل الى دار الخلافة فوجده
 في جمع كثير من خواص الماكسة وأعوان الدولة وكان من شأنه أن يجلس
 بالقرب من أمير المؤمنين فقاما دنوا وتماجنوا فضرط أبو نواس ضربة
 مزججة أزعجت الحاضرين فضحكوا جميعا وضحك أمير المؤمنين وقال له
 في ذقك يا معرص فقال في الحال الله أعلم هي ذقن من فقال أمير
 المؤمنين قد وهبته لك يا ملعون فأخذها وانصرف وكسب الألف
 دينار هذه الحيلة والله أعلم انتهى * وكان فخر بن مقبل عاملا على
 الرقة فأتى برجل من الظرفاء وجد يسبح شاة فقال له ما حملك على هذا
 فقال أيها الأمير انها والله ملك يميني وقد قال الله تعالى أو ما ملك
 أيما نكم فأطلقه وأمر أن تضرب الشاة الحدفان مانت نصلب قالوا أيها
 الأمير انها بهيمة قال وان كانت بهيمة فان الحدو لا تعطل وان عطلمتها
 فبئس الوالي أنا فانتهى الى الرشيد خبره ولم يكن رآه قبل فدعاه فلما
 حضر بين يديه قال من أنت قال مولى الكلب فضحك منه ثم قال
 كيف بصرك بالحكم فقال يا أمير المؤمنين البهائم عندي والناس
 سواء ولو وجب حد على بهيمة وكانت أمي أو أختي لحديثها ولم تأخذني
 في الله لومة لأثم فأمر الرشيد أن لا يستعان به على عمل فلم يزل معطلا الى
 ان مات والله أعلم * (ويحكى ان هارون الرشيد) * أمر بقتل أبي

نواس فقال أنتماني شهوة لقتلي فقال لا بل أنت مستحق للقتل قال فبم
استحققت القتل قال بقولك

ألا فاسقني خرا وقل لي هي الحمر * ولا تسقني سرا إذا أمكن الجهر
فقال له يا أمير المؤمنين أفتعلم أنه سقاني وشربت فقال له أمير المؤمنين
أظن ذلك فقال يا أمير المؤمنين أفتعلم على الظن وقد قال الله تعالى
إن بعض الظن اثم فقال له الرشيد قد قلت أيضا ما نسحق به القتل
فقال ما هو فقال له قولك

ما جاءنا أحد يخبر أنه * في جنة من مات أو في نار
فقال له أمير المؤمنين هل جاءنا أحد قال لا قال أتعلمني على الصدق
فقال له الرشيد أولست القائل

يا أحمد لم تجبني في كل نأبة * قم سيدي نعس حبار السموات
فقال له يا أمير المؤمنين أوصار العول فعلا قال لا أعلم قال أفتعلمني على
مالا تعلم فقال له أمير المؤمنين دح هذا كله فقد اعترف في مواضع كثيرة
من شعرك بالزنا قال أبو نواس قد علم الله هذا قبل علم أمير المؤمنين بقوله
تعالى والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تراهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون
مالا يفعلون فقال الرشيد خلوا عنه ومن هذا أخذ الصني الحلي فقال
فحن الذي جاء الكتاب مخبرا * بعفاف أنفسنا وفسق اللسان

وعن محمد بن نافع قال رأيت أبا نواس في الموم بعد موته فقلت يا أبا
نواس فقال لا تدين كنية فقلت الحسن بن هاني قال نعم قلت ما فعل
الله بك قال غفر الله لي بأبيات قتلها في علتي قبل موتي هي تحت
الوسادة فسألت أمة له بقلت هل قال أخى شعرا قالوا لا نعلم إلا أنه دعا
بدواة وقرطاس وكتب شيئا لا ندرى ما هو فدخلت ورفعت وسادة
وإذا أنا برقعته مكتوب فيها

يارب ان عظمته ذنوبي اثره * فلقد علمت بأن عفوك أعظم
 ان كان لا يرجوك الا محس * فمن الذي يدعو ويرجو المحرم
 ما لي اليك وسيلة اء الربا * وجيل عفوك ثم اني مسلم
 (وهذه حكاية العجمي والكردى وما جرى بينهما على يد القاضي بسبب
 الحرب) قيل ان الخليفة هارون الرشيد قد اتيه فاستدعى وزيره جعفر
 البرمكي فجلس عنده قال له يا جعفر اني قفقت وضاق صدري وأريد
 منك شيأ اشرح خاطري فقال له جعفر يا أم المؤمنين ان لي صديقاً اسمه
 على العجمي وعنده من جمع الحكايات والاخبار فقال على به فقال
 سمعاً وطاعة ثم ان جعفر اخرج من عند الخليفة في طلب على العجمي
 فأرسل خافه فلما حضر قال أحب أمير المؤمنين فمعاً وطاعة فأتى
 عند الخليفة وسلم وترحم فقال له الخليفة اجلس فجلس فقال له الخليفة
 اسمع يا على انني اتيه لشيء اصدق وقد سمعت عنك أن في ذنوك
 حكايات واخباراً واريد منك أن تسمعي ما ينزل هي وفكري فقال
 يا أمير المؤمنين تريد أن أحكي لك شيئاً سمعته اورأته فقال ان كنت
 رأيت شيئاً فاحكيه فقال سمعاً وطاعة اعلم يا أمير المؤمنين اني سافرت
 في بعض السنين من بلدي الى هذه المدينة وهي بغداد وصحبني غلام
 ظريف ومعه جراب نظيف فأودعني اياه فينيما أنا ابيع واشترى واذا
 أنا برجل كركدى ظالم معتد هجم علي وأخذ الجراب مني وقال هذا
 الجراب جرابي وكل ما فيه قماشي وثيابي فقلت يا معشر الناس قد اعتراني
 الوساوس فقال الناس جميعاً امضوا الى القاضي فمضينا الى القاضي
 وأنا بحكمه راضى فدخلنا عليه وتمثلنا بين يديه فقال انقاضي في أي
 شيء جئتكم فقال الكردى نحن خصمان قال أيكما المتدعي فتقدم الكردى
 وقال أيد الله مولانا القاضي هذا الجراب جرابي وكل ما فيه قماشي

وثياني وقد ضاع مني ووجدته مع هذا الرجل فقال القاضي ومتى ضاع
 منك فقال الكردي ضاع مني بالامس فقال القاضي ان حكمت
 عرقته فصف لي ما فيه فقال الكردي ان في جراحي هذا مقودين من
 الجبن والكمال للعنين ومنديلين لليديين ومشرتين مدهنتين وشمعدين
 ومكتبين وطبقين وأبريقين وصينية وطشنيين وقدرة ودستين
 ومغرفة ومعلقين ومسلة وبرودين ومقلمة وعلمين وقعبا وقصعتين
 ومخدة وزعنين وحبة وفروتيين وبقرة وعجلتين وعنزا وشاتين وفحة
 وخروفيين وقطين ألبين وجلالين وناقطين وبقرة وثورين رابوة وسبعين
 ودبة وتعلين ومربعة وسريرين وطبقة وقاعتين ورياقا ومعدن
 ومطبخا يابسين وجماعة اكراد يشهدون أن الجراب جراحي فقال
 القاضي فما تقول أنت يا علي فتقدمت يا أمير المؤمنين وقد أبتني كلامه
 فقلت اعز الله مولانا القاضي أنا ما في جراحي الا روبة خراب واخرى
 بلا باب ومقصورة للكلاب وفيه للصبيان كتاب وشباب يلعبون
 بالكتاب وفيه عساكر وأطباء ومدينة بصرية وبغداد وقصر
 كعبان بن شداد وكور وحداد وشبكة صياد وعصى وأوتاد وبنات
 وأولاد وألف قواد يشهدون أن الجراب جراحي فلما سمع الكردي هذا
 الكلام بكى وانقلب وقال يا سيدي القاضي جراحي هذا معروف
 وكل ما فيه موصوف في جراحي هذا حصون وقلاع وقرى وضياع
 وطباق للمراع ووحوش ونباع ورجال يلعبون الطابة والرفع
 وان في جراحي هذا اجرة دهمين وفحلا وحصانين ورحلين طويلين
 وسبعين وأرنيين وسكينا وخنجرين وبحرا وخليجين وكرا
 وجوختين وعشاري مركبين وصاري رقرتين وكورة ودكانين
 ومقلمة ونردين وعجورا وفخيتير وقوادا وشاطرين ومغنا وعلقين

وأعمى وبصيرين وأعرج ومكسعين وعيارا وأزعيرين وجامعا
 ومدرستين وديرا وكنيستين وقسيسا وشماسين وبتركا وراهبين
 وفضيا وشاهدين يشهدون أن الجراب جرابي فقال القاضي م تقول
 أنت يا علي فسادرت يا أمير المؤمنين وقد امتلأت غيظا وزدت في الحق
 وقالت أيد الله مولانا القاضي أن في جرابي هذا زردخامات صهاح وخراثين
 سلاح وألف كبش نطاح في عشرين مراح وأربعين كلب نباح
 وبساتين وكروم غناب وتين وقفاح وصورا وأشباح وقناني وأقداح
 ورائس ملاح ومغانى وافراح وهرجا وصباح وعبداء فلاح وأخاه
 نجاح ورفيقه صباح ومهم سيوف ورماح وقسي وشباب وأصدقاء
 وأحاب وخلان وأهباب ومجلس للعبة وندمان الشراب وطنبور
 مع رباب ونايات وقناني مصفوفات وصبيان ودايات وأختان معلمات
 وبنات مجليات وجواري مغنيات وجاريتان حبشيات وثلاثة هنديات
 وأربعة بدويات وخمسة روميات وستة تركيات وسبعة عجميات
 وثمانية فحقيات وتسعة كرحيات وعشرة كبات والذجلة
 والغرات وشبكة وصياد وقداحة وزناد وارم ذات العماد وألف
 جواد وقصر شداد بن عاد وغانات مع حمامات وقدوم ونجار
 وخشبة مع مسمار وقناجر مع عطار ويزار مع بيطار وعبد أسود بن زمار
 ومقدم وركب دار وودن وامصار ومائة ألف دينار وبواب وكستدار
 ورأس نوبة وعلم دار والكوفة مع الانبار وعشرون صندوقا ملائمة
 قماش ودكانان نحاس وحاصلان معاش وبرجان للهمام وغرة
 وعسفلان ومن دمياط الى اسوان واوان كسرى وملك سليمان ومن
 كوش نعمان الى أرض خراسان وبلغ وأصهان ومن الهند الى بلاد
 السودان وفيه أطال الله عمر مولانا القاضي قماش وغلائل وعراضى

وموسى بمحمد راضى يملق ذقن مولانا القاضى ان حكم ان الجراب
 ماه وجرانى فعـ بذلك يا أمير المؤمنين حاربا قاضى مما سمع ثم قال
 ما أراكم الا شخصين نحسين قلعبان بالقضاة والحكام لان ما وصف
 الوامقون ولا سمع السامعون ما وصفتم فى هذا الجراب ما هذا البحر
 ليس له قرار ثم أمر القاضى بفتح الجراب ففتحه الكردي فاذا فيه خبز
 وأيمون وجبن وزيتون ثم انى رميت الجراب قدام القاضى والكردي
 ومضيت الى حال سبيل فلما سمع أمير المؤمنين ذلك ضحك حتى استلقى
 على قفاه وقد زال همه وأحسن جائزة على العجى وانصرف والله أعلم
 * (معن بن زائدة الشيباني) * كان من الكرماء يقال فيه حدث
 عن البحر ولا حرج وكان عاملا بالمدينة فحضر على باب شاعر وأقام مدة
 يريد الدخول ولم يأت له ذلك فقال يوما لبعض الخدام اذا دخل الامير
 البيت فاعرفنى فلما دخل أعلمه بذلك فكتب الشاعر يديا ونفثه
 على خشفته وتلقاه فى الماء الذى يدخل البستان وكان مع جالس على
 النعامة فلما رأى الخشبة أخذها وقرأها فاذا فيها هذا البيت مكتوب
 أيا جود من نابع معنا الحاحتى * فليس الى من سواك رسول
 فقال من الرجل صاحب هذه وأتى به اليه فقال كيف قلت وأنت قد
 البيت وأمر له بعشر ندر وأخذها وانصرف فوضع معن الخشبة تحت
 بساطه فلما كان فى اليوم الثمانى آخرها من تحت البساط بنظر فيها
 ودعا بالرجل وأمره بمائة ألف درهم فلما كان اليوم التالى ففعل مثل
 ذلك فنفق الرجل وخاف أن يأخذ منه أعطاه فخرج من ليله
 بما كان معه فلما كان فى اليوم الرابع طلب الرجل ولم يوجد فقال
 من والله لقد تمت أن اعطيه حتى لا يبقى فى بيت ما من درهم ولا دينار
 الا أعصية له وفيه يقول لفعل

يقولون معن لازكاة لماله * وكيف نركب المال من هو باذله
 اذا حال حول لم يجد في دياره * من المال الا ذكره وجائله
 تراه اذا ما جئته متللا * كأنك تطلبه الذي أنت تأمله
 هو البحر من أي الواحي آتيته * وحنه المعروف والبر ساحله
 تعود بسط السكك حتى لو انه * أراد انقباضا لم تقطعه أنامله
 فلو أن ما في كفه غير نفسه * لجاد بها فليثق الله سائله

ومن قول معن دعي أهلب الاموال حتى أعف الاكرمين عن اللثام
 ويروى أن معن بن زائدة خرج في جماعة تصيدون فالتزمهم قطيع
 طباء فنفروا في طلبه وانفرد معن خلف ظبي فلما ظفربه نزل فذبحه
 فرأى شخصا مقبلا من البرية على حمار فركب فرسه فاستقبله فسلم
 عليه وقال له من أين آتيت قال آتيت من أرض قضاة وارلى بها أرضا
 لمساعدة سمين مجذبة وقد أخضبت في هذه السنة فزرعتها فاقه
 فطرحته في غير وقتها فجمعت منها ما استحسنته وقصدت الامير معن بن
 زائدة لكرمه المشهور ومعروفه الذنور واحسانه المذكور فقال له كم
 أتت منه قال ألف دينار فقال له ان قال لك كثير قال خمسمائة دينار
 قال ان قال لك كثير قال ثلاثمائة دينار قال ان قال لك كثير قال
 مائتي دينار قال ان قال لك كثير قال مائة دينار قال ان قال لك
 كثير قال خمسين ديناراً قال ان قال لك كثير قال أقل من ثلاثين
 قال فان قال لك كثير قال أدخل قوائم حماري في حرأته وأرجع الى
 أهلي خائفا ففعلت معن منه وساق جواده حتى لحق بعسكره ونزل
 منزله وقال لحاجبه اذا أتاك شيخ على حمار بقاء فادخل به على فأتى
 بعد ساعة فلما دخل على الامير معن لم يعرفه لهيته وجلالته وكثرة
 خدمه وحشمه وهو متصدري دست مملكتيه والخفدة قيام عن يمينه

وشماله وبين يديه فلما سلم عليه قال له الامير معن ما الذي أتى بك يا أخا
العرب قال أملت الامير وأتته بقاء في غير أوانها قال فكتم أملت فينا
قال ألف دينار قال كثير قال خمسمائة دينار قال كثير قال ثلثمائة
دينار قال كثير قال مائتي دينار قال كثير قال مائة دينار قال كثير
قال والله لقد كان ذلك الرجل الذي قابني على ميشوما تيم قال خمسين
دينار قال كثير قال أفلا أقل من ثلاثين قال فصعلك معن وسكت فعلم
الاعرابي انه صاحبه فقال ياسيدي ان لم تعطني الثلاثين فالحمار مربوط
بالباب وهما أنا مع من جالس فصعلك معن حتى استلقي على قفاه ثم
استدعى بوكيله وقال أعطه ألف دينار وخمسمائة دينار وثلثمائة دينار
ومائتي دينار ومائة دينار وخمسين ديناراً وثلاثين ديناراً ودع الحمار
مربوطاً مكانه فهبت الاعرابي وقسم ألفي دينار ومائة وثمانين ديناراً
فرحمة الله عليهم أجمعين وقيل كان معن بن زائدة في بعض صيوده
فعمش فلم يجد مع غلماناه ماء فبينما هو كذلك واذ بثلاث جوار قد أقبلن
حاملات ثلاث قرب فسقينه فطلب شيئاً من المال مع غلماناه فلم يجد فدفع
لكل واحدة منهن عشرة أسهم من كنائسه فصولها من ذهب فقالت
احداهن ويلكن لم تكرر هذه الشماثل الا لمن بن زائدة فلتقل كل واحدة
منكن شيئاً من الايات فقالت الاولى

يركب في السهام نصول تبرير عي الله اكرما وجودا
فلا مرضى علاج من جراح * وأكفان لمن سكن اللحودا

وقالت الثانية

ومحارب من فرط جود بنائه * عمت مكارمه الاقارب والعدا
صيفت نصول سهامه من عسجد * كي لا يفوته التقارب والعدا

وقالت الثالثة

ومن جوده يرمى ابعداً بأسهم * من الذهب الابريز صيغت نصورها
 ليسفها المجروح عمداً بقضاعة * ويشترى الاثقان منها قتيلا
 وكان مع كرمه صاحب شهامة فمن ذلك انه سعى رجل في افساد دولة
 المهدي وكان من أهل الكوفة فعلم به فهدر دمه وجعل لمن دل عليه مائة
 ألف درهم فأقام الرجل حيناً مختفياً ثم ظهر في مدينة السلام فبينما هو
 في بعض الشوارع اذراه رجل من أهل الكوفة فعزبه فأخذ بمجامع
 طوقه وزادى هذا طلبه أمير المؤمنين فبيدهما الرجل على تلك الحالة وقد
 جمع حوله خلق كثير اذ سمع وقع حوافر الخيل من ورائه فالتفت فاذا
 هو بمن يرأده فقال يا أبا الوليد أجرتني أجاك الله فوق ف فقال
 للرجل الذي تعلق به ما تريد منه قال هذا طلبه أمير المؤمنين وهدر دمه
 وجعل لمن دل عليه مائة ألف درهم فقال له معن دعه ثم قال يا غلام
 أردفه فأردفه وكره راجعاً الى داره فصاح الرجل أيجال بيني وبين من
 طلبه أمير المؤمنين ولم ينزل صارخاً الى ان أتى قصر المهدي فأمر المهدي
 باحضار معن فأتمه الرسل فدعا معن أولاده ومماليكه وقال لا تسلموا
 الرجل وواحد منكم يعيشت ثم سار الى المهدي فدخل وسلم فلم يرد عليه
 ثم قال يا معن أتجبر علينا عدونا قال نعم يا أمير المؤمنين قال المهدي
 ونعم أيضاً واشتد غضبه فقال معن يا أمير المؤمنين بالامس بعثني الى
 اليمن مقدم الحيش فقلت في طاعتك في يوم واحد عشرة آه في رجل
 ولي مثل هذا أيام كثيرة فما رأيتموني أهلاً ان أجير رجلاً واحداً استجار بي
 ودخل منزلي فسكن غضب المهدي وقال قد أجرتنا من أجرت يا أبا الوليد
 قال معن فان رأى أمير المؤمنين ان يصله بصله يعلم منها موع الرضى
 فان قلب الرجل قد انخلع من صدره خوفاً قال قد أمر ناله بخمسين ألف
 درهم قال يا أمير المؤمنين ان صلات الخلفاء على قدر جنابات الرعية

قال قد أمرنا له بمائة ألف درهم قال عجلها يا أمير المؤمنين فإن خير البر
عاجله فأحضر من الرجل وقال له خذ صلبة أمير المؤمنين وقبيل يده
وإياك ومخالفة خلفاء الله في أرضه فما بيل مرة نسلم الجرة وأرسلها الناس
مثلاً وأخذ الرجل المال واستغفر الله انتهى وكان معن لا يغيظ أحداً
ولا أحداً يغيظه فقال بعض الشعراء أنا غيظه لكم ولو كان قلبه من
حجر فراهنوه على مائة بعير أن أغاطه أخذوا وإن أغطاء دمع مثلاً
فعمد الرجل إلى جبل فذبحه وسطفه ولبس الجلد مثل الثوب وجعل
اللحم من خارج والشعر من داخل والدباب يقع عليه ويقوم ولبس
برحايه بعين من الجلد الجمل وحمل اللحم من خارج والشعر من ناحية
رجليه وجلس بين يدي معن على هذه الصورة المشروحة ومدرج عليه
في وجهه وقال

أنا والله لا أبدي سلاماً * على معن المسمى بالأمير
فقال له معن السلام لله أن سلمت رددنا عليك وإن لم تسلم ما عتبنا عليك
فقال الشاعر

ولا أنزل بلاداً أنت فيها * ولو حزت الشام مع القنور
فقال له الله بلاد بلاد الله أن تزلت مرحبا بك وإن رحلت ككلى الله
في عونك قال الشاعر

وأرحل عن بلادك ألف شهر * أجده السير في أعلى القنور
فقال له معن هو بالسلامه فقال الشاعر

أتذكر أدمي صلب جلد شاة * وأذنعلاك من بلاد البعير
فقال له أعرف ذلك ولا أنكره فقال الشاعر

وتأوى كل مسطبة وسوق * بلا عبد ليليك ولا وزير
فقال له ما نسيت ذلك يا أبا العرب فقال الشاعر

ونومك في الشتاء بلارداء * وأكاث دائمًا خبز الشعير
 فقال له الحمد لله على كل حال فقال الشاعر
 وفي يمانك عكاز قوي * تزوده الكلاب عن الهرير
 فقال له ما خفي عليك خبرها اذهي كعصا موسى فقال الشاعر
 فسبحان الذي أعطاك ملكا * وعلمك القعود على السير
 فقال له بفضل الله لا بفضلك فقال الشاعر
 فجهل يا ابن ناقصة بمال * فاني قد عزمت على السير
 فأمر له بألف دينار فقال الشاعر
 قليل ما أمرت به فاني * لا طمع منك بالشئ الكثير
 فأمر له بألف دينار أخرى فقال الشاعر
 فثلث اذ ملكك الملك رزقا * بلا عقل ولا جاه خطير
 فأمر له بثلاثمائة دينار فقال الشاعر
 ولا أدب كسبت به المعالي * ولا خلق ولا رأى منير
 فأمر له بأربعمائة دينار فقال الشاعر
 فذلك الجود والافضال حقا * وفيض يدك كالبحر النزير
 فأمر له بخمسمائة دينار وما زال يطلب منه الزيادة حتى استكمل ألف
 دينار فأخذها وانصرف متعجبا من حلم معن وعدم انتقامه منه ثم قال
 في نفسه مثل هذا لا ينبغي ان يسجي بل يمدح واعتقل ولبس ثيابه
 ورجع اليه فسلم عليه ومدحه واعتذر له بأن الحامل له على هجوه المائة
 بعير التي صار الرهن عليها في نظير اغاظته له فأمر له بمائة بعير يدفعها
 في نظير الرهن ومائة بعير أخرى لنفسه فأخذها وانصرف والله أعلم
 * (خلافة المأمون بن هارون الرشيد واسمه عبد الله)
 ومما وضع في بطون الدفاتر * واستعسفة عيون البصائر * ونقلته

الاصاغر عن الاكابر * مارواه خادم أمير المؤمنين المأمون * قال
 طلبني أمير المؤمنين المأمون ليلة وقد مضى من الليل ثلثه فقال لي خذ
 معك فلانا وفلانا وسمما هما لي أحدهما علي بن محمد والاخر دينار
 الخادم واذهب مسرعاً لما أقول لك فانه بلغني ان شيخنا يحضر ليلاً الى
 آثار دور البرامكة وينشد شعرا ويذكرهم ذكراً كثيراً ويندهم
 ويهكم عليهم ثم ينصرف فامض أنت وعلى ودنيار حتى تردوا تلك
 الخرابات فاستتر واخلف بعض الجدر فاذا رأيت الشيخ قديماً وبكى
 ويندب وأنشد أبياتاً أتوني به قال فأخذتها ومضيت حتى أتينا الخرابات
 فاذا نحن بغلام قد أتى ومعه بساط وكرسی حديد واذا شيخ قد جاء
 وله جمال وعليه مهابة ولطف فجلس على الكرسي وجعل يبكي
 ويتعجب ويقول هذه الايات

ولما رأيت السيف جندل جعفرًا * ونادى مناد للخليفة في يجي
 بكيت على الدنيا وزاد تأسفي * عليهم وقلت الآن لا تنفع الدنيا
 مع ابيات اطالها فلما فرغ قبضها عليه وقلها له أجب أمير المؤمنين ففرغ
 فرعاً شديداً وقال دعوني حتى أوصي بوصية في لأوقن بعدها بحياة
 ثم تقدم الى بعض الدكاكين واستفتح وأخذ ورقة وكتب فيها وصية
 وسلمها الى غلامه ثم سرنا به فلما مثل بين يدي أمير المؤمنين فقال حين
 رآه من انت وبما استوجبت منك البرامكة ما تفعله في خرائب دورهم
 قال الخادم ونحن نستمع فقال يا أمير المؤمنين ان للبرامكة ايادي
 خضرة عندي اتأذن لي احدثك بحال معهم قال قل فقال يا أمير
 المؤمنين أنا المذنب المغيرة من اولاد الملوك وقد زالت عني نعمتي
 كما تزول عن الرجال فلما ركبتني الدين واحتجت الي بيع ما على راسي
 ورؤس اهلي وبيتي الذي ولدت فيه أشاروا علي بالخروج الى البرامكة

فخرجت من دمشق ومعى نيف وثلاثون امرأة وصبياء وصبية وليس معنا
ما يساع ولا ما يوهب حتى دخلنا بغداد ونزلنا في بعض المساكن فدعوت
بعض ثياب كنت أعددتها لأستتر بها فلبستها وخرجت وتركتم
جيا عالا شئ عدهم ودخلت شوارع بغداد سأفلا عن البراءة فإذا أنا
بمسجد مزخرف وفي جانبه شيخ بأحسن زى وزينة وعلى الباب خادمان
وفي الجامع جماعة جلوس فطعمت في القوم ودخلت المسجد وجلست
بين أيديهم وأنا أقدم رجلا وأخر أخرى والعرق يسيل مني لأنهم لم
تكن صناعنى وإذا الخادم قد أقبل ودعا القوم فقاموا وأنا معهم فدخلوا
دار يحيى بن خالد فدخات معهم واذا يحيى جالس على دكة في وسط
بستان فسلموا وهو بعد ثمانمائة وواحد أو بين يديه عشرة من ولده وإذا
بأمر دنت العذار في خديبه قد أقبل من بعض المقاصير وبين يديه مائة
خادم متمصقون في وسط كل خادم منقطة من ذهب يقرب وزنها من
ألف مثقال مع كل خادم مجهرة من ذهب في كل مجهرة قطعة من عود
كهية العهر وقد قرن به مثله من العنبر السلطاني فوضعه بين يدي
العلام وجلس إلى جنب يحيى ثم قال للقاضي تكلم وزوج ابنتي عائشة
من ابن أخي هذا فخطب القاضي خطبة السكاح وزوجه وشهد أولئك
الجماعة وأقبلوا علينا بالشارب ينساق المسك والعنبر فالتقطت والله
يا أمير المؤمنين ملء كفى ونظرت واذا نحن في المكان ما بين يحيى
والمشايع وولده والغلام مائة واثنا عشر واذا بمائة واثنى عشر خادما
قد أقبلوا ومع كل خادم صينية من فضة على كل صينية ألف دينار
فوضعوا بين يدي كل رجل من صينية فرأيت القاضي والمشايع يضعون
الدنانير في أكمامهم ويجعلون الصواني تحت أيادهم ويقوم الأول فالأول
حتى بقيت وحدي لا أجسر على أخذ الصينية فغمزني الخادم فحسرت

وأخذتها وجعلت الذهب في كمي والصيدية في يدي وقمت وجعلت
أقلقت الى وراءى مخافة ان أمتنع من الذهاب فينماتا كذلك الى ان
وصلت الى صحن الدار ويحيى بلا حظني فقال للخادم انتني بهذا الرجل
فأنا في فقال مالي أراك تلتع يمينا وشمالا فقصصت عليه قصتي فقال
للخادم انتني بولدي موسى فأنا به فقال له يا بني هذا رجل غريب فخذ
اليك واحفظه بنفسك وبنعمتك فقبض موسى ولده على يدي وأدخلني
الى دار من دوره فأكرمني غاية الاكرام وأقامت عنده يومى ولبتني
في الذعش وأتم سرور فلما أصبح دعا بأخيه العباس وقال له الوزير
أمرني بالعطف على هذا الفتى وقد علمت اشتغالي في بيت أمير المؤمنين
فاقبضه اليك وأكرمه ففعل ذلك وأكرمني غاية الاكرام ثم لما
كان من الغدة سلمني أخوه أحمد ثم لم أزل في أيدي القوم يتداولوني مدة
عشرة أيام لا أعرف خبر عيالي وصيبي في أى الاموات هم أم في الاحياء
فلما كان اليوم الحادى عشر جاني خادم ومعه جماعة من الخدم فقلوا
قم فخرج الى عيالاتي بسلام وقلت واويلاه سلبت الدنانير والصينية
واخرج على هذه الحالة اتالله وانا اليه راجعون فرفع السترا لاول ثم
الثاني ثم الثالث ثم الرابع فلما رفع الخادم السترا خير قال لي مهما كان
لك من الخواص فارفعها الى فاني مأمور بقضاء جميع ما أمرك به فلما
رفع السترا الاخير رأيت حجرة كالشمس حسنا ونورا واستقبلني منها
رائحة الند والعرد وفتحات المسك واذا بصيبي وعيالي يتقلمون
في الحير والديساج وحمل الى مائة ألف درهم وعشرة آلاف دينار
ومشور بصيغتي ونلك الصيغة التي آمنت أخذتها بما فيها من الدنانير
والبنادق وأقامت ياه المؤمنين مع البرامكة في دورهم ثلاثة عشر سنة
لا يعلم الناس من البرامكة أنا أم رجل غريب فلما جاءتهم البلية ونزل

بهم يا أمير المؤمنين من الرشيد ما نزل أجفني عمرو بن مسعدة والزمني
 في هاتين الضيعتين من الحراج ما لا ينفي دخلهما به فلما تحامل على
 الدهر كنت في آخر الليل أقصد خرابات دورهم فأنذ بهم وأذ كر حسن
 صنعهم الي وأبكي على أجسامهم فقال المأمون على بعمر بن مسعدة
 فلما أتى به قال له أتعرف هذا الرجل قال يا أمير المؤمنين هو بعض
 صناع البرامكة قال كم ألزمته في ضيعتيه قال كذا وكذا فقال له رد
 اليه كلها أخذته منه في مذته وأفرغها له ليكون له ولعقبه من بعده قال
 فعلا نحب الرجل فلما رأى المأمون كثرة بكانه قال له يا هذا بدأ حسنا
 اليك فيما سبكت قال يا أمير المؤمنين وهذا أيضا من ضيع البرامكة لو
 أت خراباتهم فأبكيهم فأنذ بهم حتى انصل خبري الي أمير المؤمنين ففعل
 بي ما فعل من أين كنت أصل الي أمير المؤمنين قال ابراهيم بن مهرون
 فرأيت المأمون وقد دمت عيناه وظهر عليه حزنه وقال لعمرى هذا من
 صنائع البرامكة فعليهم فإل وأياهم أنا شكر ولهم وأوف ولا حسانهم
 فاذا كرا انتهى * قال اسهاف دخلت يوما على المأمون في زمن الورد
 فقال لي يا اسهاف هل قلت شيئا في الورد قلت أقول بسعادة أمير
 المؤمنين وفكرت ساعة فلم تسمح قريحتي في ذلك الوقت بشيء
 فخرجت من عنده وبقيت ليلتي ساهرا متفكرا فلم يفتح لي شيء فلما
 أصبحت غدوت أريد دار الخلافة وإذا غلام الفضل بن مروان على باب
 المأمون ومعه سبع وردات على صينية فضة ينتظر الأذن بالدخول بها
 عليه فدأته الهلة بالليل فامتنع فسألتها نائيا وقلت أهلك قليل لا تراك
 بكل وردة دينار فأجابني الي ذلك فدفعته له سبعة دنانير وأحييت
 أن لا يصل اليه الورد قبل وصول الشعر وخرجت أقصد الازقة لعلي اسم
 شيئا من احد أو ينبعث خاطري ولو بيت واحد فينمينا أنا كذلك وإذا أنا

برجل يغربل التراب وهو ينشد ويقول
 اشرب على ورد الخلد ودفانه * أزهي وأبهى فالصبح بطيب
 ما الورد أحسن من توردد وجنة * حمراء جادها عليل حبيب
 صبح المدام بياضها فكأنه * ذهب بقالب فضة مصروب
 فلما سمعته نزلت عن دابتي ودخلت مسجد أبي القرب منه وطلبت له فلما
 أقبل سألته ان يعلها على فأني وقال ان أردت فأعطني بكل بيت
 عشرة دنانير فدفعتم له وسلمت لهما منه ثم عدت ودخلت أنا وغلام
 الفضل بن مروان وإذا بالمأمون يشرب من وراء الستارة فلما جسيت
 العود قال لجواريه اسكنن فقد جاء اسحاق فقدم ذلك الورد بين يديه
 وأنشدت الابيات فسمعت الشهيق والنعير من وراء الستارة ثم أخرج
 الى بكرة فيها عشرة آلاف درهم فأعدت الابيات فأخرج الى بكرة
 أخرى فأعدت الثلاثة فأخرج الى بكرة الثمة فأخذت في غير الشعر
 فخرج الى خادم وقال يقول لك أمير المؤمنين لودمت على انشادك لانا
 على البكرة ولوالى الليل انتهى من حبة الكهيت * ويحكى عن
 العباس صاحب شرطة المأمون قال دخلت الى مجلس أمير المؤمنين
 ببغداد يوم وبين يديه رجل مكبل بالحديد فقال لي يا عباس قلت لبيك
 يا أمير المؤمنين قال خذ هذا اليل فاستوثق به واحتفظ عليه وبكره الى
 في غد واحترز عليه كل الاحترار * قال العباس فدعوت جماعة حمله
 ولم يقدر ان يتحرك فقلت في نفسي مع هذه الوصية التي اوصاني بها أمير
 المؤمنين من الاحتفاظ به ما يجب الا أن يكون معي في يدي فلما تركوه
 في دارى أخذت أسأله عن قضيته وحاله فمن هو فقال أنا من دمشق
 فقلت جزى الله دمشق وأهلها خيرا فمن أنت من أهلها فقال وعمر
 تسأل قلت أرتعرف فلانا قال لي ومن أين تعرف ذلك الرجل فقلت

وقعت لي معه قضية فقال ما كنت بالذي اعرفك خبره حتى تعرفني
قضيتك معه فقلت ويحك كمت مع بعض الولاة بدمشق فسمعت أدها
وقد خرجوا علينا حتى ان الوالي خرج في زنبيل من قصر الحجاج وهرب هو
وأصحابه وهربت في جملة القوم فينبأ أبا هارب في بعض الدروب واذا
بجماعة يغدون خلفي فمارلت أغدو وأمامهم حتى تجاوزتهم ومرت بهذا
الرجل الذي ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت يا هذا أغثنى
غاثك الله قال لا بأس عليك ادخل الدار فدخلت فقالت لي زوجته
ادخل تلك المقصورة فدخلتها ووقف الرجل على باب الدار فما شعرت الا
وقد دخل والرجال معه يقولون هو والله عندك فقال دونكم الدار فقتلوهما
فقتلوهما حتى لم يبق سوى تلك المقصورة وامرأته فبقوا لهما ههنا
فصاحت بهم المرأة وهرتهم فانصرفوا وخرج الرجل وجلس على باب
داره ساعة وأنا قائم ارحف ما تجلاني رجلاي من شدة الخوف فقالت
المرأة اجلس لا بأس عليك فجلست فلم ألبث حتى دخل الرجل فقال
لا تخف فقد صرف الله عنك شرهم وصرت الى الامن والدعة ان شاء
الله تعالى فمات جارك الله خيرا فما زال يعاشرني أحسن معاشرة
واجلهما وافرز لي مكانا من داره ولم يحوجني الى شيء ولم يفتر عن تفقد
احوالي فأقمت عنده اربعة اشهر في أتم عيش وأرغده الى أن سكنت
الفطنة وهددت وزال أثرها فقلت له أأدركني في الخروج حتى انفق
حال غلماي فعلى اقف منهم على خبر فأخذ على الواثق بالرجوع اليه
فخرجت وطلبت غلماي فلم ازلهم أثر ارجعت اليه وأعلمته بالخبر وهو
مع هذا كله لا يعرفني ولا يعرف من أنا فقال لي على ما تعزم فقلت قد
عزمت على التوجه الى بغداد قال ان القافلة بعد ثلاثة ايام تخرج
فقلت له انك قد تفضلت على هذه المدة ولك على عهد الله أني لا انسى

لك هذا الفضل ولا وفينك مهم استطعت * قال فدعا بسلام
أسود وقال له انعل الفرس الفلاني ثم جهز آلة السفر فقلت في نفسي
ما أشك انه يريد ان يخرج الى ضيعة له أو ناحية من النواحي فأقاموا
يومهم ذلك في كد وتعب فلما كان يوم خروج القافلة جاء في السهر
فقال يافلان قم فان القافلة تخرج الساعة رأ كره ان تنفرد عنها فقلت
في نفسي كيف أصنع وليس معي ما أتزوده ولا ما أكرى به مركباً ثم
قمت فاذا دوامرأته يحملان بقجة من أفخر الالباس وخفين جدرين
وآلة السفر ثم جاءني بسيف ومنطقة فشدتهما في وسطى ثم قدم لي غلاماً
وعلى كتفه صرتان وفوقهما رتبة السفر وسجادة من أفخر ما يكون
وأعلمني ما في الصرتين أنه خمسة آلاف درهم وشد لي الفرس الذي أنعله
بسرجه ولجامه وقال لي اركب وهذا الغلام الاسود يجدهمك ويسوس
مركوبك وأقبل هو وامرأته يعتذران الى من التقصير في أمرى وركب
معي من بشيعة وانشرفت الى بغداد وأنا أتوقع خبره لا في بعدي له
في مجازاته ومكافاته واشتغلت مع أمير المؤمنين ولم أقدر أن تفرغ الى ان
ارسل اليه من يكشف خبره فلهذا السأل عنه فلما سمع الرجل الحديث
قال قد امكنك الله من الوفاء له ومكافاته على فعله ومجازاته على صنعه
بلا كلفة عليك ولا مؤونة نلؤسك * فقلت وكيف ذلك قال ان اذ لك
الرجل واما الضر الذي انا فيه فقد غير عليك حالي وما كنت تعرفه مني
ثم لم ينزل يدك لي تفاصيل الاسباب حتى أثبت معرفته فيما تمالك
ان قمت قبلت رأسه ثم قبت له فما الذي صيرك الى ما ارى * قال هاجت
بدمشق فتنة مثل القننة التي كانت في ايامك فنسبت الي وبعث
امير المؤمنين بجيوش فأصلحو البلد فأخذت انا وضربت الى ان اشرفت
على المرت وقيدت وبعث بي الى أمير المؤمنين وامري عنده عظيم وهو

قاتلي لاهماله وقد أخرجت من عندها لي بلاوصية وثد تبغني من
 تنصرف اليهم بخبري وهو نازل عند فلان فان رأيت ان تجعل من
 مكافأتك لي أن ترسل من يحضره لي حتى أوصيه بما أريد فان أنت فعلت
 ذلك فقد جاوزت حد المكافأة وقمت بوفاء عهدك ✽ قال العباس
 فقلت يصنع الله خيرا ثم أحضر حداد في الليل فلما قيوده وأزال ما كان
 عليه من الانكال وأدخله حمام داره وألبسه من الثياب ما احتاج
 اليه ثم سير من أحضر اليه غلامه فلما رآه جعل يبهكي ويوصيه فاستدعى
 العباس نائيه وقال علي بفرسي العيلاني والبعل العيلاني والبغلة
 القلانية حتى عد عشرة ثم عشرة من الصماديين ومن الكسوة كذا
 وكذا قال ذلك الرجل وحضر لي بدرة فيها عشرة آلاف درهم
 وكيسا به خمسة آلاف دينار وقال لعمالي في الشرطة خذ هذا
 الرجل وشيعة الى حد الابار وقال له ان ذبني عظم عند أمير المؤمنين
 وخطابي جسيم وان أنت احتجيت بأني هربت بعث أمير المؤمنين
 في طلبك كل من على يابه فأرد وأقتل فقال انج بنفسك ودعني أدير
 أمري فقال والله لا ابرح من بغداد حتى أعلم ما يكون من خبرك فان
 احتجب الى حضوري حضرت فقال لصاحب الشرطة ان كان الامر
 علي ما يقول فليكن في موضع كذا وكذا فان أنا سلمت في غداة غد أعلمته
 وان أنا قتلت وقية بنفسك كما وفاني بنفسه وأنشدك الله ان لا يذهب
 من ماله درهم وتجتهد في اخراجه من بغداد قال الرجل فأخذني
 صاحب الشرطة وصيرني في مكان يثق به وتفرغ العباس لنفسه
 وتخط وجهه كفا قال العباس فلم أفرغ من صلاة الصبح الا ورسل
 المأمون في طلبي يقولون يقول لك أمير المؤمنين هات الرجل معك وقم
 قال فتوجهت الى دار أمير المؤمنين واذا هو جالس وعليه كآبة فقال

أن الرجل فسكت فقال ويحك أن الرجل فسكت فقال ويحك أن
 الرجل فقلت يا أمير المؤمنين اسمع مني ما أقول فقال الله على عهد لئن
 ذكرت أنه هرب لأضرب عنقك فقلت لا والله يا أمير المؤمنين أنه
 ما هرب ولكن اسمع حديثي معه وحديثه ثم سألت وما تريد تفعله
 في أمري قال قل فقلت يا أمير المؤمنين كان من حديثي معه كيف وكيت
 وقصصت عليه القصة جميعها وعرفته أني أريد أن أفي له وأكافئه على
 ما فعله معي وقلت أنا وسبدي ومولا أمير المؤمنين بين أمرين أما
 أن يرفع عني وقد وفيت وكافئت وأما أن يقتلني فأقيه بنفسي وقد
 تخنطت وها كفتي يا أمير المؤمنين فلما سمع المأمون الحديث قال ويحك
 لا جزاك الله خيرا عن نفسك أنه فعل بك ما فعل من غير معرفة
 وتكافئه بعد المعرفة والعهد هذا لا غير الاعترفتي خبره فسكت
 أكافئه عنك ولا أقصر بوفائي له فقلت يا أمير المؤمنين أنه ما هنا وقد
 حلف أنه لا يبرح حتى يعرف سلامتي فان احتجبت إلى حضوره حضر
 فقال المأمون وهذه منة أعظم من الأولى اذهب الآن فطيب
 نفسه وسكن روعه واثني به حتى أتولى مكافأته عنك قال فأتيت
 إليه وقلت ليزل عنك خزنك أن أمير المؤمنين قال كيت وكيت فقال
 الحمد لله الذي لا يحمد على السراء والضراء أحسنه ثم قام فصلى
 ركعتين ثم أتيت به إلى أمير المؤمنين فلما مثل بين يديه أقبل عليه وأدنى
 مجلسه وحذته حتى حضر الغداء وأكل معه وخلق عليه وعرض
 عليه أعمال دمشق فاستغنى عنها فأمر له بالمأمون بعشرة أفراس
 بسروجها ولحما وعشرة أبقال بالآنها وعشرة بدرو عشرة آلاف دينار
 وعشرة عماليك بدواهم وكتب إلى عامله بدمشق بالوصية به وأطلق
 خراجها وأمر بمكانته بأحوال دمشق فصارت كسبه فصل إلى المأمون

كلما وصلت خريطة البريد وفيها كتابه يقول لي يا عباس هذا كتاب
 عديتمك والله أعلم ويحكى عن اسحاق الموصلي أنه قال خرجت
 ليلة من عند المأمون متوجها الى بيتي فأحسست بالبول فعدت
 زفافي وقمت لا تسمع ما ليطن واذا بزئيل كبير بأربعة آذان ملبس
 ديبا بافقلت ان لهذا سيدا وبقيت متعيرا في أمره فجلاني السكر وقال لي
 اجلس فيه فجلست فلما أحس بي الذين كانوا يرقبونه جذبوه الى رأس
 الحائط فاذا أنا بأربع جواريقن لي اتزل بالرحب والسعة ومشت بين
 يدي جارية بشمعة حتى نزلت الى دار ومجالس مفروشة لم أر مثلها
 الا في دار الخلافة فجلست فهاهنا عرت بعد ساعة الالبسة وقد رفعت
 في ناحية من الجدر واذا بومائف يمشين وفي أيديهن الشمع وبعض
 محارم يحرق فيهن العود وبينهن جارية كأنها البدر المالم فنهضت
 وقالت مرحبا بك من زائر وجلست ثم سألتني عن خبري فقلت
 انصرف من عنده بعض اخواني وغر في الوقت وحرقني البول فعدت
 الى هذا الزقاق فوجدت زئيل معلقا فيماني السكر على أن جلست فيه
 فان كان خطا فالنيذا كسبني فقلت لا خير وأرجو أن محمد عاقبة
 أمرك ثم قالت فيما صنعتك قلت بزاز بغداد فقالت هل رويت من
 الاشعار شيئا قلت شيئا ضعيفا قالت فذا كرا شيئا قلت ان للداخل حشمة
 ولكن تبدين أنت قالت صدقت فأنشدتني شعرا لجماعة من القدماء
 والمحدثين من أجود أفاضلهم وأنا مستمع لا أدري مما أعجب من حسنها
 أم من حسن روايتها ثم قالت أذهب ما كان منك من الحصر قلت اي
 والله قالت فان رأيت أن تشدنا فأنشدتها شيئا لجماعة من القدماء ما فيه
 مقبع فاستحسن ذلك ثم قالت والله ما ظننت أن يوجد في أبناء السوق
 هذا ثم أمرت بالطعام فأحضر فجلست تقطع وتضع قدامي وفي المجلس

من صنوف الرياضين وغريب الفواكه مالا يكون الا عند سلطان
 ودعت بالشراب فشربت قدما ثم ناولتني قدما ثم قالت هذا أو ان
 المذاكرة والاخبار فاندفعت اذا كرها وقلت بلغني أن كذا وكذا
 وكان رجل يقال له كذا حتى أتيت على عدة أخبار حسنة فسررت بذلك
 وقالت كثر تعجبي أن يكون أحد من التجار يحفظ مثل هذا وانما هذه
 أحاديث ملوك فقلت كاري ما ربحا حدث الملوك وينادهم واذ تعطل
 حضرت معي فرما حدثت بما سمعت فقالت لعمرى لقد أحسنت
 الحفظ وما هذه الا ربيعة جيدة وأخذنا في المذاكرة اذا سكنت ابتدأت
 واذا سكنت ابتدأت أنا حتى قطعنا كثر الليل وبخور العود يعبق
 وأنا في حالة لوتوهها المأمون لطارشوقا اليها فقالت انك من أطرف
 الرجال وصي الوجه بارع في الادب وما بقي الا شيء واحد فقلت وما هو
 قالت لو كنت تترجم ببعض الاشعار قلت والله لقد بما كنت لفت به
 ولم أرزقه وأعرضت عنه وفي قلبي منه حرارة وكنت احب في مثل
 هذا المجلس شيئا منه لتكمل ليلي قالت كأنك عرضت فقلت والله ما هو
 تعريض قد بدأت لفصل وأنت جديرة على ذلك فأمرت بعود فحضر
 وغنت بصوت ما سمعت بحسنه مع حسن أدبها وجودة الضرب
 بالسكك الراجح ثم قالت هل تعرف هذا الصوت ومن غنى به قلت لا
 قالت الشعر افلا والمغني له مصداق قنت واسما هذا جعلت فداك
 بهذه الصفة قالت يخرج اسمهاق بارع هذا الشأن فقلت سبحان الله
 اعطى هذا الرجل ما لم يعطه أحد قالت فكيف لو سمعت هذا الصوت
 منه ثم نزل على ذلك حتى اذا كان انشقاق الفجر اقبلت عجوز كأنها
 دابة لها وقالت ان الوقت قد حضر فنهضت عند قولها فقالت تستر
 ما كنا فيه فان المجالس بالامانات قلت جعلت فداك لم أكن

أحتاج الى وصية في ذلك فودعته وجارية بين يدي الى باب الدار ففتح لي
فخرجت ورحت الى داري فصليت الصبح ونمت فانتهي رسول المأمون
الى مسرت اليه وأقامت عنده نهاري فلما كان العشاء تفكرت
ما كنت فيه البارحة وهذا شيء لا يصبر عنه الا جاهل فخرجت ورجعت
الى الزنيل فوجدته على عادته فجلست فيه ورفعت الى موضع البارحة
واداهي قد طلعت فقالت لقد عاودت فقلت ولا أظن الا انني قد نفلت
وأخذنا في المحادثة في مثل تلك الليلة السالفة في المذاكرة والمناشدة
وغرب العشاء منها الى العجرا فنصرفت الى منزلي فصليت الصبح ونمت
فانتهي رسول أمير المؤمنين الى فمضيت اليه وأقامت نهاري عنده فلما
كانت العشية توجه الى حظاياه وقال أقسمت عليك لتجلس حتى
أجيء فأحضرت فما كان حتى أن غاب وجالت وساوسي فلما تذكرت
ما كنت فيه هان على ما يخصني من أمير المؤمنين فوثبت مبسدا را
وخرجت جارية حتى أتيت الزنيل فجلست فيه فرفعت الى مجلسي
فقالت صديقتنا قلت اى والله قالت أحملتها دارا فامة قلت جعلت
فذاك حتى الضيافة ثلاثة أيام فان رجعت بعد ذلك فأنتم في حل من دى
ثم جلسنا الى ذلك الحال فلما قرب الوقت علمت بأن المأمون لا بد أن
يسألني فلا يقنع الا بشرح القصة وقلت لها أراك ممن يعجب بالغناء ولى
ابن عم أحسن منى وجهها وأظرف قدأوأكثر أدايا وطيب أربا وهو
أعرف خلق الله بغناء اسهاق فقالت طفيلي وتقترح قلت لها أنت
المحكمة ثم قالت ان كان ابن عمك على ما تفهم فافكره معرفته ثم جاء
الوقت فنهضت وقمت وذهبت فلم أصل الى داري الا ورسول المأمون
قد هجوا على وجهي جلا عنيفا فوجدته قاعدا على كرسى وهو محتاط
منى فقال يا اسهاق أخروا عن الماعة قلت لا والله قال فما قصتك

أصدقني قلت نعم في خلوة فأومأ الى من بين يديه فتصوفا فحمدته الحديث
وقلت له وعدت بابك قال أحسنت فأخذنا في لذتنا ذلك اليوم والمأمون
مطلق القلب بها فامدقنا أن جاء الوقت وسرنا وأما وصيه وأقول له تعجب
واحذر أن تنادي بي باسمي قدامها وبحضرتها وغن وأنا لك تبع وهو
يقول نعم ثم سرنا الى عند الزنيل فوجدناهما اثنين فقمنا فيهما وورعنا
الى الموضع المعهود فحضرت واقبلت وسلمت فلما رآها المأمون بهت
في حسنهما وجمالهما وأخذت تذاكره وتناسده الاشعار ثم أحضرت
الذي يذفر بنا وهي مقبلة عليه مسرورة به وهو أكثر فأخذت الدود
وغنت موتا ثم قالت وابن عمك هذا من القبار وأشارت الى قلت نعم
قالت والله انكم لقربان فلما شرب المأمون ثلاثة أرطال داخله الفرح
والطرب فصاح وقال يا اسحاق قلت لي يا أمير المؤمنين قال غن هذا
الصوت فلما علمت انه الخليفة نهضت الى مكان فدخلته فلما فرغت من
الصوت قال انظر من رب هذه الدار فبادرت عجوز وقالت للحسن
ابن سهل فقال علي به فقابت العجوز ساعة واذا الحسن قد حضر
فقال له المأمون ألا ابنة قال نعم قال ما اسمها قال بوران قال أمزوجة
قال لا والله قال فاني أخطبها منك قال هي جارتك وأمرها اليك قال
قد تزوجتها على نقد ثلاثين الفاقم اليك صبيحة يومنا هذا فاذا قبضت
المال فأجلها اليك من ليلتنا قال نعم ثم خرجنا فقال يا اسحاق لا توقف
على هذا الحديث أحدا فسترته الى أن مات المأمون فما اجتمع لاحد
مثل ما اجتمع لي في تلك الاربعة أيام مجالسة المأمون بالهارور بوران بالليل
والله ما رأيت احدا من الرجال مثل المأمون ولا شاهدت امرأة تقارب
بوران فهما وعقلا والله تعالى أعلم اه من حلبة السكيت وقيل
كان المأمون يوما يأكل مع أبيه الرشيد فلما فرغ جلت جارية تصب

الماء على يد الرشيد فنظر اليها المأمون وأشار اليها كأنه يقبلها فانكرت
ذلك منه بعينها وأبطلت في الصبي قدرا والنظر الى المأمون فقال لا شيء
صنى الابريق في يدك فوالله لئن لم تصدقني الحق لا ضربن عنقك
فقالت يا سيدي نظر الى عبد الله المأمون وأشار الى كأنه يقبلني
فانكرت ذلك بعيني فنظر الرشيد الى المأمون فسقط مغشيا عليه كأنه
ميت مما داخله من الخوف والجزع فاخذه وضمه الى صدره وقال له
يا عبد الله أتحب ما قال اى والله يا أمير المؤمنين فقال له هي لك خذ بيدها
وادخل بها الى هذه القبة قال ففعل فلما خرج الى الرشيد قال له هل قلت
في هذا شيئا قال نعم يا أمير المؤمنين ثم أنشد يقول

ظلي كنت بهار في * عن الضمير اليه
قبلته من بعيد * فاعتل من شقيقه
ورد أجبث رد * بالكسر من حاجبيه
فأبرحت من مكاني * حتى قدرت عليه

وعن أبي عبد الله النخعي أنه قال كنت يوما مع المأمون وكان بالكوفة
فركب لاصيد ومعه سرية من العسكر فبينما هو سائر اذا لاحت له طريدة
فاطلق عنان فرسه وكان على سابق من الخيل فأشرف على نهر من
ماء بحر الفرات فاذا هو بجارية عربية خماسية القد قامت النهدي كأنها
القمر ليلة تمامه ويدها قريبة قدملا تسامان النهر ورفعتها على كتفها
وصعدت من حافة النهر فاحمل وكاءها فصاحت برفيع صوتها يا أبت
ادركها فقد غلبني فوها لا طاقة لي بغيرها قال فعجب المأمون من
فصاحتها ورمت القربة من يدها فقال لها المأمون يا جارية من أي
العرب أنت فقالت أنا من بني كلاب قال وما جالك أن تكوني من
الكلاب قالت والله لست من الكلاب وإنما أنا من قوم كرام غير ثمام

يقرون الضيف ويضربون بالسيف ثم قالت يا فتى من أى الناس أنت
قال أو عندكم علم بالانساب قالت نعم قال أنا من مضر الحمراء قالت من
أى مضر قال من أكرمها نسباً وأعظمها حساباً وخيرها أما وأبا من تها به
مضر وتخشاه قالت أظنك من كنانة قال أنا من كنانة قالت من أى كنانة
قال من أكرمها مولداً وأشرفها مجدداً أكرمها فى المكرات بدأ من تها به
كنانة وتخشاه قالت والله أنت من بنى هاشم قال أنا من بنى هاشم قالت
من أى هاشم قال من أعلاها منزلة وأشرفها قبيلة ممن تها به هاشم
وتخشاه قال فعند ذلك قبلت الأرض وقالت السلام عليك يا أمير
المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين قال فعجب المؤمنون منها وطرب
طرباً شديداً ثم قال لا تزوجن بها لأنهم من أكبر الغنائم ووقف حتى
تلاحقته العسكر فنزل وأرسل خلفه أبا عبد الله وخطبهم منه فزوجه بها
وهى والدة العباس والله أعلم ﴿ومن محاسن الأخلاق﴾ ما حكى
عن العاضى يحيى بن أكرم قال كنت نائماً ذات ليلة عند المؤمن
فطش فامتنع أن يصبح له زده يسقيه وأنا نائم فينفس على نومي فأرأته
وقد قام يتمشى إلى أطراف أصابعه حتى أتى موضع الماء وكان بينه
وبين الماء نحو ثلاث مائة خطوة ثم رجع يتمشى على أطراف أصابعه
حتى وصل إلى الفراش الذى أنا عليه فخطى خطوات لطيفة لئلا تنهني
حتى وصل إلى فراشه ثم رأته آخر الليل وقد قام بهول فتعدت ويدا
يحاول أن يتحرك فيصبح للغلام فلما تحركت وثب قائماً وصاح بالغلام
وتأهب للصلاة ثم جاءنى وقال كيف أصبحت يا أبا محمد وكيف ميتك
قلت خير ميت جماعى الله فذاك قال لقد استيقظت للصلاة فكرهت
أن أصبح للغلام فأزججت فقلت يا أمير المؤمنين لقد خصلت الله بأخلاقى
الأنبياء عليهم السلام وذهب لك سيرتهم فهناك الله بهذه النعمة وأتمها

عليك فأمر لي بألف دينار وانصرفت وحدث سليمان الوراق قال
 ما رأيت أعظم حيل من المأمون دخلت عليه يوما وفي يده فص مستطيل
 من باقوت احمر له شعاع مداه له المجاس وعاء يلقبه بيده ويستحسنه
 ثم دعا رجلا صانع قال له اصنع بهذا النفس كذا وكذا واحلل فيه كذا
 وكذا وعرفه صيف يعمل به فأخذ السائح وانصرف ثم عدت الى
 المأمون بعد ثلاث فتذكرة فاستدعي بالصائح فأني وهو برعد وقد انتقع
 لونه فقبل المأمون ما فعلت بالنفس قتل الجرجل ولم ينطق بكلام ففهم
 المأمون بالفراسه انه حصل به خلل فوري وجهه عنه حتى سكن جاشه
 ثم انفت الى واعاد القول فقال الامان يا امير المؤمنين قال لك الامار
 وخرج الفص اربع قطع وقل يا امير المؤمنين سقط من يدي على
 السندال فصار كما ترى فقال المأمون لا بأس عليك اصنع به ارب
 خواتم والطف في الكلام حتى ظننت انه كان يشتهي الفص عر
 اربع قطع فلما خرج الرجل من عنده قال أتدرون كم قيمة هذا الفص قلنا
 لا مال اشتراه الرشيد بمائة ألف وعشرين ألف انتهى ومن حمله أيضا
 قال يحيى كست أنا والمأمون يوما في بستان ندور فيه فشينائي البسه ثمان
 من أوله الى آخره وكنت ممابلي لشمس والمأمون ممابلي الظل فكان
 يجذبني ان أكون في الظل وهو في الشمس فأمتنع من ذلك حتى اذا
 رجعتا قال لي والله يا يحيى لتكون في الشمس ولا تكون في مكانك حتى
 آخذ نصيبي من الشمس فكما أخذت نصيبك منها فقلت والله يا امير
 المؤمنين لو قدرت أن أقبل من هول المطاع لغدت ولم ينزل بي حتى تحولت
 الى الظل وتحول هو الى الشمس ووضع يده على عاتقي وقال بجياقي
 عليك الا ما وضعت يدك على عاتقي مثل ما فعلت فانه لا خير في محبة
 من لا ينصف ومن حمله أيضا انه كان له خادم يسرق طاساته التي

يتوضأ فيها فقال له المأمون يوما اذا سرقت شيئا فأتني فاستبرقه فاستبرقه
 منك فقال له الخادم اشترمني هذه وأشار الى المني بين يديه فقال بكم
 قال بدينارين قال على شرط انك لا تسرقه قال نعم فأعطاه دينارين
 فلم يعد الخادم يسرق بعدها شيئا لما رأى من حيله والله أعلم وروى
 بعض أهل الأدب ان فتى من أهل الكوفة قد ذاق أهل زمانه في الأدب
 والبيان والفصاحة باللسان ناقدًا في صناعته حافظًا للاقدار راويًا
 للأشعار خبيرًا بسير الملوكة في الأيام المسالفة بصيرًا بالبحث عن أمورهم
 في الأيام الآتية جاذبًا في التصنيف فائقًا في التأليف صبيح الوحي
 مقبول المشاهد حلوا الشمائل وكان مع ذلك لا يتوجه له وجه من العمل
 إلا عارضه فيه عقق وجال دونه حائل وقدر سابق فبقى حينًا من الدهر
 وقد برز في القدر والمال والجاه من كان عنده في الصاعقة متأخرًا
 فضايق صدره وعيّل صبره وضلت مقاليدته فخرج الى بغداد واكثرى
 في بعض خاناتها منزلا وأجمع رأيه على أن يحمل نفسه على خطب
 هائل ليكون فيه ملكة أو ملكة وتربص لذلك الى أن يرى وجهه الى
 أن عزم أمير المؤمنين المأمون أن يشرب يومهاه وصنوه المعتصم فأمر
 المأمون بالاستعداد يوم سماء ليتخلف فيه مع الجوارى منفردين عن سائر
 النساء فظهر خبرهم بذلك وعرف الناس ذلك اليوم الذي عزما عليه
 فعزم هذا الأديب المذكور على أن يتطفل في ذلك اليوم على المأمون
 وأخيه المعتصم فمضى الى أخوانه وأصدقائه فاستعار من هذا قباء
 وجبة وزردية ومن آخر منطقة وخفاوسية ومن آخر برذونا ومن آخر
 ما يحتاج اليه من الطيب واستعد لذلك اليوم ودخل الحمام سهرًا وغطيب
 وأمس وركب عند طلوع الشمس الى دار المعتصم وقال للحاجب عترو
 الأمير أني رسول أمير المؤمنين واستأذن لي عليه فسعى الحاجب عدوا

حتى أخبر المعتصم فأذن له فلما دخل عليه وتمثل بين يديه قال له
 يا سيدي إن أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول إنك أنسيت الوعد ألم
 تقدم إليك بالركوب أنخلو وستريح يومنا هذا قال المعتصم لا والله
 ما نسيت ذلك ولكن تربصت ساعة وننت نومة لا تنفوي بذلك على
 انتصاب سائر النهار فقال الفتى فعجل الآن أيها الأمير فإنه أمرني
 أن لا أمارقك حتى أتية بك فأمر المعتصم بإسراج مركوبه وأسرع
 في التأهب ولبس ثيابه وتطيب وركب وركب الفتى معه والمعتصم
 لا ينكر شيئا من كلام الفتى ويتأمل للطافته وهيأته ولم يشوهم إلا أنه
 من بعض خواص المأمون وأخذ الفتى يتحدث المعتصم وأقبل عليه
 بكلماته ولم يتمكن من سؤاله شهوة لاستماع حديثه حتى بلغ باب
 الظلمة فأتى الفتى نفسه عن دابته وأخذ يمشي بين يديه والحجاب
 لا ينكرون منه شيئا ويظنون أنه من خدام المعتصم حتى نزل المعتصم
 وأخذ الفتى بركابه ودخل المجلس فلما استقر المعتصم في مجلسه جلس
 الفتى بين يديه وهرمنه في نوادره وأخبره والمعتصم مصغ إليه تعجبا
 مما يسمع من حسن كلامه وأخبر المأمون أن المعتصم قد وصل ومعه
 رفيق لا يعرف من هو فقال المأمون أخى قد عرف أن هذا المجلس
 انقضا عليه لا ينبغي أن يحضره أحد من الناس إلا من هو عديل النفس
 وقد أحسن أخى إذ جعل لما ثالثا فان المجلس إذا لم يحضره أكثر من
 اثنين تعطل لقيام أحدهما إلى الصلاة وإلى ما لا بد منه ثم خرج من
 ساعتهم فقرأ وليس له حجة إلا تصفح وجه الغلام واستنطقه واعتبار
 قده وعقله فلما استقر على سريره كساه والفتى عالم بما وقع في نفس
 المأمون نهض قائما فقبل يد المأمون وعاد إلى مجلسه وأخذ في نوادره
 وحديثه ومضحكاته وحسن أخباره وغرائب أشعاره كما أنه يعرف من

بحر وهو مع ذلك يرهق المأمون انه من خواص المعتصم فساعة يكتفيه
وساعة يسميه حتى غاب على قلب المأمون وأظهر الحسد لآخيه
في محبة مثل هذا الغلام وسلامه وأمر المأمون باحصار المائدة
فنهضت بأنواع الطعام فأكلوا وغسلوا أيديهم ولجلست الشراب انتقلوا
أمر المأمون باحضار الجوارى من غير ستارة فحضرن وأخذن في الغناء
بما من صوت يمر الا والفتى عارف به وبالفتى ومتى قيل وفين قيل فغز
في عين المأمون حتى ملأ عينه وتزايد حسده لآخيه في محبة مثله
فمس الفتى بول ولم يجد للدفاع سبيلا فقام وهو متيقن أنها سيذكرانه
ويتواصقان أمره وحاله اذا خلا المجلس فها هو الا ان غاب من بين أيديهما
حتى قال المأمون لآخيه المعتصم يا أبا اسحاق من صاحبك هذا فوالله
ما رأيت رجلا قط أكثر منه أدبا ولا أنظف هيئة ولا أشرف من شأنه
فقال المعتصم والله ما أعلم من هو وانه جاءني بمكرار رسالة أمير
المؤمنين فقال المأمون سألتك بالله يا أحمى أهرك ذلك فقال اى والله
الذى لا اله الا هو فقال المأمون هذا فيلى ورب الكعبة وغضب وأمر
الجوارى بالنهوض فنهضن وأقبل الفتى راحعا فلما نظر الى خلوه للمجلس
من الجوارى والى تغير وجه المأمون وقف على رأس المجلس وأقبل
بوجه على المعتصم وقال يا أبا اسحاق كائن لك قد أخذت في نوع
الزور والبهتان وهذا المجلس من المجالس التى لا تحتل المزاج بما هكذا
وعندنى ثم قال والله يا أمير المؤمنين ما بليت من أحد من الناس مثل
ما بليت من هذا لانه دائماً أبداً يعرضنى لمثل هذا وشباهه ويعزى بى
ويوتئى فى كل ورطة ثم أقول على المعتصم وقال يا أبا اسحاق سألتك
بالله وبحق أمير المؤمنين الا ما أعفيتى من ملاعبةك التى لا تحتل
وتؤدى الى مؤاخذة أمير المؤمنين ولم يزل يأتي بهذا وأمثاله حتى شك

المؤمنون في أمره والتمت الى أخيه المعتصم وقال سألتك بالله يا أخي
بحيائي عليك الاما أعنتني بحقيقة أمره فقال المعتصم يا أمير المؤمنين
رثت من ذمة الله ورسوله ومن حياتك وولائك ان كنت أعرفه
أورأيت قط الا في يومى هذا فقال القتي كذب والله يا أمير المؤمنين
لقد كنت معه دهرى الاطول وفي موضع كذا وكذا وان هذا فعله معي
أبدا فضحك المؤمنون تعجيبا وقال ادخل فدخل وأمره بالجلوس
فجلس ثم قال لك الامان ان صدقتني فصدقه الحديث على وجهه
بأنعجب من حسن منطقته واطف مدخله وديق تصرفه وأمر باعادة
الجوارى الى مجلسهن فطربوا سائر يومهم فقال له المؤمنون أخبرني
بأنعجب ما لحفك في قدومك من الكوفة الى بغداد واجعله نظما ولا تكتم
عني شيئا فقارفع ثم أنشأ بقول

بينما أنا راقد في البيت مكنة تنبأ به مفكر في حصول السكد والقوت
وليس في البيت من شيء ألم به * ولى من الجوع ما يدنى الى الموت
اداب صوت اب الدار أسمعته * والاذن مصغية عنى الى الصوت
ناديت من ذا الذى أرحوه لى فرجا * نادى أنا فرج زنى كرا البيت
فضحك المؤمنون حتى استلنى على فراشه ثم ضرب برجله لارض من
شدّة انجسابه وقال ثم ماذا قال يا أمير المؤمنين فخرجت فاذا هو صاحب
الخان يطالبني بالكراء فوعدته بأن يرجع الى مرة أخرى فمضى ومضيت
على وجهى لا أعلم أين أتوجه فسألت كل من لنيته من صديق لى
كنت أستأنس به فخطر على بالى بيتان من الشعر في ذلك وهما
غريب الدار ليس له صديق * جميع سؤاله أين الماريق
تعلق بالسؤال لى كل شخص * كما تتعاق الرجل الغريق
فاشرفت يا أمير المؤمنين على جارية كأنها البدر لمة كما لهوى تقول

تروق يا غريب فكل حر * يمر بحاله سعة وضيق
 وكل ملة ان أنت فيها * صبرت لها أبيع لها الطريق
 ثم قالت خذ هذه فادفع بها فافل فوالله ما هي الا مواسات من قوت
 ورمت الى صدرى بقرطاس واذا فيه عشرة دراهم فرحعت من فوري
 فوجدت صاحب الكراء ثم اعى الساب فدفعته اليه خمسة دراهم
 واستمعت بالباقي الى أن وقعت هذه القصة وهذا الامر الذي كافني
 وحلني على ما فعلت وأنشأ يقول

لم آت فعلا غير مستحسن * جهلا بفعل الاحسن الا ملح
 لكنني في حالة أوجبت * ضرورة اتيان مستقيم
 فأعجب المأمون أمره واستحسنه وأمر له بمائة ألف درهم يصلح بها
 شأنه وأخذه بمراتب الخسامة ورفعت منزلته عنده وصار اقرب الناس
 اليه وآخر خارج من عنده وأول داخل اليه وسعى طفيلي المعتصم
 وأنشد للمأمون يوما يقول

كانت عجلي أدواء مفرقة * فاستجمعت اذ رأتك العين اهواى
 تركت الناس دينها هم ودينهم * شغلا بذلك عن ديني ودينهاى
 وصار يحسدني من كنت أبجسده * وصرت مولى الورى مذصرت مولائى
 فاستحسن المأمون الابيات وأمر بكتبه على الستارة وصار الفتى اذا
 حضر يوم سيرور المأمون لم يكن للمأمون هم الاقتراح هذه الابيات الى
 أن ينقضي المجلس ثم ان الفتى بعد أن حسنت حاله أرسل الى الدار التي
 أشرقت عليه منها الجارية فاذا هي لرجل من أهل بغداد من مباشرها
 وزدها ولم يخلف ولدا سوى تلك الجارية وماتت حتى تضعض حاله
 ما علم المأمون بذلك فأمر بجهتها للفتى ودفع المهر من عنده وصار الفتى
 راجية في نعمة عظيمة ببقية عمرهما والله أعلم وسرق شاب سرقة

فأتى به الى المأمون فأمر به طع يده فتقدم لتطاع يده فانفشد الشهاب
يقول

يدى يا أمير المؤمنين أعيذهما * بعفوك أن تلقى نكالا يشينها
فلا خير في الدنيا ولا راحة بها * اذا ما شئنا لا فارقتهما يمينها
وكانت أم المشاب واقفة على رأسه فبكت وقالت يا أمير المؤمنين انه
ولدى وواحدى ناشدتك الله الارحمتى وهديت لوعتى وجدت بالعفو
عما استحق العقوبة فقال المأمون هذا حد من حدود الله تعالى فقالت
يا أمير المؤمنين احمل عفوك عن هذا الحد ذنب من الذنوب التى تستغفر
مها فرق لها المأمون وعفى عنه وفى حياة الحيوان قال رأيت فى بعض
المجامع بخط بعض العلماء الاكابر أن المأمون أشرف يوما من قصره
فرأى رجلا قائما بیده فحمة وهو يكتب بها على حائط قصره فقال
المأمون لبعض خدمه اذهب الى ذلك الرجل فانظر ما كتب واثنتى به
فبادر الخادم الى الرجل مسرعا وقبض عليه وقال ما كتبت فاداه وقد
كتب هذين البيتين

يا قصر جمع فيك الشؤم والوم * متى يعشش فى أركانك اليوم
يوما يعشش فيك اليوم من فرحى * أكون أول من ينزع الشرغوم
ثم ان الخادم قال له أجب أمير المؤمنين فقال الرجل سألتك بالله
لا تذهب بي اليه فقال الخادم لا بد من ذلك ثم ذهب به فلما مثل بين
يدى أمير المؤمنين وأعلم بما كتب فقال له المأمون وياك ما حملك على
هذا فقال يا أمير المؤمنين انه لا يخفى عليك ما حواه قصره هذا من
خزائن الاموال والحلى والحلل والطعام والشراب والفرش والاواني
والامتنعة والجواري والخدم وغير ذلك ثم يقصر عنه وصفه ويعجز عنه
همى وانى يا أمير المؤمنين قد مررت عليه الآن وأنا فى غاية من الجوع

والواقعة توقفت مفكرا في أمرى وقلت في نفسى هذا القصر عامر عا وانا
جائع ولا فائدة لى فيه ولو كان خرابا ومررت به لم اعدم رخامة أو خشبة
أرسمها وأبيعها واتقرب ببنه أو ما علم أمير المؤمنين رعا الله قول
الشاعر

إذا لم يكن الأمر في دولة أمره * نصيب ولا حظ تمنى ذوالها
وما داك من بغض له غير أنه * يرجى سواها فهو بهوى انتقالها
فقال المأمون يا غلام أعطه ألف درهم ثم لى الك فى كل سنة
مادام قصرنا أمرا بأهل مسرور وابدولته وأنشدوا فى معنى ذلك
إذا كنت فى أمر مكن فيه محسنا * فعاقليل أنت ماض وباركه
فكم دحت الأيام أرباب دولة * وقد ملكوا أمهات ما أنت مالكة
ويحكى أنه تدأ رجل فى أيام المأمون فقال لىحي بن أكرم الفضى بايجي
امض بنا مستترين حتى نطرا لى هذا المنبى والى دعواه فركبنا الليل
مستترين ومعهم ما خاف حتى صاروا الى بابهم وكان مستتر ابنه فاستأذنا
اليه فخرج اليهم ما فقال من أتما فقالا رحلان يريدان أن يسلمنا
عنى يدلك قال ادخلا فدخلوا وحلس المأمون عن يمينه ويحى عن
يساره فقال المأمون الى من بعثت قال الى الناس كافة قال فيمضى
ليك أم ترى فى المسام أم ينكب فى قلبك قال بل أناجى وأكلم قال ومن
يأتيك قال جبريل قال فتى كان عندك قال الساعة قبل أن تأتيا نى
بساعة قال فساوحا اليك قال اوحى الى أنه سيدخل عليك رجلا ن
فيلبس أحدهما عن يمينك والا خر عن يسارك والذى يلبس عن
يسارك ألوط خلق الله تعالى فقال له المأمون أشهد أن لا اله الا الله
وأنت رسول الله وىكا ريجي يعزى الى ما قال عنه المتنبى انتهى
ردخل أبو نواس على الفضى بىحي بن أكرم ودخل معه غلام جميل

الوجه فقال الغلام هذا متر على وقبلني كرها ففتن به القاضي فانشد
يقول

إذا كنت لتعشيش والبوس كارها * فلا تدخل الاسواق الامنقبا
ولا تظهر الا صداع من تحت طرة * وتشهر منها موق خديك عقربا
ولما سمع الغلام ذلك أنشأ يقول

لقد كنت أرجو أن أرى العدل بيننا * فاعقبني بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح أدلها * إذا كان قاضي المسلمين يلوط
ويحكى أنه كان عند المأمون يوما فقال له المأمون وهو يعرض له باللوام
يا يحيى من ذا الذي يقول

قاضي يرى الحد في الزناء ولا * يرى على من يلوط من بأس
وقال له الذي يقول

ما أرى أخور ينقضى وعلى الـ * لامة وال من بنى العباس
ويقال ان المأمون شرب يوما معه القاضي يحيى بن أكرم فقال الساقى
على القاضي حتى وقع سكران فامر المأمون أن يلقي عليه الورد والرياحين
حتى يدفن فيها كأنه ميت ومنع يتي شعر وقال لمغنيته خذى العود
وغنى على رأسه فغنت وقالت

ناديته وهو حى لا حراك له * مزمل في ثياب من رياحين
فقلت قم قال رجلى لا تطاوعنى * فقلت خذ قال كفى لا يوافيني
فاستيقظ يحيى لينة العود والجارية تغنى البيتين فقام وقال

يا سيدي وأمير الناس كلهم * قد جار في حكمه من كان يسقيني
سفا في الراح لم تخرج سلافتها * حتى بقيت سليل العقل لا الدين
قال الواقدي كان ابراهيم بن المهدي ادعى لنفسه الخلافة بالرى وأقام
مالسها سنة واحدة عشر شهرا واثني عشر يوما وله أخبار كثيرة

فما حكاها قال لما دخل المأمون الرى في طلبى أنقل على الطلب وجعل
 لمن دل على وأناه في مائة ألف درهم فخفت على نفسى وتحيرت في أمرى
 فخرجت من دارى وقت الظهر وكان يوماً صائفاً وما أدرى أين أتوجه
 فمررت بزقاق لا ينفذ فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انا لله
 وانا اليه راجعون وخفت ان رجعت على أنرى يعلموا بى فرأيت في صدر
 الرقاق عبداً أسود قائماً على باب داره فتمدمت اليه وقلت له أعددك
 موضع أقيم فيه ساعة من نهار قال نعم وفتح الباب فدخلت الى بيت
 نظيف فيه حصير نظيفة وبسط ومعدات جلد ثم انه أغلق الباب على
 ومضى فخفت أن يكون سمع الجمالة في حقى وانه عرفنى ومضى ليدهم
 على فبقيت مثل الحبة في المقلاة قلقاسيتا من الخوف فبينما أنا كذلك
 اذا قبل ومعه جمال حامل كل ما احتاج اليه من لحم وخبر وقد رجد يد
 وجرة وكيزان جدد ثم التفت الى وقال جعاني الله فذاك أنا رجل جمام
 وأنا أعرف انك تنفر منى لما أتولاه من معيشتى فسألك بما لم تقع عليه
 يدى وكان لى حاجة الى الطعام وقمت وطبخت قدراً ما طننت انى أكلت
 مثلهما قط فلما قضيت اربى قال لى هل لك أن تشرب شيئاً فانه يسلى
 الهم ويزيل النغم ويهدد للنفس الفرح قلت ما أكره ذلك رغبة
 فى مؤانسته فأتى بقطرميز جديد وأحضر لى نقلاً وفاكهة فى أوانى جدد
 من فخار ثم قال بعد ذلك ان أذنت لى جعلت فذاك ان أقعد بنا حية
 منك وآتى بشراب فأشرب مسروراً بك فقلت افعل ففعل وشرب ثلاثاً
 ثم دخل الى خزانه فخرج عوداه صلتاً ثم قال يا سيدى ليس من قدرى
 أن أسألك أن تغنى ولكن قد وجب على مروءتك حرمتى فان رأيت أن
 تشرف عبدك بأن تغنى لى نفسك والعبد يسمع فافعل فقلت له ومن أين
 لك انى أحسن الغناء فقال متعبياً سبى ان الله أنت اشهر من ذلك أنت

ابراهيم بن المهدي خليفتنا بالامس الذي جعل المأمون لمن يدل عليك
مائة ألف درهم فلما قال ذلك عظمت مروءته عندى وعلمت أن نخوته
أجل مما بذل فتناولت العود فاصلمته وقدمت بخا طارى ذكر أهلى
وولدى فقلت

وعسى الذى أهدى ليوسف أهله * وأعره فى السجن وهو غريب
أن يستجيب لما فيجمع شملنا * فإله رب العالمين قريب
فقال ياسيدى اجعل ما تمنيه مما اقتضيك إياه قلت نعم فقال غنى
أن الذى عقد الذى انعقدت به * عقد المكاره فهو لك حلها
فاصبر فإن الله يعقب راحة * فلعلمها أن تجبلى فلعلمها
فحسن عندى اقتراحه فشربت وشرب ثم قال غنى لى
وراء ضيق الخوف متسع الامن * وأول فرج به آخر الخزن
فلان يأسن فالله ملك يوسف * خزانة بعد الخلاص من السجن
ففرح وشرب وشربت وقال غنى لى

إذا ما الحادثات بلغت النهى * وكادت لهن تذوب المهج
وحل البلاء وفل العراء * فعند انشأهى يكون الفرج
فعنيتى وحسن فى نفسى اقتضابه وأنت به واستنارقه ثم قال
أن رأيت ياسيدى أن تأذن لى أن أغنى ما خطر ببالى وإن كنت من غير
أهل هذه الصناعة فقلت يكون ذلك زيادة فى أدبك ومروءتك فأخذ
العود ثم قال دستور ثم ضرب عليه وغنى يقول

شكونا لى أحبنا طول ليلنا * فقالوا لنا ما أقصر الليل عندنا
وذلك لأن النوم يغشى عيونهم * سريعا ولا يغشى لنا النوم أعيننا
إذا ما دنا الليل المضربى الهوى * جرعنا وهم يستبشرون إذا دنا
فلو أنهم كانوا يلاقون مثل ما * نلاقى لكانوا فى المضاحم مثلنا

فقلت والله ذهب عني كل ما كان عندي من الملح وسألته بغني
فغني يقول

تعبنا انا قليل همدانا * فقلت لهما ان الكرام قليل
وما ضرنا انا قليل وجارنا * عزيز وجار الا كثيرين ذليل
وانا اقوم لانرى الموت سبة * اذا مارأته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا * وتكرهه آجالهم فتطول

فرأته لقد أجاد وذهب عني كل ما كان من الفزع والجزع واستأنست
به ودأخني من الطرب ما لا مزيد عليه وعاجلني النوم قبل أوانه فمنت
ولم أستيقظ الا بعد المغرب وجال مسكري في هذا الحجام وأدبه وطرفه
وكيف غناه وأدبه وارادته أن يسألني عما أنا فيه اشارة الى تخصيصه
بالوفاء لضيغته ونصره لجارته فقعدت وغسلت وجهي وأيقظته وأخذت
خريطة كانت صحتي فيها دنانير وماء اغ لها قسيمة فدفعها اليه
وقلت له أنت في وداعة الله وحفظه فاني ماض عنك وأسألك أن
تصرف ما في هذه الخريطة في بعض مهماتك ولك عندي اذا أمنت
المزيد فأعادها على مبادرا وقال يا سيدي الصلوك منا لا قيمة له عند
أهل الرياسات ويظنون فيه الظنون الرديئة أما خذ علي ما وهبني الله
من قربك وحوالك في نزلي غمنا والله فالحت عليه فأخذه موسى له
بيده وقال والله ان راحته تني لانحرن نفسي فخشيت عليه وأخذت
الخريطة وأتقاني حملها فلما انتهيت الى باب الدار قال يا سيدي ان هذا
الموضع أخفي لك من غيره وليس عندي في مؤنة ثقله فأقم عندي الى
ن يفرج الله عنك فراجعته وسألته أن يكون منقما من تلك الخريطة
فلم يفعل وكان كل يوم يفعل بي مثل ما فعل في اليوم الاول قال فأقمت
ياما في أطيب عيش وأهناء ثم سئمت من الإقامة عنده وخشيت

الثقل عليه فتركني ومضى يجتدد لسا حالنا فلبست ثيابي وتزييت
 بزى النساء بالخف والنقاب وخرجت لما صرت في الطريق داخلني من
 الخوف والفرع أمر شديد ومشيت لا عبر الجسر واذا هو قد رشح ورجل
 قائم فأبصرني بعض من كان في خدمتي من الجند فعلق بي وقال طالبة
 أمير المؤمنين فدفعته في صدره فوقع في الزلق وصار عبرة وتبادر الناس
 اليه فاجتهدت في المشي حتى قطعت الجسر ودخلت زقاقا فوجدت بابا
 وامرأة واقفة فيه فقلت يا سيدة النساء أحقني دمي فاني رجل خائف
 فقالت ادخل فدخلت فأطلعتني الى غرفة وفرشت لي وقدمت لي
 طعاما وقالت لي هدا روعك فانه لا يعلم بك مخلوق ولو أقمت سنة
 ما عليك بأس واذا بالباب يدق فخرجت وفتحت الباب فاذا هو صاحب
 الذي دفعته على الجسر وهو مشدوخ الرأس ودمه يسيل على ثيابه
 فقلت له ما دهالك قال لما ان حديثي عجيب وأمرى غريب ظفرت
 بالفتى وانقلت من يدي قالت وكيف قال ابراهيم بن المهدي لقيته
 فتعلقت به فدفعني فأصابني ما ترين من حالي ولوجلتني الى أمير المؤمنين
 لاخذت منه مائة ألف درهم قال فأخرجت له خرافا ودورا وفرشت له
 بعد كبس جرحه فنام قليلا وطاعت وقالت لي أظنك صاحب القصة
 قلت نعم قالت لي اني خائفة عليك ثم جددت لي الكرامة وأقامت
 عندها ثلاثة أيام ثم قالت لي اني خائفة عليك من هذا الرجل لئلا يطلع
 على أمرك فينم عليك فانج بنفسك فسألتها ما هي الى الليل فلما دخل
 الليل لبست زى النساء وخرجت من عندها وأتيت الى بيت مولاة لها
 فلما رأتهني بككت وتوجعت وحدث الله تعالى علي سلامتي وخرجت
 كأنها تريد كرامتي فتوجهت للسوق مفاهرة الاهتمام للضيافة فظننت
 خيرا فلم أشعر الا بابراهيم الموصلي بخيله ورجله والمولاة معه حتى سلطني

اليه فرأيت الموت عيانا وجملت مثل ما أنا الى أمير المؤمنين فجلس
 مجلسا عاما وأمر بإدخاله عليه فلما مثلت بين يديه سلمت عليه سلام
 الخلافة فقال لي لاسلمك الله ولا حفظك ولا رعاك فقلت يا أمير المؤمنين
 ان ولى الشارحكم فى القصاص والعفو أقرب للتقوى ومن تناولته يدي
 الا قد اربعا أمثله من أسباب الرجاء ما يأمن معه عادة الدهر وقد جعلك
 الله فوق خلقه وأصبح عفوك فوق كل ذى عفو فان تأخذ بفحشك
 وان تعف فبفضلك وأنشدت أقول

ذنبى اليك عظيم * وأنت أعظم منه

فخذ بحقك أولا * فاصفع بملك عنه

ان لم أكن فى فعالى * من الكرام فكنته

قال فرفع رأسه الى فقلت مبتدرا

أتيت ذنبا عظيما * وأنت للعفو أهل

فان عفوت فمن * وان جزيت فعدل

قال فرق المأمون واسترجع فرأيت روائح الرحمة فى شمائله ثم أقبل على
 أخيه أبى اسحاق محمد المعتصم وابنه العباس وجييع من حضر من
 خاصته وقال ماترون فى أمره فأشار الى كل يقتلى الا أنهم اختلفوا
 فى القتل فقال المأمون لا محمد بن أبى خالد ما تقول يا أحمى فقلت يا أمير
 المؤمنين ان قتلته فعد وجدنا مثلك قتل مثله وان عفوت لم نجد مثلك
 فى العفو فكس المأمون رأسه وجعل يخط فى الارض بأصبعه ثم رفع
 رأسه وقال

قوى هو قتلوا جيم أمى * فاذا رميت بصيدى سهمى

ثم قال المأمون لا بأس عليك يا عم فقلت ذنبى يا أمير المؤمنين أعظم من
 ان أفرد معه بعدد عفوك أعظم من ان أذوق معه بشكر رلك

أقول شعر

ان الذي خاق المكارم حازها * في صاب آدم للامام السابع
ملئت قلوب الناس منك مهابة * وتظل نكلوهم بقلب خاشع
ما ان عصيتك والغواة تمدني * اسبابها الابنية طامع
عفوت عن لم يكن عن مثله * عفو لم يشفع اليك بشاع
ورجت أشبالا كافر الخ القلا * وحنين والدة بقلب جازع
فقال المأمون لا تريب اليوم عليك قد عفوت عنك ورددت عليك
مالا وضيا علك فأنشدت أقول

رددت مالي ولم تبذل علي به * وقبل ردك مالي قد حققت دمي
أمنت منك وقد خولت نعيما * نعم الحيانان من ت ومن عدم
فلو بذلت دمي أبغى رضاك به * والمال حتى أسل العمل من قدمي
وان جددت ما وليت من نعم * اني الى اللؤم أولى منك بالكرم
فقال المأمون ان من الكلام كلاما كالدره هذا منه وأمر لي بمالي
وخلع علي وقال يا عيم ان أبا اسحاق والعباس أشارا بقتلك فقلت انه ما
فصالح يا أمير المؤمنين ولكن فعلت ما أنت أهله ودفعت ما خفت أنا
بما رجوت فقال المأمون لقد مات حقدي بحياة عذرك وقد عفوت عنك
ثم سجد المأمون وأوىلائهم رفع رأسه ثم قال يا عيم أندر لي لم هجرت قلت له
شكر الله تعالى علي ما أوقع علي وملكك أيا في يدك تفعل بي ما تشاء
فقال أخطأت ولكن شكر الله تعالى علي ما ألهمني من العفو وعنتك من
قبل نفسي ثم قال وأعظم من عفوي عنك اخي لم أجزعك مرارة امتنان
الشافعين فحدثني بما كان من أمرك فشرحت له ما جرى لي مع الحجاج
والجندى وزوجته والمولاة التي أسلمتني فأمر المأمون بإحضارها وهي
في دارها فتنظر الجائرة فلما حضرت قال لها المأمون ما حملك علي ما فعلت

من تسليمنا ابراهيم مع انعامه عليك قالت رغبة في المال قال هل لك
من ولد أو زوج قالت لا فأمر بضربها مائة سوط وأمر بتخليدها
في السجين ثم أحضر الجندی وامرأته والحجام فسأل الجندی عن
السبب الذي جعله على ما فعل قال رغبة في المال فقال انك أولى
بأن تكون حجاما من أن تكون حذاما ووكل من يلزمه الجلوس في مكان
الحجام ليتعلم الحجامة وأحسن الى امرأة الجندی وجعلها قيم مائة قصره
وقال هذه امرأة أدبية تصلي للمهمات وسلم للحجام دار الجندی وما فيها
وخلع عليه وأتته برزقه في الديوان وزيادة ألف دينار في كل سنة ولم
ينزل كذلك الى أن مات والله أعلم * (وعن محمد بن عبد الله التميمي) *
قال حدثنا أحمد بن محمد الحريري قال كان لحنة بنت عبد الرحمن
الهاشمي من الاموال ما لا يسعه الديوان ولانأكله النيران لكثرة
وكانت آداب نساء بني هاشم وأقصهن لسانا وأقولن شعرا فدخلت
على المأمون يوما وكانت تحب غاية الحب سرا وكان المأمون جالسا
في ايوان قد ابتدعه له لم يتدعه أحد من الخلفاء قبله وكان قد تفوق
في بناءه وكان فيه من كل صورة في البر والبحر ممثلة من الذهب والفضة
وقد فرش به بساط من الديباج الاصفر وأسبل عليه ستورا من الحرير
الصيني وقد أقام فيه أربع مائة وصيفة بقرا قط الحرير وقلانس الوشي
بطرر وشعور وأصداع وهن بقدر واحد لا تزيد الواحدة منهن على
الآخرى أقام مائتين عن يمينه ومائتين عن يساره * فقال يا حنة
هل كان لابيك أولبعك أو لاحد من الخلفاء مثل هذا الايوان مع فرشته
ومثل هؤلاء الجوارى مع زينتهن فقالت يا امير المؤمنين متعك الله به
وعمره بك فلقد أوتيت ملكا عظيما تستأهل لترفه وشرفك فان أجبت
خادمتك حنة أجلستك في مجلس لم تجلس في مثله قط وأصادتك صيدا

لم تصد مثله قط وأسقيتك شراباً لم تشرب مثله قط وكان عنده يحيى بن
أكرم فقال لها يا حنة قد أحبتك الى ما سألتني ولا تكن لا تنفعني
ولا يهينني ذلك الا بمشهد من يحيى بن أكرم فانه لا يطيب لي مجلس الابه
فصالت نعم يا أمير المؤمنين ثم ضربت يدها الى جيبها فأخرجت منه
مخزنة من ذهب أخرجت منه مسكاً أذفر فدفعته الى يحيى وقالت يا يحيى
ان الاجير لا يعمل حتى يستوفى أجره وهذه أجرتك منى فكن مستقناً
أمير المؤمنين غدا عمد الروال في المسير الى منزل خادمته فقال حبا
وكرامة ثم خرجت من عنده فهايات ما تحتاج اليه للمأمون وغيره فلما
كان من الغد جلس المأمون في مجلس السلام فلما زالت الشمس
وصارت في كبد السماء قال يحيى يا أمير المؤمنين الحاجة التي عرضت
عليك بالامس فقطن المأمون لذلك وقام من مجلسه ولبس ثياب التجار
ولبس يحيى مثل ذلك وودعا بجمارين مصريين بغاشيتين وركباهما حتى
أتيا دار حنة فدقا الباب دقا خفيفا فسمعه فأقبلت بنفسها حتى فقت
الباب وأقبلت عيشيان جميعا حتى انتهوا الى بيت في بستان قد جعل على
أربعة أعمدة من الرخام الأحمر المنقوش وإذا في صدر البيت ثلاثة أسطر
منقوشة بالدر ووضوف الجواهر وهي

ماسر في ان فتواي ولا * ان لسانى يوما خلا
وان الى ملك بنى هاشم * يحبى الى أول أولا
ان لم أراك يا مالكي * تأتي الى كذا مقبلا
يا سائل روي بلا علة * أنت المعافى وأيا البتلا

فقال المأمون يا يحيى ما ملك أحد من الخلفاء مثل هذا البيت زاد فرشه
أرمنى محفور منقوش باللائى وإذا فوق الأرمنى مطارج من الديباج
الاخضر حشوها حواصل الريش وفي البيت المسك والغنبر

والصندل والزعفران والند والعود مصفوف في أواني الذهب والفضة وهي تفوح منه روائح لا يدري ما هي من طيبها ثم أخرجتهما إلى أربعة ميادين فيها أنواع الرياحين حول البيت فقال إن هذا الاسحري يؤثر ثم دعت لهما بمائدة من الخبز اليماني قوائمها قطعة واحدة فوضعت وقدمت عليهما اللون الغربية فقال المأمون ما طعمت مثل هذا الطعام قط ثم دعت بالطشت والابريق فغسلا أيديهما ثم أرتقا فقدم إليهما قناني الزجاج الشامية المرتفعة الصافية والبلور فيها شراب قد أتت عليه الأيام والاعوام فهي تحكي الهوى لرقتهما والياقوت لمجرتها والرنجيبيل لحدتها ووضعت بين أيديهما مع أقداح وانطال تشاكل ذلك فقال المأمون والله ما رأيت مثل هذا قط ثم أخرجت جاريتين عليهما جباب الوشي الكوفي المنسوج بالذهب وعلى رؤسهما مقانع رشيدية وتيجان من الذهب مكللة بالجوهر فجلستا وفي حجرهما العيدان المبسوطة الموزونة فحركتا الاوتار وغنتا بصوت شجي يليح من أنواع الاغاني وغرائب الاصوات فقال المأمون هذه الجنة مما ترى فيها من غرائب الطيب والجوهر فقال يحيى وقد بقي لهما يا أمير المؤمنين شرط آخر فقال وما هو يا يحيى قال الصيد يا أمير المؤمنين قال صدقت يا يحيى ثم قال يا حنة ما فعل الصيد فقالت قوما إليه فقام المأمون ويحيى حتى دخلا بستانا لم ير مثله وقد كانت زينت البستان بأحسن ما تقدر عليه واتخذت فيه ألوان الطيور من الفاخت والقمرى والمزار والطواويس فكانت الاطيار تغنى من رؤس الاشجار وتغرد بالسر والاجهار وقد كانت زينت مائة جارية نواهدا بكارا بطرر وشعور وخذود ومباسم ساطعات الانوار ترى كل واحدة منهم أبهى من صاحبتها وأحسن وعلم من ألوان الثياب ما يعجز عنه

الوصف وفي أوساطهن مناطق الذهب الأحمر وتقدمت اليهن وقالت
لهن اذا رأيتم المؤمن ويحيى تغادين ما بين الاشعار فلما دخل المؤمن
ويحيى البستان فعان ما كانت أمرتهم فتضاعف السرور على المؤمن
وأنجب المؤمن بذلك العجا بآشديدا ثم قال ليحيى هذا الصيد فقال يا أمير
المؤمنين رأيك فيه فقال المؤمن لو كان لنا كلب لاصطدنا هؤلاء فقال
يحيى أنا كلبك يا أمير المؤمنين فعدا المؤمن ويحيى فاصطادا منهن
صدية فقالت حمنة سألتك بحق أحد ادك الا ما خليت عن الجزاري
لا أنجل أنجل هن عليك وقد فهمت المعنى فيه وقد كانت حمنة تغار على
المؤمن فخلى عن الجزاري وقال ليحيى دونك والصيد اذن أنت عمل
فقال يحيى لو كان لى كلب لاصطدت من هؤلاء فقال المؤمن أنا كلبك
وضحك يحيى وضرب بقلنسوته الارض فعدا خلفهن فأخذ منهن خمسة
فقالت حمنة يا يحيى لك الخمسة ولا غيره لى عليك وانا أغار على المؤمن
لحاجتى اليه فقال يحيى والله يا أمير المؤمنين لقد رأيت الهوى الغالب
فى جمالىق عينيها ولا تتم لنا النعمة الا بتزويجها ياها ان رأيت ذلك
فقال المؤمن أنا برى ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومتف من
جدى العباس ان ذهبت من البستان ولم أتزوجها ثم قال يا يحيى
أخطب خطبة النكاح فخطب يحيى وأمهرها المؤمن ألف ألف دينار
وأقطعها مائة من منتخبات الضياع فجمدت حمنة الله سرورا بما ظفرت
من تزويج المؤمن ياها وأمرت ليحيى بعشرة آلاف دينار ورجع
المؤمن الى منزله وزفت اليه فى تلك الليلة فواقعها فجمت بالعباس انه
انتهى وحكى ان المؤمن كان مشغولا بجارية يقال لها نسيم وكانت ذات
عقل وأدب وفضل وكال وكان لا يفارقه فى الحضر ولا فى السفر ثم بعد
ذلك مال الى جارية أخرى أحسن منها وأعرض عنها فانغمست ولم تجد

حيلة في استعطافه وكانت ربت جارية رومية أحسن منها في العقل
والادب وكنتم أمرها عن المأمون فاتفق ان المأمون حصل له بعض
ضعف فقصده فحصل له الشفاء فجعل الناس يدخلون عليه بأصناف
التحف والهدايا فأهدت نسيم اليه الجارية المذكورة ومعها جام بلور
وغمته بمنديل دئبق مكتوب عليه بالذهب هذه الابيات

فصدت عرفا تبغى صحة * ألبسك الله المافية
فأشرب بهذا الجام ياسيدى * مستمتعا في هذه الجارية
واجعل لمن أهدا كهازورة * تحظى بها في الليلة لثانية

فأعجب المأمون ما رأى من الجام والجارية ثم بعث لها يقول نعم وفي هذه
الليلة ثم رضى على نسيم وأوصلها بعد ذلك والله أعلم (رحمى) ان
المأمون مريوما على زينة أم المين فرآها تحرك شفقتها بشئ لا يفهمه
فقال لها يا أماء أتدعين على لى كوفى قتل ابك وسلبته ملكه قالت
لا والله يا أمير المؤمنين * قال فما الذى قلبه قالت يعنى أمير المؤمنين
فألح عليها وقال لا بد أن تقولى قالت له قلت قبح الله اللحاحة قال
وكيف ذلك قالت لاني لعبت يومامع أمير المؤمنين الزشيد بالشطرنج
على الحكم والرضى فغلبنى فأمرنى ان أتجرد من أنوائى واطوف القصر
عريانة فاستعفيت به وبذلت له أموالا لا تحصى فلم يعف عني فتجردت من
أنوائى وطفقت القصر عريانة وأنا حقنة عليه ثم عاودنا الالب فدايته
فأمرته أن يذهب الى المطبخ فيطأ أقمع بارية وأشوهها خلفه فاستعفانى
عن ذلك فلم أعفه فنزل لى عن خراج مصر والعراق فأبيت وقالت والله
لتطأنها فألحمت عليه وأخذت بيده وجثت به الى المطبخ فلم أربارية
أقمع ولا أقدر ولا أشوه خلقه من أملك مراحل فأمرته ان يطأها فوطئها
فعلقت منه بك فمكنت سبيبا للقتل ولدى وسلبه ملكه فولى المأمون

وهو يقول قاتل الله اللحاحة اى التى ألح عليها حتى أخبرته بهذا الخبر
انتهى * واتى شاعر المأمون فقال لقد قلت نيك شعرا فقال
أنشدنيه فقال

حيالك رب الناس حياكا * اذ بجمال الوجه رفاكا
بنداد من نورك أشترقت * واورق العود بجدواكا
قال فأطرق المأمون ساعة * وقال يا اعرابي وانا قد قلت فيك شعرا
واسديقول

حيالك رب الناس حياكا * ان الذى املت أخطاكا
ايت شخصه قد خلا كيسه * ولو حوى شيألا عطاكا
فقال يا أمير المؤمنين ان الشعراء الشعر حرام فاجعل بينهما شيأ يستطاب
فضحك المأمون وأمر له بمال انتهى (وروى) ابن عامر الفهرى عن
أشباخه قال أمر المأمون أن يحمل اليه من أهل البصرة عشرة رجال
كانوا قد رموا عهده بالزندقة فحاملوا اليه فمر بهم طفيلي فرآهم مجتمعين
فغن خيرا ومضى معهم الى الساحل * وقال ما اجتمع هؤلاء الا لوليمة
فأسل ودخل الزورق وقال لاشك انها زهفة فلم يكن الا يسيرا وقد
قيدوا القوم وقيد معهم فعلم انه قد وقع فيما لا طاقة له به ورام الخلاص فلم
يقدر وساروا الى ان وصلوا الى بغداد وأدخلوا على المأمون فاستدعى
بهم بأسمائهم واحدا بعدوا واحدا وجعل يذكرة بفعله وبيته وله ويضرب
عنقه حتى لم يبق الا الطفيلي وفرغت العشرة فقال المأمون لا موكل من
هذا فقال لا أعلم يا أمير المؤمنين غير انما رأيتهم مجتمعين فحشابه فقال
يا أمير المؤمنين امرأته طالق ان كان يعرف من احوالهم شيأ ولا يعرف
غير لا اله الا الله محمد رسول الله وانما رأيتهم مجتمعين فظننت انها لوليمة
يردعون اليها فلحقت بهم فضحك المأمون وقال اوقد بلغ من شؤم

التطفل ان يحل بصاحبه هذا المحل لقد سلم هذا الجاهل من القتل
 وكن يودب حتى لا يعود الى مثلها * وكان ابراهيم بن المهدي
 حاضرا فقال يا امير المؤمنين هبه لي وانا احدثك عن نفسي فيما وقع لي
 في التطفل من العجب فقال وهبته لك هات حديثك فقال
 يا امير المؤمنين خرجت متكررا يوما انظر الى سكك بغداد فاستهوى بي
 الطرب والتفرج فانهى بي السير الى موضع شملت فيه رائحة طعام
 ويا بازير قد فاحت وهفت نفسي اليها ووقفت يا امير المؤمنين لا اقدر
 على المشي فرفعت بصري واذا بشباك خلفه كف بمعصم ما رأيت
 احسن منه فبقيت حائرا ونسيت رائحة الطعام بذلك الكف فأخذت
 في عمل الحيلة الى الوصول اليها فاذا بجانب المكان خياط فسلمت عليه
 فرد على السلام فقلت يا سيدي لمن هذه الدار فقال لرجل من
 البرازين فقلت ما اسمه فقال فلان قلت هو بمن يشرب الخمر قال نعم
 وأظن ان عنده اليوم أصحابه تجار مثله فينمنا نحن في الكلام اذ أقبل
 رجلان فقال لي هؤلاء ندماءؤه فقلت له ما أسماؤهما وما كناهما فقال لي
 فلان الفلاني وفلان الفلاني فحركت ورأتهما رجلى فلحقتهما فقلت
 جعلت فداكما استبطا كما فلان أعز الله ولم أزل معهما حتى أتيت البيت
 فدخلت ودخلا فلما رأاني صاحب البيت بينهما لم يشك الا اني معهما
 فرحب بي وأجلسني في افضل الاماكن ثم جيء بالمائدة ووقلت اليها
 الاوان فقلت في نفسي هذه الاوان قد من الله علي ببلوغ الغرض منها
 بقي الكف والمعصم ثم جيء بالماء فغسلنا أيدينا ثم نقلنا الى مجلس
 المنادمة فاذا به شكل مليح ما رأيت أحسن منه ولا أطرف ورأيت
 صاحب المكان يتلطف بي ويقبل على لظنه اني ضيف لضيافته وهم
 على الحالة هذه الى ان شربنا اقدا ما فخرجت علينا جارية كأنها

غصن بان في غاية الظرف وحسن الهيئة فسلمت من غير نجل
ولا احتشام وجلست وأتى بعود فبحسنه أحسن جس واداهى حادقة
في الصناعة وغنت تقول

توهما فكري فأصبح خذاها * وفيه مكان الوهم من نظري أثر
وصافحها كفي فألم كفهها * فمن ضم كفي في أنا ملها عقر
فهيئت يا أمير المؤمنين بلبا لي فطربت لحسن شعرها وحذوها * ثم
غمت تقول

أشرت إليها هل عرفتي مودتي * فردت بطرف العين اني على العهد
فحادت عن الاطهار عدا بسرهما * وحادت عن الاطهار أيضا على عهد
فحسدتها يا أمير المؤمنين على حذاقتها واصابتها معنى الشعر فضحكت
لما صابني من الطرب الذي لم أملك نفسي معه ثم غمت تقول
أليس عجيبا ان يتنا يضمننا * واياك لا تلهو ولا تتكلم
سوى أعين تبدي سرائر انفس * وتقطيع انفاس على النار تضرم
اشارة أفواه وغز حواجب * وذكسير أجفان وكف يسلم
فزاد حسدي لها يا أمير المؤمنين على حذاقتها واصابتها معنى الشعر
لانهم لم تخرج عن المعنى وقلت بني عليك يا جارية شئ فرمت العود من
يديها وقالت متى كنتم تحضرون البغضاء فندمت على ما كان مني
ورأيت القوم كأنهم قد أنكروا على فقلت في نفسي فاني جميع
ما أملت وأحييت أن اتلاف في قصتي فقلت أثم عود غير هذا قالوا نعم
فأحضروا عودا فأصلحت ما أردت أصلاحه ثم قلت

مالا من ازل لا تجيب خزينا * أصم من أم قد بالبلاء باينا
فما أتممت شعري حتى وثبت الجارية الى وانكبت على يدي تقبلها وتقول
لمعذرة اليك يا سيدي والله ما علمت مكانك ولا سمعت بهذه الصناعة

من أحد ثم زادوا كرامى واربا و اغامة الطرب فشربت عدة أقداح
ثم غنيتهم أبياتا ف رأيت من طربهم شيئا عظيما حتى قلت ان ارواحهم
فارقت أبدانهم فسكت عنهم ساعة حتى تراجعوا الى عقولهم فعنيتهم
وقلت

هذا حبك مطوى على كده * وجدا وتجري دموعه على جسده
له يد تسأل الرحمن راحته * مما به واليد الاخرى على كعبه
يا من يرى كلفا في حبه دنفا * كانت منبته في عينه ويده
قال ف جعلت الجارية تصيح وتقول هذا والله الغناء والذي كنايةه ليس
بشيء وشربوا القوم فلما جاءهم البسط وأخذوا المجلس تهاه أمر صاحب
البيت عبيد بن له أن يحفظا النديمين الى منزلهما و خلوت معه فقال والله
يا سيدي ذهب ما مضى من عمرى باطلا الذي ما عرفت لك قبل يومى هذا
فما لله يا مولاي من أت ف جعلت أرد عليه وهو يقول ويقسم على أن
أعلمته من أنا على الحقيقة فلما سمع ذلك قام على قدميه وقال عجبت أن
تكرن هذه المسكارم الالئلك وقد أصابنى من الدهر نعم لا أقوم بشكرها
ثم قال أترى هذا بقظة أم منما أقسمت أنى لا أزال هذه الليلة قائما الى
أن تأذن لى فانى أحقر من أن اجالس الملوك فأقسمت عليه بأن يجلس
ثم أخذ فى الكلام وجعل يعرض على السبب الذى أوجب حضوري
عنده فألطف تعريض فأخبرته بأمرى على الحقيقة ولم أخفه شيئا ثم
قلت له الطعام قد نلت منه بغيته وبقى الامر الآخر فوثب الى باب الناعة
وقال كل منكن تلبس أفخر ثيابا وتخرج علينا من المخدع ثم استدعى
بهن وجعل يقول يا فلانة وهن يخرجن واحدة بعد واحدة وأنا لا أرى
صاحبة الكف والمعصم الى أن أتت أربعون امرأة فقال والله ما بقى
الاختى وهما أنا فخرجها اليك فقلت افعل فقال حبا وكرامة

ثم استدعاهما فنزلت فرأيت يدها ومعصمها فاذا هي التي رأيتها فقلت
هذه الحاجة فأمر غلمانها لوقتسه أن يأتوا بعشرة شهود ثم قام وأخرج
عشرين ألف درهم وألقا أخرى فلما حضر وأقال لهم هذا سيدي إبراهيم
ابن المهدي يخاطب اختي فلانة واشهدكم اني قد زوجتكم له وأمهرتها
عنه عشرين ألف درهم فقلت قبلت الزواج ثم دفع الالف التي كان
أخرجها لهم فشكروا له ودعوا ثم انصرفوا ثم قال ياسيدي امه ذلك بعض
اليوم تنام مع أهلك فأعجبني ما كان من كرمه واستعيت أن أدخل
بها في داره فقلت له بل أجعلها في عمارية وأجعلها الى منزلي فوحي قل
يا أمير المؤمنين اقدح لي معاه من الفرش والاثاث ما ضاقت به بيوتنا
فأولدتها هذا الغلام القائم بين يديك يا أمير المؤمنين فتعجب المأمون
من كرم الرجل وقال لله دره ما أكرمه والله ما سمعت بمثله قط ثم أطلق
الضيف وأمر بإحضار الرجل واستنطقه فأعجبه حسن منطقه وعقله
وأدبه فصيره من جملة خواصه ومناديمه والله أعلم

(ذكر خلافة إبراهيم المعتصم بن هارون الرشيد)

هو ثامن خلفاء بني العباس وكان شديد القوة ما كان في بني العباس
مثله في القوة والشجاعة والاقدام قيل انه أصبح ذات يوم وكان برده
شديدا وثجبه عتيدا فلم يقدر أحد على اخراجه يده ولا امساك قوسه فأوتر
المعتصم في ذلك اليوم أربعة آلاف قوس وكان يدعى الثمن وأنشد
أبو تمام حبيب بن أوس الضاء يمدح المعتصم بن هارون الرشيد يقول
ان جس عودا رأيت الخيل راقصة * كأنها من سماع هزها نغم
أو حركت يده اليمنى له وترنا * على أعاديه غنى اليوم والرخم
وكان يقول بخلق القرآن وضرب على ذلك أحمد بن حنبل على أن يقول
ذلك فلم يقل رضى الله عنه وله معه كلام طويل فانظره في حياة

الحيوان * (ومن لطائف الحكايات) * ماروى عن أحمد بن دواد القاضى انه قيل لى بتميم بن جميل الى المعتصم أسيرا وكان قد خرج عليه قال فما رأيت رجلا عرض عليه الموت فلم يكترث به سواه ثم دعا بالسيف والنطع فلما مثل بين يديه فظار اليه وأعجبه حسنه وقده ومشيه الى الموت غير مكترث وأطال التفكير به ثم كلمه لينظر أين عقله ولسانه من جماله فقال يا تميم ان كان لك عذروأت به فقال أما اذا أدن أمير المؤمنين فى انكلام فانى أقول الحمد لله الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين يا أمير المؤمنين جبر الله بك صدع الدين ولم يك شعث المسلمين واخذ بك نار الباطل وأثار بك سبل الحق ان الذنوب تخرس الالسنه وتصدع القلوب وأيم الله لقد عظمت المجريرة واقطعت الحجبة وساء الظن الافيك وهو أشبه بك وأليق ثم أنشد

أرى الموت بين السيف والمطع كانه * بلا حظنى من حيث لا ائلفت
وأكبر ظنى انك اليوم قاتلى * وأى امره عما قضى الله يقلت
ومن ذا الذى يأتى به مذروحة * وسيف المايا بين عينيه مصلت
يعز على الاوس بن ثعلب موقف * يسل على السيف فيه ويصلت
وما جرعى من ان أموت واننى * لا علم ان الموت شىء مؤقت
ولكن خلفى صبيبة قد تركتهم * واكبادهم من حسرة تنقت
كأنى أراهم حين أنبى اليهم * وقد لطموا جراح الوحوه وصوتوا
فان عشت عاشوا فى سرور ونعمة * ازود الرءاعنهم وان مت موتوا
فكم قائل لا أبعد الله داره * وآخر خذلان يسرو شمت
قال فبكى المعتصم ثم قال ار من البيان لسحرا كما قال النبى صلى الله عليه وسلم يا تميم كاد والله أن يسبق السيف العقل قد غفرت لك

المحفوة ووهبتك للصيدة ثم عقد له ولاية على عمله وأعطاه خمسين ألف
 دينار انتهى من زهرة الحكام في قصة يوسف عليه السلام * وذكر
 صاحب تاريخ بغداد عن مخارق المغنى قال تطلعت تطفيلة فامت على
 أمير المؤمنين المعتصم بتسعين ألف درهم قيل له وكيف ذلك قال
 شربت معه ليلة إلى الصبح فلما أصبحت قلت له يا أمير المؤمنين ان رأيت ان
 أخرج الى الرصافة فأناشم الى وقت انتباه أمير المؤمنين قال نعم فأمر
 السوابين أن يتركوني فخرجت أعمشى في الرصافة واذا بجارية كان
 الشمس تشرق من جبينها فتبعتهما ورأيت معهما زنبلا فوقفت على
 فاكهاني واشترت سفرجلة بدرهم وانصرفت فتبعتهما فالتفت فرأيتني
 فقالت يا ابن الفاعلة الى أين قلت خلعت يا سيدتي فقالت ارجع
 يا ابن الزانية لا يراك أحد فيقتلك فتأخرت ومشيت وتمشت أمامي
 ثم التفت فرأيتني فشممتني شمتا قبيحا ثم جاءت الى دار كبيرة فدخلت
 فيها وجلست أنا عند الباب وقد ذهب عقلي ونزت على الشمس وكان
 يوما حارا فلم ألبث ان جاء فتيان كأنهم يابدران على حمارين فلما وصلا
 الى الباب أذن لهما فدخلوا ودخلت معهما فظنا ان صاحب المنزل قد عانى
 وجيء بالعلامة فأكلما وغسلنا أيدينا فقار لنا صاحب المنزل هل لكم
 في فلانة فقالا ان تغضلت قال فاستدعي بئلك الجارية فخرجت فاذا
 هي صاحبتى ووراءها وصيفة تحمل عودها فوضعتها في حجرها فغنت
 فشرىها وطربوا وهي تلحنني وتشك في فقاروا المن هذا الصوت فقالت
 لسيدي مخارق فلم ألبث ان قلت يا جارية شدي يدك فشدت أوتارها
 وخرجت عن ايقاعها الذي تقول عليه قال فاستدعيت بمسورة
 رقضيبي وغيت الصوت الذي قالته الجارية فقاروا الى وقبلوا رأسي
 * وقال وكان مخارق من أحسن الناس صوتا وكان يوقع بالقضيب

توقيع عجيبا قال ثم غنيت الصوت الثاني والثالث فكادت عقولهم
تطير فقالوا بالله من أنت يا سيدي فقلت مخارق فقالوا وما سبب عجيبك
قلت طفيلي أصلى الله شأنكم وأخبرتهم بخبري فقال صاحب البيت
لصديقيه أما تعلمان اني أعطيت في هذه الجارية ثلاثين ألف درهم
فامتعت من بيعها فالانعم قال هي له فقال صديقه عليا عشرون ألف
درهم وعليك عشرة آلاف قال مخارق فملكوني الجارية وحلست
عندهم الى العصر وانصرفت بها وكما مررت بالمواضع التي شتمتني فيها
أقول لها يا مولاتي أعيدى كلامك قد سمعني وأحلف عليها التبعيد
فتعيده حتى وصلت الى أمير المؤمنين فقبل لي انه انتبه فطلبك في منازل
أنساء القواد فلم يجدك وتغيظ غيظا شديدا فدخلت عليه ويدي في يدها
فلما رآني سبني وشتمني فقلت يا أمير المؤمنين لا تفعل وحدثته الحديث
فضحك وقال نحن نكافئهم عنك فأحضرهم وأمر لكل واحد منهم
بثلاثين ألف درهم والله اعلم انتهى * (حكاية غريبة عن محلها) *
قال الاصمعي دعاني بعض العرب الكرام الى قراء الطعام فخرجت
معه الى البرية فأتوا باباطية بأذنين وعليها السمن غارق فجلسنا للاكل
وادابا عرابي ينسف الارض نسفا حتى جلس من غير نداء فجعل يأكل
والسمن يسيل على كراعته فقلت لاضحك الحاضرين عليه فقلت
بيت

كانت أمة في أرض هس * أتاها وابل من بعد رش
فالتفت الى بعين معلقة وقال الى الكلام أنتي والحواب ذكرو أنت
كانت ربعة في أست كبش * مدلاة وذات السكبش يمشي
فقلت له هل تعرف شيئا من الشعر أو تدره فقال كيف لا أقول الشعر
وأنا أمه وأبوه فقلت له ان عندي قافية تحتاج الى غطاء فقال هات

ما عندك فغطست في بحور الاشعار فما وجدت قافية أصعب من الواو
المجزومة فقلت

قوم بنجد عهدناهم * سقاهم الله من النور

أتدري النور ماذا فقال

نوتلا لا في دجاليلة * حالكة مظلمة لو

فقلت له لو ماذا فقال

لوسار فيم افارس لا تنثني * على بساط الارض منطو

فقلت له منطو ماذا فقال

منطوى الكشمع هضم الحشا * كالباريتقض من الجو

فقلت له الجو ماذا فقال

جوا السماء والريح تعلوبه * اشتم ريح الارض فاعلو

فقلت له فاعلو ماذا فقال

فاعلو لما عيل من صبره * فصار نحو القوم ينعو

فقلت له ينعو ماذا فقال

ينعو ربما لا للقنا شرعت * كفيت مالا فواو ما يلغو

قال فعلت انه لا شيء بعد الفنا ولكن أردت أن أثقل عليه فقلت له ويلغو

ماذا فقال

ان كنت ماتتهم ماقلته * فأنت عندى رجل بو

قال فقلت له البو ماذا فقال

البو سلخ قد حشى جلده * يا ألف قرنان تقوم أو

قال فقلت له أو ماذا فقال

أو أضرب الرأس بصوانة * تقول في ضربتها قو

فخفت أن أقول له قوماذا فيضربني ويكل البيت فقلت له أنت ضيف في

الليلة فقال لا يا بني الكرامة الا لئيم * فقلت لزوجتي اصنعى لنا دجاجة
ففعلت فأتيته بها ووجتته أنا وزوجتي وابناى وبنتاى وقلت له فرق
يا بدوى فقال الرأس للرأس وأعطاني الرأس وقال الولدان خناحان
لهما الجناحان والبتان لهما الرحلان والمرأة العجزة لها العجز وأنا زائر لى
الزوروا كل الدجاجة ونحن ننظر اليه ويتنافذت فلما أصبحت
لزوجتي اصنعى لنا خمس دجاجات ففعلت وأتيته بالدجاج وقلت له اقسام
يا بدوى فقال تريد شغفا أو وترافقت ان الله وترحب الوتر فقال
كانك تريد بالفرد فقلت نعم فقال أنت وزوجتك ودجاجة وابناك
ودجاجة وبتناك ودجاجة وأنا ودجاجة فقلت لا أرضى بهذه القسمة
فقال كأنك تريد شغفا فقلت نعم فقال أنت وولدك ودجاجة
وزوجتك وبناتها ودجاجة وأنا وثلاث دجاجات والله لا أحول عن
هذه القسمة قال الاصمعى فقلبنى مرتين مرة فى الشعر ومرة فى الدجاج
ثم انصرف انتهى

* (خلافة أمير المؤمنين الواقع بالله) *

قال ابنه محمد الذى يقال له المهدي بالله كان أبى الواقع بالله اذا أراد
أن يقتل رجلا أحضرنا فى ذلك المجلس فبينما نحن عنده ذات يوم اذا أتى
بشيخ مقيد فقال انذروا لى عبد الله يعنى ابن دودا وأصحابه وأدخل
الشيخ فى مصلاه فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال لا سلم الله
عليك فقال الشيخ يا أمير المؤمنين بئس ما أدبك المؤدب قال الله تعالى
واذا حييتهم فحيوا بأحسن منها أو ردوها وأنت والله ما حييتني بها
ولا بأحسن منها فقال ابن أبى دودا يا أمير المؤمنين الرجل متكلم فقال
الواقع كله فقال للشيخ ما تقول فى القرآن فقال الشيخ لم يسألنى
ولى السؤال أسأله فقال له الامير سلمه فقال الشيخ لابن أبى دودا

ما تقول في القرآن فقال ابن أبي دؤاد مخلوق فقال الشيخ هذا شيء
 علمه النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله
 عنهم أجمعين والخلفاء الراشدون أم شيء لا يعلمونه فقال شيء لا يعلمونه
 فقال سبحان الله شيء لا يعلمه النبي صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر
 ولا عثمان ولا علي ولا الصحابة ولا الخلفاء الراشدون وعلمته أنت قال
 فحسب وقال أفأنتي قال قد فعلت والمسألة بيني وبينك قال نعم قال ما تقول
 في القرآن فقال مخلوق قال هذا شيء علمه النبي صلى الله عليه وسلم وأبو
 بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم والخلفاء الراشدون أم لم يعلموه
 قال علموه ولم يدعوا الناس إليه قال أفلا وسعت ما وسعهم قال ثم قام
 أبي فدخل مجلس الخلوة واستلقى على قفاه ووضع إحدى رجليه على
 الأخرى وهو يقول هذا شيء لم يعلمه النبي صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر
 ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا الخلفاء الراشدون وعلمته أنت سبحان الله
 انتهى * (وذكر الحافظ أبو نعيم في حديثه) * قال الحافظ أبو بكر
 الأجرى بلنبي عن المهدي رحمه الله أنه قال ما قطع أبي يعني الواثق
 الأشعري به من العصية فكثرت في السجن مدة ثم إن أبي ذكره يوما
 فقال علي بالشيخ فأنتي به مقيدا فلما وقف بين يديه سلم عليه فلم يرد عليه
 السلام فقال له يا أمير المؤمنين ما سلكتني أدب الله ولا أدب رسوله
 صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى وإدا حيينم بفتح فحيوا بأحسن منها
 أو ردوها وأمر النبي صلى الله عليه وسلم برد السلام فقال أبي وعليك
 السلام ثم قال لا بأس أبي دؤاد سلمه فقال يا أمير المؤمنين أنا محبوس مقيد
 أصلي في الحبس يتيم منعت الماء فبرقيودي تحل ومر بماء أتوضأ به
 وأصلي ثم سألني فأمر به فحلت قيوده وأمر له بماء فتوضأ وصلى ثم قال لا بأس
 أبي دؤاد سلمه فقال الشيخ لم سألتني فمره أن يحينني فقال سل فأقبل

الشيخ علي بن أبي دواد فقال له أخبرني عن هذا الأمر الذي تدعوا الناس
 إليه أشيء دعائي إليه النبي صلى الله عليه وسلم قال لا قال أفشيء دعائي إليه
 أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعده قال لا قال أفشيء دعائي إليه عمر بن
 الخطاب بعدهما قال لا قال أفشيء دعائي إليه عثمان بن عفان بعدهم
 قال لا قال أفشيء دعائي إليه علي بن طالب بعدهم قال لا قال الشيخ
 أفشيء لم يدع إليهم الرسول صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر
 ولا عثمان ولا علي تدعو أنت الناس إليه ليس يخجلوا أن تقول علموه
 أوجه لهم فان قلت علموه وسكتوا عنه توسعوا وسعنا وإياك من السكوت
 ما وسع القوم وان قلت جهلوه وعلمته أنت فيالكع ابن لكع شيء يجهله
 النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون رضي الله عنهم وتعلمه
 أنت وأصحابك قال المهدي فرأيت أبي وثب قائما ودخل الحجرة
 فجعل ثوبه في فيه وجعل يعض ثم جعل يقول صدق الشيخ إلى آخر
 ما تقدم وقال الهدي ما زلت أقول القرآن مخلوق صدرا من خلافة
 الوائقي حتى أقدم علينا أحمد بن أبي دواد شيخنا من أهل الشام فأدخل
 الشيخ علي الوائقي مقيدا وهو جميل الوجه تام القامة حسن الشبهة
 فرأيت الوائقي قد استغنى منه ورق له فما زال يدينه ويقربه حتى قرب
 منه فسلم عليه الشيخ فأحسن السلام ودعا فأبلغ الدعاء وأوجز فقال
 له الوائقي اجلس ثم قال يا شيخنا طربا بن أبي دواد على ما سطرنا فقال
 الشيخ يا أمير المؤمنين ابن أبي دواد يقول ويصبو ويضعف عن المناظرة
 فغضب الوائقي وعاد مكان الرقة له غضبا وقال أبو عبد الله بن أبي دواد
 يقول ويصبو ويضعف عن مناظرتك أنت قال الشيخ هون عليك
 يا أمير المؤمنين ما بك وأذن لي في مناظرته فقال الوائقي مادعوتك
 إلا للمناظرة فقال الشيخ يا أحمد يا ابن أبي دواد إلى ما دعوت الناس

ودعوتى اليه فقال ان تقول القرآن مخلوق لان كل شئ دون الله مخلوق
فقال الشيخ يا أمير المؤمنين انى رأيت أن تحفظ على وعليه ما تقول
وقال افعل وقال الشيخ يا أحمد أخبرنى عن مقاتل هذه أو اجبة داخله
فى عقد الدين فلا يكون الدين كاملاً حتى يقال فيه ما قلت قال نعم
وقال الشيخ أخبرنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثه الله
عز وجل الى عباده هل ستر شيئاً مما أمر الله به فى دينه فقال لا قال
الشيخ أفدعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مقاتل هذه فسكت ابن
أبى دؤاد فقال الشيخ نكلم فسكت فالتفت الشيخ الى الوراق فقال يا أمير
المؤمنين قل واحدة فقال الوراق واحدة فقال الشيخ يا أحمد أخبرنى
عن الله عز وجل حين أرسل القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم
فقال اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم
الاسلام ديناً كان الله صادقاً فى اكماله أم انت الصادق فى نقصانه فلا
يكون كاملاً حتى يقال فيه بمقاتل هذه فيكون كاملاً فسكت ابن أبى
دؤاد فقال الشيخ أجب يا أحمد فلم يجبه فقال الشيخ يا أمير المؤمنين
قل اثنان فقال اثنان فقال الشيخ يا أحمد أخبرنى عن مقاتل هذه
أعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم أم جهلها فقال ابن أبى دؤاد علمها
فقال أفدع الناس اليهم افسكت ابن أبى دؤاد فقال الشيخ يا أمير
المؤمنين قل ثلاثة فقال الوراق ثلاثة فقال الشيخ يا أحمد أفتسع لرسول
الله صلى الله عليه وسلم كما زعمت ولم يطالب أمته بها قال نعم فقال الشيخ
واتسع لابي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن
أبى طالب رضى الله عنهم فقال ابن أبى دؤاد نعم فأعرض الشيخ عنه
وأقبل على الوراق فقال يا أمير المؤمنين قد قدمت ان احدي يقول ويصبو
ويضعف عن المناظرة يا أمير المؤمنين ألم يتسع لك من الامساك عن

هذه المقالة ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بي بكر وعمر وعثمان
 وعلى رضي الله عنهم فلا وسع الله على من لم يتسع له منا ما اتسع لهم من
 ذلك فقال الواثق نعم ان لم يتسع لسان الامساك تن هذه المقالة
 ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بي بكر وعمر وعثمان وعلى
 رضي الله عنهم فلا وسع الله علينا ثم قال اقطعوا قيد الشيخ فلما قطع
 ضرب الشيخ يده فأخذ القيد فوضعه في كفه فقال الواثق لم فعلت هذا
 فقال الشيخ لاني نويت أن أقدمه الى من أوصى اليه اذ امت أن يجعله
 بيني وبين كفى حتى أخاصم به هذا الظالم عند الله عز وجل يوم القيامة
 وأقول يا رب سل عبدك هذا لم قيد في وروع أهلي وولدي وأخواني بلا
 حق أوجب ذلك على وبكى الشيخ وبكى الواثق وبكى كينا ثم سأله
 الواثق أن يجعله في حل وسعة مما ناله منه فقال الشيخ يا أمير المؤمنين لقد
 جعلتك في حل وسعة من أول يوم اكراما لرسول الله صلى الله عليه
 وسلم اذ أنت رحل من أهله فقال الواثق لي اليك حاجة فقال الشيخ
 ان كانت محكمة فعلت فقال الواثق تقيم عندنا تنتفع بك فتيتنا فقال
 الشيخ يا أمير المؤمنين ان ردك اياي الى الموضع الذي أخرجني منه هذا
 الظالم أنفع لك من مقامي عندك فقال ولم ذلك فقال لاسير الى أهلي
 وولدي فأكف دعاءهم عنك فقد خلفتهم على ذلك فقال الواثق
 أفتقبل منا صلة تستعين بها على دهرك فقال الشيخ يا أمير المؤمنين أنا
 غني وذو روة قال أفتسألنا حاجتك قال أو تقضيها قال نعم قال تخلى
 سبيلي الى السفرة الساعة وتأذن لي قال أذنت لك فسلم عليه الشيخ
 وخرج قال صالح قال المهدي بالله فرجعت عن هذه المقالة من ذلك
 اليوم والله أعلم * (فائدة) * روى الدارقطني وشيخه الحاكم وابن
 عدي عن عمران النبي صلى الله عليه وسلم كان في محفل من أصحابه

اذ جاء اعرابي من بني سليم قدام طادضبا وجعله في كفه ليذهب به الى
 رحله فرأى جماعة محتفين بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال علي من
 هؤلاء قالوا على هذا الذي يزعم أنه نبي فاتاه فقال يا أحمد ما اشتملت
 الناس على ذى لهجة أ كذب منك ولولا ان تسميني العرب عجولا
 لقتلتك فسررت بقتلك الناس أجمعين فقال عمر يا رسول الله دعني
 أقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما علمت ان الحليم كاد
 أن يكون نبيا ثم أقبل الاعرابي على رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقال واللات والعزى لا آمنت بك حتى يؤمن بك هذا الضب وأخرج
 الضب من كفه وطرحه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ضب فتكلم الضب بلسان فصيح
 عربي صريح يفهمه القوم جميعا فقال ليلىك وسعديك يا رسول رب
 العالمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعبد قال الذي
 في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمة
 وفي النار عذابه قال فن أنا يا ضب قال أنت رسول رب العالمين وخاتم
 النبيين قد أفلح من صدقت وخاب من كذبك فقال الاعرابي أشهد
 أن لا اله الا الله وأنت رسول الله حقا والله لقد أتيتك وما على وجه
 الارض أحد هو أبغض مني اليك والله لانت الساعة أحب الي من
 نفسي ومن ولدي فقد آمن بك شعري وبشري ودخلي وخارجي وسرى
 وعلايتي فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداك
 الى هذا الدين الذي يعلم ولا يعلم ولا يعلى عليه ولا يقبله الله تعالى الا بصلاة
 ولا يقبل الصلاة الا بقراءة قال فعلمني فعله النبي صلى الله عليه وسلم
 الحمد لله وقل هو الله أحد فقال يا رسول الله ما سمعت في البسيط ولا
 في الوجيز أحسن من هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا

كلام رب العالمين وليس بشعر اذ قرأت قل هو الله أحد ثلاثاً أو قال
ثلاث مرات فكأنما قرأت القرآن كله فقال الاعرابي ان الهنا يقبل
اليسير ويعطى الكثير انتهى باختصار من حياة الحيوان الكبرى ووقف
رجل على الواثق فقال يا أمير المؤمنين صل رجلك وارحم أقاربك وارحم
رجلنا من اهالك فقال الواثق من انت فاني لا اعرفك قبل اليوم قال ابن
جذك آدم فقال يا غلام أعطه درهماً فقال يا أمير المؤمنين وما أصنع
بالدرهم قال أرايت لو قسمت المال بين اخواتك اولاد جدتي اكان
ينوبك منه حبة فقال لله درك ما اذكي فهمك فأمر له بعتاء وانصرف

مكرماً ﴿خليفة المتوكل على الله﴾

حكى عنه أنه قال ذات يوم لابي العبداء ما أشد ما مر عليك في ذهاب
عينيك فقال قد رويتك يا أمير المؤمنين فاستحسن منه هذا الجواب
وأمر له بجائزة نفيسة ومما حكاه أبو القاسم علي بن محمد الذهبي
عن أبي عبد الله النحوي قال لما حج محمد بن عبد الله بن ظاهر رأى
في الطواف جارية في نهاية الحسن فسأل عنها فقيل انها لرجل من
الادباء قد رواها الاشعار وال اخبار والنحو والعروني وقد أحسنت
ضرب العود وطريق الغناء فاشتراها بمائة ألف درهم فلما قدمها مدينة
دار السلام شغف بها شغفا شديداً وأخفى أمرها وما يجده منها تخوفاً من
أمير المؤمنين المتوكل وكان من شدة وحده بها يحبس عندها أياماً
لا يظهر للناس فيظنون انه زمن وأمره معها مستور فقطن به سويد بن أبي
العالية صاحب البريد وكان بينه وبين محمد منافرة فلم يجد سويد ما يكيده
به الا ان كتب الى المتوكل وهو نازل على أربعة فراسخ من بغداد كتاباً
فسخته بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد يا أمير المؤمنين فان محمد بن
عبد الله اشترى جارية بمائة ألف درهم فهو يصطبغ معها ويعتقب زمانه

كله معها وقد استغل بها عن النظر في امور المسلمين وعن التوقيع
 في قصص المظلومين ولا يأمن أمير المؤمنين أن تخرب عليه بغداد مع
 كثرة ما فيها من الغوغاء فيتعيب أمير المؤمنين في اصلاحها وقد أنهى
 الملوك ذلك الى أمير المؤمنين أيد الله الله وهو أعلى رأيا والسلام عليه
 ورحمة الله وبركاته قال فلما قرأ المتوكل الكتاب رفع رأسه الى نرجس
 الخادم وقال له امض الساعة الى محمد بن عبد الله بن ظاهر وادخل
 عليه داره بغتة من غير اذن وانظر الى ما يصنع ثم خذ منه جاريته فلانة
 وأت بها من غير تأخير فضى نرجس من ساعته وكان محمد قد اصطحب
 معها في ذلك اليوم فدخل عليه ما نرجس من غير استئذان فلم يشعر محمد
 الا وهو واقف عليه فتغير وجهه ورائته لونه وفانت عيناه وارتعدت
 فرائسه لعله أن نرجس ما دخل عليه من غير اذن الا وقد اضمر له السوء
 فقال له يا نرجس ما الذي أقدمك قال أمير المؤمنين أمرني أن آخذ
 مباريتك هذه قال يا نرجس هذا يوم قد حضر شره وغاب خيره وقد ترى
 ما نحن فيه وأنا لا أخالف ما أمر به أمير المؤمنين ثم أمر الخادم بكرسي
 فجلس عليه بعد أن امتنع ساعة وقال ان مثلي لا يجلس مع مثلك ثم ان
 محمد انظر الى الجارية وبكى بكاء شديدا وقال لها غني لا تزود منك
 فأخذت العود وغت بصوت حزين تقول

الله بين معذنين رماها * بشماتة العذال والحساد
 أما الرحيل فحين جدت حملت * مهج النفوس به من الاجساد
 من لم يبيت والبين يصدع شمسه * لم يدرك كيف تقفت الاكباد
 ثم انهما اعلنا بالبكاء والحبب والشهيق فرجعهما الخادم ورق لهما حين
 عاين ما حل بهما فقال أيتها الامير ان رأيت أن أمضى وأدعكما على
 ما أتمتع عليه وأتعلم عنكما لا مير المؤمنين فعلت فقال يا نرجس من

خلفه مثل أئى الاسود كيف يمكنه التعلل ولكن ارفق بنا فقالت
الجارية والله يا سيدى لا ما كننى غيرك أبدا ولئن دفعتنى اليه لا قتلن
نفسى فقال لها محمد لو كان غير أمير المؤمنين لكان لى فى ذلك أوسع
حيلة ولقد وددت أن يأخذنى أمير المؤمنين جميع ما أملك ويعزلنى
عن عملى وبقيك على ولكن هذا قضاء الله وقدره ثم انفت الى نرجس
وقال لقد شاهدت منى ومن هذه الجارية ما شهد قلبك علينا بالحبسة
والمودة والالفة وليس يخفى عن علمك أن صنائع المعروف تقى مصارع
السوء وشكك من يصنع المعروف مع مثلى فخذها وامض بها الى أمير
المؤمنين وقل ما شئت مما يليق عمروءك ثم التقت اليها وقبلها وبكى
وبكت وبكى نرجس ثم أخذها وخرج وهى تبكى وتخمش خدما
ووجهها ثم حملها نرجس على بغلة أمير المؤمنين وسارحتى دخل على
المتوكل فلما رآه قال ما وراءك يا نرجس قال وراءى يا أمير المؤمنين كل
بلية ثم انه جلس بين يديه وقص عليه حالهما ولم يخف منه شيئا فقال
المتوكل وكل هذا الوجد يجده محمد من هذه الجارية فقال يا أمير المؤمنين
والذى خفى أكثر مما ظهر وما أظنه يعيش بعدها فرق عليه قلب
المتوكل وقال يا نرجس ارجع بها اليه الساعة من وقت هذا وأدركه
قبل أن تزهر روحه وقد أمرت له بمائة ألف درهم ولها مع ذلك مثله
وجعلت أمر أبى سويد اليه يصنع به ما يشاء ثم كتب له توقيعه بذلك
ودفعه الى نرجس فرجع الخادم بالجارية والتوقيع ولم يتمهل حتى دخل
عليه فوجده عريانا بقلب على حصر سامان من شدة الكرب والوجد
قد أحرق به الجوارى بروحنه بالمرأوح فقال أبشر يا محمدان أمير
المؤمنين قدر دجارتك عليك من غير أن يوقع نظره عليها وقد حكمت
فى أبى سويد ثم ناوله التوقيع بذلك ودخلت الجارية عليه فوثب اليه

وعانقه وقبلها ساعة ثم خرج فجلس على باب داره وبعث الى أبي سويد
 فلما حضر دفع اليه التوقيع فلما قرأه قال أعوذ بربناك من سقطك
 وبغفوك من عقوبتك وان تهدم مني ركناً أنت شيدته وان قضيع
 صنيعه اصطعتمها الى مثلي فثلى من هفا ومثلك من عفا ثم قام وقبل
 البساط وقال له محمد لا تبدل نعمة الله ككفرهم أمره بخمسين ألف
 درهم فقالت الجارية وأنا أيضاً هب له خمسين ألف درهم مما وهبه لي
 أمير المؤمنين شكر الله تعالى على ذلك ثم أقره على ما كان عليه وأمر أن
 يحمل المال بين يديه الى منزله ورجع محمد والجارية الى ما كانا عليه
 في أطيب عيش وأحسن حال متظاهرا بذلك غير مستتر ولا خائف
 انتهى وأتى المتوكل بمحمد بن النصيب ووزيره ابن الديرواني وكان محمد
 هذا قد خرج على المتوكل واستوزر ابن الديرواني فلما مثل بين يدي
 المتوكل قال له ما حملك على ما فعلت يا محمد قال الشقوة وحسن الظن
 بعفوك يا أمير المؤمنين وأشد يقول

أبي الناس الا انك اليوم قاتلي * امام الهدى والعفو بالحراجل
 قضاء لذيبي عند عفوك قلة * فجدلي بعفومك فالعفو افضل
 فقال المتوكل خلوا سيده ثم قدم ابن الديرواني فقال اضربوا عنقه
 فقال سبحان الله يا أمير المؤمنين تعفو عن الرأس وتقطع الذنب فضحك
 المتوكل وعفي عنه انتهى وكتب محمد بن عبد الملك بن الزيات وهو
 في السجن وقد اشتد به الحال رقعة الى المتوكل يستعطفه على نفسه من
 شدة ما فاسا من الاحوال والعذاب في السجن يقول فيها هذين البيتين
 هي السبيل فمن يوم الى يوم * كفرحة النائم الفرحان بالنوم
 لا تعجزان روي انهما دول * دنيا تنقل من قوم الى قوم
 قال فلما قرأها المتوكل رقق له وبكى وأمر بإطلاقه فذهبوا الى السجن

بوجوده ميتا رحمه الله

﴿خلافة أمير المؤمنين المعتصم بالله احمد﴾

كان يسمى السامح الثاني لانه جدد ملك بني العباس بعد أن أخلقه
الأتراك وأذله وفي ذلك يقول علي بن العباس الرومي

كما بأبي العباس انشئ ملككم * كذا بأبي العباس أبصا يجدد
ولقد اتفق في أيامه على ما حكى أمر فطوح كشفه الله له هيئته في نفوس
الناس فانه كان لا يعجز أحد منهم أن يكتف ما في نفسه من عفاة صولته
لانه كان أشد حذقه تخيل لهم انه يعلم ما في نفس الانسان من الضمر
فاتفق ان أحد وزرائه وأكبر قواده بنى بناء عاليا مشرفا على منازل
جيرانه فلم يعارضه أحد فيه من جيرانه لما كانت من سلطانه وعززه وكان
يجلس كثير في ذلك البناء فرأى يوما من الأيام في دار من دور جيرانه
جارية بارعة الجمال فأولع بها فسأل عنها فأخبر أنها بنت أحد التجار
فأرسل الى والدها خادما فقال له ابوها وكان من اهل اليسار لست
أزوجه الا من تاجر مثلي فانه ان تزوجه من هو مثلي لم يظلمها وان ظلمها
قدرت على النصفه منه وأنت ان ظلمتها لم أقدر لها على النصفه منك
ولا على الحيلة لنصرتهم فلم يزل يرومه في ذلك بكل أمر وتوسط اليه
الاكابر والامثال من الناس وهو مع ذلك يمتنع فلما يس منه أن يجيبه
شكى الى أحد خواصه فقال له ألف مثقال يقوم لك هذا فقال
كيف ذلك والله لعلمت اني أنفق عليها ثمن ألف مثقال أو أكثر
ونأيتني به الفعلت قال له عليك أن تحضر لي ألف دينار فأمر بإحضارها
فبشى بها ذلك الرجل ان عشرة رجال كانوا عدوا عند القاضي
في شهادتهم وذكروا له الامر وقال هذا امر ليس عليكم من الله فيه تبعه
فانه يصدقها كذا وكذا ألفا وعلى لهم المهر وانكم تحبون نفوسا أشرفت

على الهلاك ويكون لكم عنده مع هذا من الجاه ما ترغبون أبوها انما هو عاضل لها في الزواج والافيا يبعه من ذلك وقد خطبها مثل فلان في جداره فدره ومكانة أمره وقد اعطاه صداقا لا يعطى الابنت ملك ثم هو مع هذا يأبى هل هذا الاصل بين ولكن لكم الف مثقال لكل واحد منكم مائة وتشهدون انه قد روجها منه فانه اذا علم أبوها بأمركم قد شهدتم عليه رجع الى هذا الدليس فيه الا الخير والخير فآخذ الشهود كل واحد مائة وشهدوا أن أباهما روجها على صداق مبلغه كذا ورفعوا في الصداق اني غاية ما ترفع اليه صداقات الملوك فلما علم أبوها بذلك زاد نعارا واباء فمشى لورير وذلك الف تد الى القاضي وقال اني تزوجت فلانة ابنت فلان على هذا الصداق وهؤلاء شهدوا عليه ثم قدنا كرنى وأبكر الشهود وقد أردت ان ادفع له حق ابنته وأخذها فأمر القاضي باحضار الشهود فشهد واعده وأحضر مال التقديين لدى القاضي والرجل على انكاره متمادا فأمر القاضي بامضاء الحكم عليه وان تؤخذ ابنته منه أحب أو كره وأمر بحمل المال اليه فلما حصلت الجارية عند الوزير لم ينزل أبوها بروم الوصول اني المعتصم وكان المعتصم غليظ الحجاب لا يصل اليه أحد من غير الخاصة فقبل للرجل انه يحضر كل يوم ساعة من النهار على بنيان له بقصره فان استطعت ان تكون مع جملة رجال الخدمة تصل اليه وتكلمه بما أردت ففعل الرجل ذلك وغير شكاه ودخل في جملة رجال الخدمة للبناء فلما كان في ذلك الوقت الذي كانت عادة أمير المؤمنين المعتصم يقف على ذلك البناء خرج ذلك الرجل فترامى الى الارض وجعل يحث التراب على رأسه ويستغيث فسأله عن شأنه فقص عليه القصة فأرسل المعتصم في ذلك المقام خلف ذلك القائد وأغلظ عليه في القول فجعلته هيته له وقلة اقدامه

على الكذب له ان وصف له الصورة على ما كانت عليه وذو يضع أن
يعذره في ذلك اذ قد جعل لها من الصداق ما هو فوق قيمة قدرها وأمر
باحضار الشهود فصنعوا مثل صنيع صاحبهم وذلك كله رهبة له
واجلا لا أن يخاطبوه بكذب مع تخيلهم انه يصنع لهم عن هذه الزلة اذ قد
أرادوا احياء نفوس ذلك الوزير وأيضا قد دفع له بين يدي القاضي نقدا
لا يكون الا في صدقات الملوك وقد جعل لها من الصداق ما هو فوق قيمة
قدرها فكانت قد اخذها بجمعها وأبأ كثر من حقها فلما تحققت عنده
جلية الخبر أمر أن يصلب كل شاهد منهم على باب داره وأن يوضع ذلك
الوزير في جلد ثور طرى السليخ ويضرب بالمراب حتى يختلط عظمه
وحلمه بدمه ثم أمر به لما صنع به ذلك أن يفرغ بين يدي ثور كانت عنده
فلما لقت تلك الثور ذلك آدم أمر الرجل صاحب البنت أن يأخذ ابنته
ويأخذ كل ماذ كروا لها على ذلك الوزير في صداقها من عقار ودور ومال
ثم مات المعتد وولى ابنه المقتدر وكان صبي صغير السن فعادت الاتراك
الى ما كانت عليه من ذلك والله تعالى أعلم (ويقرب من شهامة
هذا الملك) ما ذكره في حياة الحيوان في ترجمة يعقوب بن يوسف
ابن عبد المؤمن صاحب بلاد المغرب بينه وبين الارقش نصراني
طليطلة مكاتبات قال بعث الارقش الى الامير يعقوب يتوعده ويتهده
ويطلب منه بعض حصون وكتب له رسالة من انشاء وزيره ابن الجبار
وهي باسمك اللهم فاطر السموات والارض وصلى الله على السيد المسيح
روح الله و كلمته انقضيح أما بعد فانه لا يخفى على ذي ذهن ناقد ولا ذى
عقل لازب انك أمير الملة الخنيفية كما اني أمير الملة النصرانية وقد علمت
ما عليه رؤساء الاندلس من التخاذل والذكول والنكاسل واعمالهم أمر
الرعية واخلادهم الى اراحة والامنية وأنا أسوسهم بحكم القهر

واخلاء الديار وسي الذراري وأمثل بالرجال وأذيقهم عذاب الهوان
وشديد النكال ولا عذر لك في التعلف عن نصرته -م اذا أمكنك
القدرة وساعدك من عسا كرك وجنودك كل ذي رأى وخبرة وأنتم
تزعمون ان الله تعالى قد فرض عليكم قتال عشرة مننا بواحد منكم
والا نزعف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا رجعة منه ونحن الا
نقاتل عشرة منكم بواحد منا لا نستطيعون دفاعا ولا تملكون امتناعا
ولقد حكي عنك انك أخذت في الاحتفال وأشرفت على ربوة القتال
وتماطل نفسك سنة بعد أخرى تقدم رجلا وتؤخر أخرى فلا ندري
أكان الجبن أبطاك أم التكذيب بما وعد بك ثم قيل لي انك لا تجهد
الى الجواز سيلا ولعله لا يسوغ لك التقيم فيه ميلا وما أنا أقول لك
ما فيه الراحة وأعتذر عنك ولك على أن تنفي باليهود والمواثق
والاستسكان من البرهان والاجتنب بحملتي اليك وأفاطك في أعز
الاماكن عليك فان كانت غنيمة كبيرة جاءت اليك وان كانت لي
كانت يدي العليا عليك والله الموفق للتقاق لارب غيبه ولاخير
الاخيرة قال فرزق يعقرب الكتاب وكتب على قطعة منه ارجع اليهم
فلما اتيتهم يجنود لا قبل لهم بها ولخرجتهم منها اذلة وهم صاغرون الجواب
ما ترى لا ما تسمع واستشهد بيت المتنبي

ولا كتب الا لمشرفية عنده * ولا رسله الا الخديس العرمرم
ثم أمر بكتب الاستغفار واستدعاء الجيوش من الامصار وضرب
السراقات من يومه بظاهر البلد وصار الى البحر المعروف بزقاق سبعة
فعبه فيه الى الاندلس ودخل الى بلاد الافرنج فكسروهم كسرة شفيعة
وعاد بغنائهم والله أعلم * (ومن غرائب المقول وعجائبه) *
عن الامير بدر الدين أبي المحاسن يوسف المهندي المعروف بمهندار

العرب انه قال حكى لي الامير محمد شجاع الدين الشيرازي متولى
القاهرة في أيام الكامل سنة ثلاثين وستمائة قال بنا عند رجل بالصعيد
فأكرمنا وكان الرجل شديد السمرة وهوشيج كثير فحضر له أولاد بيض
الوجه حسان الاشكال فقلنا له هؤلاء أولادك قال نعم ثم قال كأنكم
أنكرتم علي يا ائهم وسوادى قلما نعم فقال هؤلاء كانت أمهم أفرنجية
أخذتها أيام الملك الماهر صلاح الدين وأنا شاب فقلنا وكيف أخذتها
قال حديثي فيها عجيب وأمرى غريب فقلنا أتحفنا به فقال زرعت
كتابا في هذه البلدة وقلعته ونفضته فصرفت عليه خمسمائة دينار ثم
لم يبلغ الشمس أكثر من ذلك فجعلته للقاهرة لم يصل أكثر من ذلك فأشير
على محمله الى الشام فجعلته فلم يزد على تلك القيمة شيئا فوصلت به الى
عكة فبعت بعضه لاجل والبعض تركته واكثرية حانوتا لايبيع على
مهل الى أن تنقضى المدة فبينما أنا أبيع اذ مرت بي امرأة أفرنجية
ونساء الافرنج يمشون في الاسواق بلانقاب فأنت تشتري منى كتابا
فرايت من جمالها ما اهر في فبعنها وسامحتها ثم انصرفت وأنت لي بعد
أيام فبعنها وسامحتها أكثر من المرة الاولى فتكررت الى وعلمت اني
أحبا فقلت للجوز التي كانت معها اني قد تلفت بحبها وأريد منك
الحيلة فقالت لما للجوز ذلك فقالت تر وح أروا اخنا الثلاثة أنا وانت
وهو فأعادت علي الحواب فقلت لها أما أنا وقد سمحت بروحي في حبها
واتفق الحال علي أن أدفع لها الخمسين دينارا فوزنتها وسلمتها للجوز
فقالت نحن الائمة عندك فارفضيت وجهزت ما درت عليه من
مأكول ومشروب شمع وحي فجاءت الامرنية دأكلما وشرينا
وجن الليل ولم يبق غير اليوم فملت في نفس أباستحيه الله وأنت
غريب تعصى الله مع نصرانية الادم اني أشهدك اني دفعت عنها

في هذه الليلة حياة مناسا وخوفان عقابك ثم تمت الى الصبح فقامت من
 السرور وهي غضبانة رمضت ومضيت الى حانوتي فجلست فيه فاذا هي
 قد عبرت على والعجوز وهي مغضبة وكأنها القعر فهاكت وقلت
 في نفسي ومن هو أنت حتى تترك هذه البارعة في حسيها ثم لحقت
 العجوز وقلت لها ارجعي فقالت وحق المسيح ما أرجع لك الا بمائة
 أخرى فقلت نعم بسم الله فصيت فوزنت مائة دينار فلما حضرت الجارية
 عندي لحقتني الفكرة الارلى وعففت عنها وتركتها حياة من الله
 تعالى ثم مضت ومضيت الى موضعي ثم عبرت على بعد ذلك وقالت
 وحق المسيح ما عدت تفرج بي عندك الا بخمسمائة دينار أو تموت كما
 فارتعت لذلك وعزمت على اني أصرف ثمن الكتان جميعه فيمنما أنا
 كذلك والمنادى ينادى ما شر المسلمين ان الهدنة التي كانت بيننا
 وبينكم قد انقضت وقد أمهلنا من هنام المسلمين الى جمعة فانقطعت عني
 وأخذت في تحصيل ثمن الكتان الذي لي والمصالحة على ما بقي منه
 وأخذت معي بضاعة حسنة وخرجت من عكة وفي قلبي من الافرنجية
 ما فيه فودلت الى دمشق وبعث البضاعة بأوفي ثمن بسبب فراغ
 الهدنة ومن الله على بكسب وافر وأخذت أتجبر في الجوارى لعل
 يذهب ما بقلي من الافرنجية فمضت ثلاث سنين وجرى للملك الناصر
 ما جرى من وقعة حطين وأخذ جميع الملوك وقمع بلاد الساحل باذن
 الله تعالى فطلب مني جارية لامالك الناصر فأحضرت له جارية حسنة
 فاشترأها مني بمائة دينار فأوصلوا الى تسعين ديناراً وبقيت العشرة
 دنانير عنده فلم يجدها في خزانة المال في ذلك اليوم لانه أنفق جميع
 الاموال فلما حضرت الغنية جاؤا للملك فشا وروى على ذلك فقال امضوا
 به الى الخيمة التي فيها السبي من نساء الافرنج فخيروه في واحدة منهم

يأخذها بالعشرة دينار التي بقيت له فأتيته الخيمة فمعرفة غريمي فقلت
 أعطوني هذه الجارية فأخذتها ومضيت الى خيمتي وخلوت بها وقلت
 لها أتعرفيني قالت لا فقلت لها أنا صاحبك التاجر الذي جرى لي معك
 ماجرى وأخذتني من الذهب وقلت ما عدت ترائي عندك الا
 بمئة مائة دينار وقد أخذتلك مائة مائة دينار فقالت مديك
 أنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فأسلمت وحسن
 اسلامها فقلت والله لا وصلت اليها الا بأمر القاضي فتوجهت الى ابن
 شداد وحكيته له ماجرى فتعجب وعقد لي عليها وباتت تلك الليلة
 عندي فحملت مني ثم رحل العسكروا تيسار دمشق فبعد مدة يسيرة أرسل
 الملك يطلب الاسارى والسبايا باتفاق وقمع بين الملوك فردوا من كان
 أسيرا من الرجال والنساء وبقى الا التي عندك فطلبت مني فحضرت
 وقد تغير لوني فأحضرتها بين يدي الملك الناصر والرسول فقلت
 هذه أسلمت وصارت امرأتى فقال الملك الناصر بحضرة الرسول
 أترجعين الى بلادك أو الى زوجك فقد فككنا أسرك وأسرك غيرك
 فقالت يا مولانا السلطان أنا قد أسلمت ورجلت وهابطنى كما ترونه
 وليس لي رغبة في الرجوع الى بلادى ما رغبتى الا في الاسلام وزوجى
 فقال لها الرسول أيما أحب اليك هذا المسلم أو زوجك الأفرنجي
 فأطاعت عبادتها الاولى فقال الرسول لمن معه من الأفرنج اسمعوا
 كلامها ثم قال لي الرسول خذ زوجك وتوجه فوليته بها فطلبني
 ثانيا وقال ان أمها أرسلت معي كسوة وقالت ان ابنتي أسيرة وأشتهى
 أن توصل لها هذه الكسوة فسلمت الكسوة ومضيت الى الدار
 نهقت القماش فاذا هو قماشها بعينه قد سيرته لها أمها ووجدت
 داخله الصربى الذهب الخمسين دينارا والمائة دينار كما هي مربوطى

ولم يتغيرا وهؤلاء الاولاد منها وهي التي صنعت لكم هذا الطعام والله
أعلم (ويحكى ابن بضع الملوك) أرسل رجلا من بطانته الى
بعض الجهات ليعرف خبر عاملها ويطلعه بأخبار الرعية فلما وصل
الرجل فطن له العامل فأرسل اليه بمال وتحف ثم قال عرفت ما جئت
لدوا فأرغب اليك في كتاب تكتبه الى الملك تذكريه اني حسن السيرة
وسالك طريق العدل فان أنت فعلت ذلك فلن مني ما تشتهي رغبتك
اليه من الخير والعطاء وان أبيت ذلك أمرت الشرطين أن ينهوا الى من
أمرك في الملا ما يوجب قتلك اما حذا واما سياسة فأقتلك بمحض من
فاضى البلد ووجوه الناس فتذهب كما مس الماضي فلما لم يجد الرجل
بذامن موافقته ولم يكن ليخون مرسله كتب بحضرته كتابا الى الملك
أما بعد أعز الله الملك وأكرمه فاني قدمت الى مدينة كذا وكذا فوجدت
العامل فلانا آخذا بالحرز عاملا بالعزم قد ساوى بين رعيته وعدل
بينهم في أقضيته وأرضى بعضهم عن بعض وجعل طاعته عليهم فرضا
وأزله منزلة الاولاد وأذهب ما بينهم من الاحقاد وأراحهم من السعي
في الدنيا وفرغهم للعمل في الاخرى أغنى القاصد وأرضى الوارد فجميع
أهل علمه داعون للملك يودون الضراني وجهه الكريم والسلام فلما
وصل الكتاب منه الى الملك فكر فيه وقال لوزيره ان فلانا لم يكن عندي
بمهم فان كتابه هذا يدل على ظلم العامل فالتمس لي رجلا يصلح لعمله
فاني قد عزلته فقال الوزير أصلى الله الملك وكيف ذلك قال لان
قوله آخذا بالحرز عاملا بالعزم أي انه خائف مني لاعتدائه في الولاية
وأما قوله ساوى بين رعيته وعدل بينهم في أقضيته فعناء انه لم يخص
أحد بظلم بل الجميع سواء وقوله وأرضى بعضهم عن بعض أي ذهبت
أحقادهم لان الله أذهب أحقاد الاحقاد وقوله أزله منزلة الاولاد

معناه أخذ أموالهم ورأى انهاله أخذاً من قوله صلى الله عليه وسلم أنت
ومالك لا بينك وقوله وأراحهم من السعي في الدنيا معناه انه أخذ
أموالهم ولم يترك لهم ما يسعون به ولا ما به يتعبون وقوله نزعهم للعـمل
في الأخرى معناه انهم لم يتركوا المساجد والعبادة لفقرهم وقوله أغنى
الوارد وأرضى القاصد فانه يعني نفسه أى انه أعطاه ما لا يكتب
الى بذلك وأما قوله جميع أهل محله داعون لنا معناه أن يبصرنا الله
بأمرهم ونهـم على ما هم فيه وقوله يودون النظر لوجهنا أى يشكون
الينا ما لقوه منه ويستغيثون بنا ثم ان الملك طلب العامل وأحضره
الى بابه وأنصف الناس منه ورد عليهم ما كان العامل يطلبهم فيه
واقصص منه فيما وجب عليه فيه الفصا ص وقابله على أفعاله والله أعلم
(وهذه القصيدة الزينية)

صرت حبالك بعد وصلك زينب * والدهرفية — به تصرم وتقلب
فشرت ذوابها التي ترهبوها * سود ورأسك كالنغامة أشيب
واستغفرت لما رأتك وطال ما * كانت تحن الى لفاك وترغب
وكذلك وصل الغانيات فانه * آل بلة — عة وبرق خلب
فدع الصبا فلقد عدا ذلك زمانه * وازهد فعمرك مرمته الاطيب
ذهب الشباب فما له من عودة * وأتى المشيب فأين منه المهرب
دع عنك ما قد كان في زمن الصبا * واذا كرذلو بك وأبكها يا مذهب
واذكر مناقشة الحساب فانه * لا بد يحصى ما حنيت ويكتب
لم نفسه الملاك كان حين نسيت * بل أثبتاه وأنت لاه تلعب
والروح فيك وديعة أودعتها * ستردها بالرغم منك وتسلب
وغرور دنياك التي تسـمى لها * دار حقيقة — تها متاع يذهب
والليل فاعلم والنهار كلاهما * أنفاسه — نافيها تعدو ونحسب

وجميع ما خلفته وجمعتها * حقايقينا به — دموتك ينهب
 تبا لدار لا يدوم نعيمها * ومش — يدها عم قليل يخرب
 فاسمع هديت نصيحة أولا كها * بر نصوح للانام مجرب
 صعب الزمان وأهل مستبصرا * ورأى الامور بما أثرب وتعقب
 لا تأمن الدهر — راخوون فانه * مازال قدمه للرجال يؤذب
 وعواقب الايام في غصاتها * غصص يذل لها الاعز الانجب
 فعليك تقوى الله فانه تفرز * ان التقي هو البهي الا هيئ
 واعمل بطاعته تنل منه الرضا * ان المطيع لده له مقرب
 فاقنع في بعض القناعة راحة * والياس عاهات فهو المطلب
 فاذا طمعت كسيت ثوب مذلة * فلقه كسي ثوب المذلة أشعب
 وتوق من غدر النساء خيانة * فجميعهن مكائد لك تنصب
 لا تأمن الا نثى حياثك انها * كالا فعوان براع منه الانيب
 لا تأمن الا نثى زمانك كله * يوما ولو حلفت عينا تكذب
 تقرى بلين حديثها وكلامها * واذا سطت فهي الصقيل الاشطب
 وابدأ عدوك بالتحية ولتكن * منه — زمانك خائفات ترقب
 واحذر ان لا قيت — متبسمها * فاليث بدو نابه اذ يغضب
 ان العدو وان تقادم عهد * فالخقد باق في الصدور مغيب
 واذا الصديق رأته متملقا * فهو العدو وحقه يتجنب
 لا خير في ود امرء متملق * حملوا لسان وقلبه يتاهب
 يلفاك يملف انه بك واثق * واذا توارى عنك فهو العقر
 ينطيك من طرف اللسان حلاوة * ويروغ منك كما — وغ الثعلب
 وصل الكرام وان جفوك به قوة * فالصغح عنهم بالتجاوز أصوب
 واختر قرينك واصطفه تفاخرا * ان القرين الى المقارن ينسب

ان الغنى من الرجال مكرم * وتراه يبرجى ماله به ويرهب
 وبش بالترحيب عند قدومه * ويقام عند سلامه ويقرب
 والفقر شين للرجال فانه * حقاهون به الشريف الانسب
 واخفض جناحك للأقارب كلهم * بنذل واسمح لهم ان أذنبوا
 وذو الكذب فلا يكن لك صاحباً * ان الكذب يشين خلاصعب
 وزن الكلام اذا نعت ولا تكن * ثرثاره في كل ناد تخطب
 واحفظ لسانك واحترز من لفظه * فالمرء يسلم بالاسان ويعطى
 والسرفا كتمه ولا تنطق به * ان الرجاجة كسر هال يشعب
 وكذلك سر المرأة ان لم يطوه * نشرته ألسنة تزيد وتكذب
 لا تحرم من الفحرص ليس بزان * في الرزق بل يشقى الحريص ويتعب
 ويظل ملهوفاً يروم تحيلاً * والرزق ليس بحيلة يستعجل
 كعم عاجز في الناس يأتي رزقه * رغدا ويحرم كعيس ويخيّب
 وارع الأمانة والحيانة فاجنب * واعدل ولا تظلم يطيب المكسب
 واذا أمالك ذكبة فاصبر لها * من ذاريت مسلماً لا ينك
 واذا رميت من الزمان بريبة * أو مالك الأمر الا شق الأصعب
 فاضرع لهلك انه أدنى لمن * يدعو من جبل الوريد وأقرب
 كن ما استطعت عن الانام بعزل * ان الكثير من الوري لا يصعب
 واحذر من صاحبة الأثيم فانه * يعدى كما يعدى السليم الأجر
 واحذر من المظلوم سهماً ما نبأ * واعلم بأن دعاءه لا يحجب
 واذا رأيت الرزق عز ببلدة * وخشيت فيها أن يضيق المذهب
 فارحل فأرض الله واسعة الفضا * طولا وعرضا شرقها والمغرب
 ولقد نصحتك ان قبلت نصيحتي * فالصح أغلى ما يباع ويوهب
 انتهى من حياة الحيوان وما أحسن قول صالح بن عبد القدوس

المرء يجمع والزمان يفترق * ويظلم يرقع والخطوب تمزق
 ولان يعادى عاقلا خير له * من أن يكون له صديق أحق
 فارغب بنفسك ان تصادق احقا * ان الصديق على الصديق مصدق
 وزن الكلام اذا انطلقت فانما * يبدى عقول ذوى العقول المنطق
 ومن الرجال اذا استوت أحلامهم * من يستشار اذا استشير فيطرق
 حتى يحيل بكل واد قلبه * فيرى ويعرف ما يقول وينطق
 لا ألفيك ثابا في غربة * ان الغريب بكل سهم يرشق
 ما الناس الا عاملان فعامل * قدمات من عطش وآخر يفرق
 لو يرزقون الناس حسب عقولهم * الفيت أكثر ما ترى يتصدق
 لكنه فضل المليك عليهم * هذا عليه موسى مع ومضيق
 واذا الجنابة والعروس تلاقيا * ورأيت دمع نوائح يترقق
 سكت الذي تبع العروس مبهتا * ورأيت من تبع الجنابة ينطق
 واذا امره لسعته افعى مرة * تركته حين يحرجيل يفرق
 بى الذين اذا يقولوا يكذبوا * ومضى الذين اذا يقولوا يصدقوا
 * (وذكر ابن الجوزى فى الاذكار وغيره) * أن عمران بن حطان كان
 أحدا لحوارج وهو القائل بمدح عبد الرحمن بن ملجم المرادى لعنهما الله
 تعالى على قتل الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه
 يا ضربة من قتي ما أراد بها * الا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
 انى لا ذكره يوما فأحسبه * أو فى البرية عند الله ميزانا
 أكرم بقوم بطون الارض أقبرهم * لم يخطوا ديارهم بغيا وعدوانا
 فبلغت القاضي أبا الطيب الطبرى رحمه الله هذه الايات فقال بحمىاله
 انى لا برة مما أنت فائله * فى ابن ملجم الملعون بهتانا
 انى لا ذكره يوما فالعنه * دنيا والعن عمران بن حطانا

عليك ثم عليه الدهر متصلا * لعائن الله اسراراً واعلانا
فأتمت من كلاب النار جاء لنا * فص الشريعة برهاناً وتبياناً
أشار أبو الطيب رحمه الله إلى قوله صلى الله عليه وسلم الخوارج كلاب
النار انتهى من حياة الحيوان ومنه ما روى عن نافع عن ابن عمر رضي
الله عنه قال جاءوا برجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فشهدوا عليه أنه
سرق ناقة لهم فأمر به النبي صلى الله عليه وسلم أن يقطع فولى الرجل وهو
يقول اللهم صل على محمد حتى لا يبقى من صلاحك شيء وبارك على محمد
حتى لا يبقى من بركاتك شيء وسلم على محمد حتى لا يبقى من سلامك
شيء فتكلم الجبل وقال يا محمد انه بريء من سرقتي فقال النبي
صلى الله عليه وسلم من يأتيني بالرجل فابتدره سبعون من أهل بدر
فجاءوا به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا هذا ما قلت آتفا فأخبره
بما قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم لذلك نظرت الملائكة يخترقون
سكك المدينة حتى كادوا يحولون يدي وبينك ثم قال النبي صلى الله عليه
وسلم لتردن على الصراط ووجهك أضوء من القمر ليلة البدر انتهى
وهذه القصيدة يقال انها لامير المؤمنين الرضا بالله

زيادة المـراء في دنياه نقصان * ورجحه غير محض الخير خسران
وكل وجدان حظاً لا ثبات له * فان معناه في التحقيق فقدان
يا عامراً لخرب العمر مجتهداً * بالله هل لخراب الدهر عمران
ويا حريصاً على الأموال يجمعها * أنسيت أن سرور المال أحران
دع الفؤاد عن الدنيا وزخرفها * فصغوها كدر والوصل هجران
احسن إلى الناس تستعبد قلوبهم * فطال ما استعبد الإنسان احسان
وكن على الدهر معوا نالذي أمل * يرجو نذاك فان الحر معوان
من جاد المال مال الناس فاطبة * إليه والمال للانسان قتان

من كان للخير منافع ليس له * عند الخليفة أخذان واخوان
 لا تحشدن بمطل وجه عارفه * فالبر يخذشه مطل وامنان
 حسب الفتي عقله خلايعاشره * اذا تجافاه اخوان وخـ لان
 لا تستشر غير شخص حازم فطن * قد استوت منه اسرار واعلان
 فالتدبير فرسان اداركضوا * فيها أبرواكم للحرب فرسان
 ورافو الرقي في كل الامور لم * يندم رفيق ولم يذمه انسان
 ولا يكن عجلا للامر تطلبه * فلم تجدد قبل حجر العجرجران
 هم ارضيها لبان حكمة وثقي * وساكنها وطن مال وطغيان
 من مدبر فافطرط اهل محروى * غطى على الحق يوما وهو حرمان
 من اشتد اصروف الدهر فام له * على حقيقة طبع الدهر برهان
 من عاشر الناس لاقى منهم مودبا * لان طبعهمو بنى وعدوان
 ومن يفتش عن الاخوان محتدا * فجل اخوان هذا الدهر خزان
 من يزرع الشر يحصد في عواقبه * ندامة ولحصـ دالزرع ابلان
 من استنم الى الاشجار نام وفي * قميصه منهـ مـ مل وتعبان
 من سالم الناس يسلم من دوائهم * وعاش وهو قدير العبين فرحان
 وان أساء مسيء فلك في * عروض رلتـه عفو وغفران
 اذ انأى بكريم موطن فله * وراءه في بساط الارض أو طان
 لا تحسدـ بن سرورا دائما بدا * من سره زمن ساءتـه أزمان
 يا ظالم افرح بالعـ زساعده * ان كنت في سنة فالدهر يقفان
 يا أيها العالم المرضى سـ يـ رته * أبشر فانت بغير الماء ريان
 دع التكاثر في الخيرات تغلبها * فكل حرج الوجه صوان
 لا تحسب الناس طبعاً واحدا فليـم * غوائر ليس يحصين انسان
 من استعان بغير الله في طلب * فان ناصره عجز وخذلان

فاشد يدك بجمل الله معصما * فانه الركن ان خانتك أركان
لا ظل للمرء يغنى عن ثناورضى * وان أطلته أوراق وأفنان
يارافلا في ثياب المال منتشيا * من كاسه فاقد الارشد نشوان
لا تغترر بشباب فاخر خضر * فكم تقدم قبل الشيب شبان
ويا أبا الشيب لو ناحت نفسك لم * يكن لملك في الاشراق اخوان
هب الشيبة تبدى عذر صاحبها * ما بال شيبك يستويه شيطان
كل الذنوب فان الله يغفرها * ان شيع لمرء اخلاص وايمان
وكل كسر فان الله يحبره * وما لكسر قناة الدين جبران
خذها سرائر أمثال هذبة * فيها لمن يتبغى التبيان تبيان
ما ضر حسانها والطبع صائفها * ان يصنفها في قريع الدهر حسان
وذيل عليها بعضهم فقال

وكن لسنة خير الخلق متبعا * فانها لنجاة العبد أعوان
فهو الذي شمت للخلق أنعمه * وعمهم منه في الدارين احسان
ومن أتى أبصرت عى القلوب به * سبل الهدى وودت للحق آذان
حينه قمر قد زانه خضر * ونعـره درر غرور مرجان
فالبدر ينجبل من أنوار هجته * والشمس من حسنه الوهاج تزدان
به توسلا في محـوزلنا * لربنا انه ذو الجود منان
يارب مل عليه ما هـا مطر * فأينعت منه أوراق وأغصان
وابعت اليه سلا ما زكا عطرا * والال والصهب لا يقنيه أزمان
وعن حماد الراوية قال كنت مع المولى بن عبد الملك فلما ولى أخوه يزيد
الخلافة هربت الى الكوفة فينما أنا في المسجد الاعظم اذا ناني رسول
محمد بن يوسف الثقفي وقال أجب الامير فدخلت عليه فقال ورد كتاب
امير المؤمنين على بيمك اليه وبالباب نجحان فاركب أحدهما ودفع اليه

كيسافيه ألف دينار وقال هذه نفقة لمنزلك فدخلت دمشق في اليوم
 الثامن واستأذن على الرسول فدخلت عليه فاذا هو جالس في دار
 مبلطة بالرخام الأحمر وفيها سراق خراجر في وسط قبة حمراء من حر
 وفرشها وكل ما فيها أحمر وعلى رأسه جارية تان عليه ما ثياب حمريه
 واحدة منهما ابريق وفي احدى يدي الاخرى نبيذ أحمر وفي اليد
 الاخرى نبيذ أبيض فلما واجهته سلمت عليه بالخلابة فرد على السلام
 وقال ادن يا حماد أتدرى فيما بعثت اليك قلت لا يا أمير المؤمنين قال
 في بيت شعر ذهب عنى أوله قلت من أى عروض أو قافية قال لا أدري
 الا أنه بيت فيه ابريق فقلت في نفسي ان لم تعصن الرواية يوما فالآن
 ففكرت ساعة ثم قلت نعم يا أمير المؤمنين لعلمه قول التبع اليماني
 بكر العاذلون في وضع الصبح * يقولون لى ألا تستفيق
 ويلومون فيك يا بنت عبدالله * والقلب عندكم موثوق
 لست أدري اذا كثر العذل فيه * أعدو يلومنى أبو صديق
 ودعوا بالصبح صباحا قامت * قينة في يمينها ابريق
 فصاح يزيد وقال هو والله الشعر بعينه وشرب وقال يا جارية أسقيه
 فسقتنى كما سأذهب ثلث عقلى ثم استعاد الشعر وشرب وقال أسقيه
 فسقتنى فقلت يا أمير المؤمنين ذهب ثلثا عقلى فقال سل حاجتك قبل
 أن يذهب الثلث الاخير فقلت احدى الجاريتين فقال هالك وما لهما
 وما عليهما ومائة ألف تحسن بهما سيرك ثم ناوتنى الجارية كاسا
 فشربتها وانصرفت ونهضت وقد ذهب عقلى فعدلت الى دار الضيافة
 فانتبهت آخر الليل واذا بشمع يقد والجارية تان برمان الامتعة والبغال
 تحمل ما لهما من أثاث وغيره وأصبحت قبضت المال وانصرفت وأنا
 يسر أهل الكوفة انتهى ولما وقف الشيخ تقي الدين بن حجة رحمه الله

على هذه الحكاية قال انظروا لها المتأدب الى اتفاق عظيم الادب
في ذلك الارب وبشهادة الله أن البيت الذي طلب حماد الرواية بسببه
من العراق الى دمشق وأجيز عليه الجاريتين والمائة ألف تأنف نفسي
أن أذنه في سلك قصيدة من قصائدي وهو هذا البيت

ودعوا بالصبح صبحاً قامت * قيمة في عينيها ابريق

وكنت أريد أن أكون في ذلك العصر ويسمع يزيد بن عبد الملك من
نظمي في هذا الباب وهو قولي

في ليلة رقم البدر المير لها * طاراله بعضى الجوزاء تقرأت
وبان لي من لماها حين تبسم لي * فسوق الاثنا درو عبقرات
والراح دبت على فهمي فصورها * لكن لها صاغ في الكاسات ففحات
كانت علامات تحقيقي فقال في * هي المازل لي فيها علامات
مذا نسا نسا هعنا في محاسنها * مغردن وللانشاء سجعات
هذا وأواه كاساتي قد ابتسمت * لما حبتها نغسور لؤلؤيات
ومن يقل حركات الدهر ما سكنت * فالحجاب على التمسكين جرعات
والطف من ذلك ما حكاه محمد بن يزيد المبرد قال كان أبو عثمان المازني
قد جاء اليه يهودى وسأله أن يقرء كتاب سيديوه وبذل له مائة دينار
فامتنع أبو عثمان من ذلك فقلت له سبحان الله ترد مائة دينار مع فائقك
وحاجتك الى درهم واحد فقال نعم يا أبا العباس اعلم أن كتاب سيديوه
يشتمل على ثلاثمائة آية من كتاب الله ولا أرى أن أمكن منها كافراً
فسكت ولم أنهكلم قال المبرد فما مضت الايام حتى جلس الواثق يوماً
للشرب وحضر ندماءه فغيت جارية في المجلس هذا الشعر
أطلوم ان مصايكم رجلاً * أهدي السلام تحية ظلم
فنصبت رجلاً فلحنها بعض الحاضرين من المدماء وقال الصواب الرنع

لانه خبران فقالت الجارية ما حفظته من معلمي الا هكذا ثم وقع النزاع
 بين الجماعة فمن القائل الصواب معه ومن القائل الصواب معها فقال
 الواثق من بالعرفان من أهل العربية ممن يرجع اليه فقالوا بالبصرة
 أبو عثمان المازني وهو اليوم واحد عصره في هذا العلم فقال الواثق
 اكتبوا الي والينا بالبصرة بسيره الينا معظم ما مجلدا فاما كان الايام حتى
 وصل الكتاب الى البصرة فأمر الوالي أبا عثمان بالتوجه وسيره على
 بغسال البريد فلما وصل دخل على الواثق فرفع مجلسه وراد في اكرامه
 وعرض عليه البيت فقال الصواب مع الجارية ولا يجوز في رجل غير
 المصعب لان مصاب مصدر بمعنى الاصابة ورجلا منصوب به والمعنى ان
 أصاب بكم رجلا أهدي السلام تحية طلم فظلم خبران ولا يتم الكلام
 الا به ففهم الواثق كلام أبي عثمان وعلم أن الحق ما قاله وأعجب به
 وادعطع الرجل الذي كان أنكر على الجارية ثم أمر الواثق لابي عثمان
 المازني بألف دينار وأتحفه بتعف وهذا يا كشيخة لاهله ووهبت له
 الجارية جملة أخرى ثم سيره الى بلده مكرما فلما وصل جاءه المبرد فقال له
 أبو عثمان كيف رأيت يا أبا العباس تركت لله مائة فعوضني ألفا فقال
 المبرد من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه انتهى وعن أنس رضي الله
 عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت الله الاسم الاعظم
 فجاءني جبريل به مختوما وهو اللهم اني أسألك بالاسم المخزون المكنون
 الطاهر الطاهر المطهر المقدس المبارك الحى القيوم قالت عائشة بأبي
 وأمي علمنيه فقال يا عائشة نهينا عن تعليمه النساء والصبيان والسفهاء
 انتهى فائدة كان أبو محمد عبد الله بن يحيى الصنيعي من أصحاب الامام
 الشافعي وكان اماما صالحا عالما من أهل اليمن من أقران صاحب البيان
 من تصنيفه احترازا للمذهب والتعريف في الفقه روى أن ناسا ضربوه

بالسيوف ولم تقطع سيوفهم فيه فسئل عن ذلك فقال كنت أقرأ
 ولا يؤذنه حفظهما وهو العلي العظيم فالله خير حفظا وهو أرحم الراحمين
 له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله أنا نحن نزلنا
 الذكروا ناله لحافظون وحفظنا ما من كل شيطان رجيم وحفظنا من كل
 شيطان ما ردد وحفظنا ذلك تقدرا للعزیز العليم أن كل نفس لما عليها حافظ
 أن بطش ربك لشديد إلى آخر السورة وينبغي أن يزداد فيها أن ربي على
 كل شيء حفيظ ثم قال كنت خرجت يوما مع جماعة فرأيت ذئبا
 يلعب شاة عجفاء ولا يضرها بشيء فلما دوننا منه نفرما الذئب فوجدنا
 في عنق الشاة كما بامر بوطانيه هذه الآيات المقدمة انتهى (قائدة)
 قال معاذ بن جبل احتبس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة
 عن صلاة الصبح حتى كدنا نرا أي عين الشمس فخرج سريعا فتوب
 بالصلاة فصلى وتجاوز في صلاته فلما سلم دعا بصوته فقال للناس على
 مصافكم كما أنتم ثم انفل الياف قال أما إلى سأحدثكم ما حدثني عنكم
 الغداة أني قمت من الليل فتوسأت وصليت ما قدر لي فمعت في صلاتي
 حتى استثقلت فاذا أنا بربي تعالى في أحسن صورة فقال يا محمد فقلت
 ليلى يا رب قال فيم يختصم الملاء الأعلى قلت رب لأدري قال تعالى
 في الكفارات والدرجات وفي رواية قلت في الكفارات والدرجات
 قال فهان قلت مشي الاقدام إلى الجماعات والجلوس في المساجد بعد
 الصلوات واسباغ الوضوء على المكارهات قال ثم فيم قلت اطعام
 الطعام ولين الكلام والصلاة بالليل والناس نيام قال سل قلت اللهم
 اني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وان تغفر لي
 وترحمني واذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني اليك غير مفتون أسألك
 حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يقربني إلى حبك فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه الحق فادرسوها ثم تعلموها قال
 أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى من حياة الحيوان في حرف
 النون قال ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك فقال هو أخفى
 فيكم من ديب النمل وسأدلك على شيء إذا فعلته أذهب الله عنك صغار
 الشرك وكباره تقول اللهم اني أعوذ بك أن أشرك بك شيئا وأنا أعلم
 وأستغفرك لما لا أعلم انك أنت علام الغيوب تقولها ثلاث مرات
 انتهى (فائدة) إذا علقت عين المدهد على صاحب النسيان ذكر
 ما نسيه ودمه إذا قطر في البياض العارض في العين أذهبه وروى أحمد
 والبرار ورجال أحمد ثقة من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم رأى رجلا يشرب قائما فقال أيسرك أن يشرب معك المهر
 قال لا قال فقد شرب معك الشيطان وفي تاريخ ابن النجار في ترجمة
 محمد بن عمر الحبلي عن أنس بن مالك قال كنت جالسا عند عائشة
 رضي الله عنها أبشرها بالبراءة فقالت والله لقد هممت في القريب والبعيد
 حتى هجرتني الهرة وما عرض على طعام ولا شراب فكنت أرقد وأنا
 جائعة فرأيت في منامي فتى فقال مالك خزينة فقلت بماذا كرا الناس
 فقال ادعي بهذه يفرج الله عنك فقلت وما هي قال قولي دعاء الفرج
 يا سابع النعم ويا دافع النقم ويا فارج النعم ويا كاشف الظلم ويا عدل
 من حكم ويا حسيب من ظلم ويا ولي من ظلم ويا أول بلا بداية ويا آخر
 بلا نهاية ويا من له اسم بلا كنية اجعل لي من أمري فرجا مخرجنا قالت
 فأنتهت وأتت أريانة شعبانة وقد أنزل الله براءتي وجاءني الفرج انتهى
 من حياة الحيوان وهذا الدعاء روى الطبراني بإسناد صحيح قطعة منه
 عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم مربأ عرابي وهو يدعو في صلاته
 يقول يا من لا تراهم العيون ولا تتخالطه الظنون ولا يصفه الواصفون

ولا تغيره الحوادث ولا يخشى الدوائر يعلم مشاقيل الجبال ومكايل
 البحار وعدد قطر الامطار وعدد ورق الاشجار وعدد ما أنظم عليه
 الليل وأشرف عليه النهار ولا توارى منه سماء سماء ولا أرض أرضا
 ولا بحر الا ويعلم ما في قعره ولا جبل الا يعلم ما في وعره اجعل اللهم خير
 عمري آخره وخير عملي خواتيمه وخيرا يامى يوم لقائك فوكل النبي
 صلى الله عليه وسلم بالاعرابي رجلا فعال اذا صلى فأنتى به فلما سلى أتاه به
 وقد كان أهدي للنبي صلى الله عليه وسلم ذهب من بعض المعادن فلما
 أتى الاعرابي وهب له الذهب وقال من أنت أيها الاعرابي قال من بنى
 عامر من صغصة فقال صلى الله عليه وسلم هل تدري لم وهبت لك هذا
 الذهب قال للرحم النبي بيننا وبينك يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم
 ان للرحم حقا ولكن وهبت لك الذهب لحسن ثنائك على الله عز وجل
 انتهى من حرف الطاء وفي كتاب ثمار القلوب للثعالبي في الباب
 الثالث عشر منه أن الملك بهرام حور لم يكن في النجم أرمي منه (ومن
 غريب ما تنقل) أنه خرج يوما يصيد على جل وقد أرف جارية
 يعشقها فعرضت له طباء فقال للجارية في أى موضع تريد أن أضع هذا
 السهم من هذه الطباء قالت أريد أن تشبه ذكرا انها مائناها وائناها
 بذكرا انها ارمى طبيا ذكرا بنشابة ذات شعبتين فاقتلع قرنيه ورمى طمية
 بنشابتين أثبتهما في موضع القرنين ثم سأله أن يجمع ظلف الظبي
 وأذنه بنشابة واحدة فرمى أذن الظبي بندقه فلما أهوى بيده الى أذنه
 ليحلق رماه بنشابة فوصل أذنه بظلفه ثم أهوى الى الجارية مع هواها
 فرمى بها الى الارض وأوطأها الجملة بسبب ما اشتربت عليه وقال
 ما أردت الا اطهار عجزى فلم تلبث الا يسيرا وماتت انتهى احكامه
 في القطا يقال نزل عمرو بن أمامة على قوم من مراد فطرقوه ليلا فأناروا

من أماكنها فرأتها امرأة يقال لها حذام فلما رأت النسل طار ليليا
 نهت زوجها مع رجال من قومها فقالت لهم لو ترك القط ليليا لنام فلم
 يلتفتوا الى قولها وأخذوا الى مضاجعهم فقام رجل منهم وقال
 اذا قالت حذام فصدقوها * فان القول ما قالت حذام
 ففزع القوم والتجوا الى واد قريب منهم واعتصموا به حتى أصبحوا
 وامتنعوا من عدوهم فصرب به المثل انتهى بتقديم وتأخير وعن أبي
 جعفر الخالدي قال ودعت أبا الحسن الصغير المدني فقلت له زدوني شيئا
 فقال اذا ضاع منك شيء وأردت أن يجتمع الله بينك وبين ذلك الشيء
 أو ذلك الانسان فقل يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخاف
 الميعاد اجمع بيني وبين كذا فان الله تعالى يجمع بينك وبين ذلك الشيء
 أو ذلك الانسان انتهى من حرف الالف وهذه أبيات

لصيد اللحم في البحر * وصيد الاسد في البر
 وقضم الثلج في القبر * ونقل الصخر في الحر
 واقدام على موت * وتحويل الى القبر
 لاشهي من طلاب العر * فممن عاش في الفقر

وقوله اللحم بضم اللام واسكان الحاء المعجمة ضرب من السمك ضعف
 يقال له الكوسج وهو القرش انتهى من حياة الحيوان في حرف اللام
 * (وذكر بعض أهل التواريخ) * ان ملكا من الملوك خرج يدور
 في ملكه فوصل الى قرية عظيمة فدخلها منفردا فأخذ العطش فوقف
 بساب دار من دور القرية وطلب ماء فخرجت اليه امرأة جميلة بكموز ماء
 وناولته اياه فلما نظر لها افتتن بها فراودها عن نفسها وكانت المرأة
 عارفة به فعملت انها لا تقدر على الامتناع منه فدخلت وأخرجت له
 كتابا وقالت له انظر في هذا الكتاب الى أن أصلح من أمرى ما تحب

وأعوذ فأخذ الملائكة الكتاب ونظروا فيه واذلغوه الزجر عن الزنا وما أعد
الله تعالى لفاعله من العذاب الاليم فاقشع رجله ونوى التوبة وصاح
بالمرأة وأعطاهما الكتاب ومرداهما وكان زوج المرأة غائبا فلما حضر
أخبرته الخبر فتعير في نفسه وخاف أن يكون قد وقع غرض الملك فيها فلم
ينبأس على وطئها بعد ذلك ومكث على ذلك مدة فأعلمت المرأة أفاربها
بجملها مع زوجها فرفعوه الى الملك فلما مثل بين يدي الملك قال أفارب
المرأة أعز الله مولانا الملك ان هذا الرجل قد اسنأجر منا أرضا للزراعة
فزرعها مدة ثم عطلها فلا هو يزرعها ولا هو يتركها الشجرها من هو
يزرعها وقد حصل الضرر للأرض ونخاف فسادها بسبب التعطيل
لأن الأرض اذا لم تزرع فسدت فقال الملك لزوج المرأة ما يمنعك من
زرع أرضك فقال أعز الله مولانا الملك انه قد بلغني ان الاسد قد دخل
أرضي وقد هبته ولم أقدر على الدنومنها العلي بأنه لا طاقة لي بالاسد ففهم
الملك القصة فقال له يا هذا ان أرضك طيبة صالحة للزراعة فازرعها
بارك الله لك فيها فان الاسد لن يعود اليها ثم أمر له ولزوجته بصلة
حسنة وصرفه انتهى من حرف الالف (فائدة) الفرزدق اسمه
همام بن غالب والفرزدق لقب غلب عليه والفرزدق قطع العجين
الواحدة فرزدقة ولقب به لعظمه وقصره انتهى (فائدة عظيمة) قال
الاطباء اذا أردت أن تعلم ان المرأة عقيم أم لا فرها أن تهمل بشومة
في قطنه وتمكث سبع ساعات فان فاح من فهارثحة الشوم فعالجها
بالادوية فانها تحمل باذن الله تعالى والا فلا مجربة في ذلك والله أعلم
(فائدة) قال شيخ الاسلام عبي الدين الدويري في أذكاره في باب
أذكار المسافر عند ارادته الخروج من بيته يستحب له عند ارادة
الخروج أن يصلي ركعتين لحديث المطعم بن المقدام الصحابي رضي الله

عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما خلف أمة عند أهله
 أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد السفر رواه التبراني وقال
 في تيممة أخرى قال الشيخ قطب الدين القسطلاني مما حفظت من والدي
 أم محمد آمنة وكانت وفاتها في صفر سنة ست وخمسين وستمائة اللهم
 بتلاؤ نورهم اجب عرشك من أعدائي احتجبت وبسطوة الجبروت
 ممن يكيدني استترت وبطول حول جيب عرشك من أعدائي احتجبت
 وبشديد قوتك من كل سلطان تحصنت وبديموم قيوم دوام أبد سنك
 من كل شيطان استعذت وبمكنون السر من سر سررك من كل هم وغم
 تخلصت يا حامل العرش عن جملة العرش يا شديد البطش يا حابس
 الطير والوحش احبس عني من ظلمي واغلب من غلبي كتب الله
 لا غلبن أنا ورسلي أن الله قوي عزيز انتهى وقال الشيخ قطب الدين
 ومما حفظته من دعاء والدي من الأدعية التي تنفع في الحجب عن
 الأعداء اللهم بسر الذات وبذات السر هو أنت أنت هولا له الأنت
 احتجبت بنور الله ونور عرش الله وبكل اسم الله من عدوي وعدو
 الله بألف ألف لا حول ولا قوة إلا بالله ختمت على نفسي وديني وأهلي
 ومالي وولدي وجميع ما أعطاني ربي بخاتم الله القدوس المنيع الذي
 ختم به أقطار السموات والأرض حسبنا الله ونعم الوكيل حسبنا الله
 ونعم الوكيل حسبنا الله ونعم الوكيل وقال الكسائي دخلت على
 الوليد ذات يوم وهو في أيوانه وبين يديه مال كثير قد أمر بتفرقة على
 خدمه الخاصة وبيده درهم تالوح كتابته وهو يتأمله وكان كثيرا
 ما يجثني فقال هل علمت أول من سن هذه الكتابة في الذهب والفضة
 قلت هو ياسيدي عبد الملك بن مروان قال فما كان السبب في ذلك قلت
 لا أعلم غير أنه أول من أحدث هذه الكتابة قال سأخبرك كانت

القراطيس للروم وكان أكثر من بمصر فصرانيا على دين ملك الروم
 وكانت تطرز بالرومية وكان طرازها أبوانسا وزوجة وبنتا فلم يزل
 كذلك صدر الاسلام كله يمضي على ما كان عليه الى ان ملك عبد الملك
 فتنبه له وكان فطنا فيهما هو ذات يوم جالس اذ مر به قرطاس فنظر الى
 طرازه فأمر أن يترجم بالعربية ففعل ذلك فأسكره وقال ما أعظم هذا
 في دين الاسلام أن يكون طراز القراطيس هكذا وهي تعمل في الاواني
 والسياب وهما يعلمان بمصر وغير ذلك مما يطرر من ستور وغيرهما من
 عمل هذا البلد فأمر بالكتاب الى عبد العزيز بن مروان وكان عامله بمصر
 بأبطال تلك الطراز الذي يعمل على السياب والقراطيس والمستور وغير
 ذلك وأن تعمل صنائع القراطيس صورة التوحيد وشهد الله انه لا اله
 الا هو وهذا طراز القراطيس خاصة الى هذا الوقت ولم ينقص ولم يزد ولم
 يتغير وكتب الى عمال الافاق جميعا بأبطال ما في أعمالهم من القراطيس
 المضرة بضرار الروم ومعاقبة من وجد عنده بعد هذا النهي شيء منه
 بالضرب الوجيع والحبس الطويل بعد ما أثبت القراطيس بالضرار
 المحدث بالنموحيد وحمل الى بلاد الروم منها وانتشر خبرها ووصل الى
 ملكهم فترجم له ذلك الطراز أسكروه وعظم عليه واستشاط غيظا
 فكتب الى عبد الملك اني أعمل القراطيس بمصر وسائر ما يطرز هناك
 للروم ولم يزل تطرز بطراز الروم الى ان ابطلته فان كان من تقدمك من
 الخلفاء قد أصاب فقد أخطأت وان كنت قد أصبت فقد أخطأ وأفختر
 من هاتين الخلتين أيهما شئت وأحببت وقد بعثت اليك هدية تليق
 بمحلك وأحببت أن ترد طرز تلك القراطيس الى ما كان عليه وجميع
 ما كان يصارؤلا لشكرك عليهم وأمر بقبض الهدية وكانت عظيمة
 القدر فلما قرأ عبد الملك كتابه رد الرسول وأعلمه انه لا جواب له

ورد الهدية فانصرف بها الى صاحبه فلما وافاه اضعف الهدية ورد
 الرسول الى عبد الملك وقال اني ظننت انك استقلت الهدية فلم تقبلها
 ولم تجبني الى كتابي فاضعفت الهدية وانا ارجب اليك الى مثل ما رغبت
 فيه أولا من رد الطراز الى ما كان عليه أولا فقرأ عبد الملك الكتاب
 ولم يجبه ورد الهدية فكسب اليه ملك الروم كتابا يقتضي اجوبة كتبه
 ويقول انك قد استخفيت بجوابي وهديتي ولم تسعني بحاجتي فتوهمتك
 استقلت الهدية فاضعفتها فجدت في سبيلك الاول وقد اضعفتها لك
 ثالثا وانا اخطف بالمسيح لتأمرن برد الطراز الى ما كان عليه أولا من
 بنقش الدراهم والدنانير فانك تعلم انه لا ينقش شيء منها الا ما ينقش
 في بلادى ولم أر الدنانير والدراهم نقشت في بلاد الاسلام فننقش عليها
 شتم نبيك فاذا قرأته ارفض جبينك عرفا واحببت ان تقبل هديتي
 وترد الطراز الى ما كان عليه اول الامر وكنت هدية بررتني بها وبتقي
 الامر بيني وبينك فلما قرأ عبد الملك الكتاب صعب عليه وعظم وضائق
 به الارض وقال احسن بني أشأم مولود ولد في الاسلام لاني جنيت على
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من شتم هذا الكافر ما يبق الى ابد الدهر
 ولا يمكن محوه من جميع مملكة العرب اذا كانت المعاملات تدور بين
 الناس بدنانير الروم ودراهمهم فجمع أهل الاسلام واستشارهم فلم يجد
 عندهم رأيا يعمل به فقال له روح بن زساع الثالثة علم المخرج من هذا
 الامر ولكم متعمد تركه فقال ويحك لم قال عليك بالباقر من آل
 بيت النبي صلى الله عليه وسلم قال صدقت ويمكنه يا روح الرأي فيه قال
 نعم فكسب الى عامله بالمدينة أن أرسل الى علي بن الحسين مكرما
 ومتمعه بمائة ألف درهم لجهازه وثلاثمائة درهم لنفقته وأرج عليه
 في جهازه وجهه ازم يخرج معه من أصحابه وجيش الرسول قبله الى

موافة على فلما وافاه أخبره الخبر فقال له على رضى الله عنه لا يعظم على
هذا ولا عليك فانه ليس بشئ من جهتين أحدهما ان الله عز وجل لم يكن
ليطلق ما يدبه صاحب الروم في رسول الله صلى الله عليه وسلم تدعو
في هذا الوقت بصناع يضربون سككاً للدرهم والدنانير وتجعل النقش
عليها صورة التوحيد وذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدهما
في وجه الدرهم أو الدينار والآخرى في الوجه الثاني وتجعل في وجه
الدرهم أو الدينار ذكر البلد الذي يضرب فيه والسنة التي تضرب فيها
سكك الدراهم والدنانير وتعمد الى وزن ثلاثين درهما عدداً من الثلاثة
أصناف التي العشرة منها وزن عشرة مثاقيل وعشرة منها وزن ست
مثاقيل وعشرة منها وزن خمسة مثاقيل فتكون أوزانها جميعاً إحدى
وعشرين مثقالاً فتحرثها من الثلاثين فيصير العمدية من الجميع وزن
سبعة مثاقيل وكانت الدراهم في ذلك الوقت انما هي الكسروية التي
يقال لها اليوم البغلية لان رأس البغل ضربها العمر بن الخطاب رضى
الله عنه بسكة كسروية في الاسلام مكتوب عليها صورة الملك وتحت
الكروية مكتوب بانغارسية بوس خرامى كل هنياً وكان الدرهم قبل
الاسلام مثقالاً والدرهم الذي كان وزن العشرة منها وزن ستة مثاقيل
والعشرون التي وزنها خمسة مثاقيل هم السهرية الخفاف والمثقال
نقشها نقش فارس ففعل ذلك عبد الملك وأمر على بن الحسين رضى الله
عنه أن يكتب السكة في جميع بلدان الاسلام وأن يتقدم الناس
بالتعامل وأن يتهدد بقتل من تعامل بغير هذا من الدراهم والدنانير
وغيرها وان تبطل وترد الى مواضع العمل حتى تعاد الى السكة
الاسلامية ففعل عبد الملك ذلك ورد رسول ملك الروم اليه بذلك
ويقول ان الله عز وجل مانعك مما قد أردت أن تفعله وقد نفذت الى عمالي

في أفعار البلاد بكذا وكذا وبإبطال السكك والطرار الرومية فقبل
 الملك الروم أفعلا ما كنت تهدد به ملك العرب فقال إنما أردت أن أغيظه
 بما كتبت إليه لاني كنت قادر عليه بالمال وغيره ورسوم الروم فاما
 الآن فلا أفعل لأن ذلك لا يتعامل به أهل الاسلام وأمتنع من الذي
 قال وثبط مما أشار به علي بن الحسين رضي الله عنهما إلى اليوم ثم روى
 يعني الوليد بالدرهم إلى بعض الخدم انتهى من حياة الحيوان وقال نصر
 الله بن مجلي وكان من الثقات وأهل السنة رأيت علي بن أبي طالب
 رضي الله عنه في المنام فقلت يا أمير المؤمنين تفهون مكة ويقولون من
 دخل دار أبي سفيان فهو آمن ثم يتم علي ولدك الحسين ماتم فقال أما
 سمعت أبيات ابن الصفي في هذا قلت لا قال اسمعها منه ثم اتبعت
 فبادرت إلى دار حيص بيض فذكرت له الرويا فشق وبكى وحلف بالله
 لم يخرج من فيه أو خطه لاحد وما نظمها الا في ليلته ثم أنشدني

ملكنا فكان العفو مناسحية ❦ فلما مكتم سال بالدم أبطح
 وحلتم قتل الاسارى وطال ما ❦ غدونا عن الاسراء نغفون نصف

واسم حيص بيض سعيد بن محمد أبو الفوارس النهمي الشاعر المشهور
 ويعرف بابن الصفي ولقب بحيص بيض لانه رأى الناس يوبا
 في حركة مزججة وأمرشده فقال ما للناس في حيص بيض فبقى هذا
 اللقب عليه ومن محاسن شعره

يا طالب الرزق في الآفاق مجتهدا ❦ أقصر عنك فان الرزق مقسوم
 الرزق يأتي إلى من ليس يطلبه ❦ ويا طالب الرزق يسعي وهو محروم
 وله أيضا

يا طالب الطب من داء أصيب به ❦ ان الطبيب الذي أبلاك بالداء
 هو الطبيب الذي يرجى لعافية ❦ لامن يذيب لك الترياق في الماء

وله أيضا

اله عما استأثر الله به * أيها القلب ودع عنك الحرق
فقضاء الله ليس يدفعه * حول محتمل اذا الامر سبق

وله أيضا

أنفق ولا تخش اقلالا فقد قسمت * على العباد من الرحمن أرزاق
لا ينفع البخس — ل مع دنيا مولية * ولا يضر مع الاقبال انفاق
* (ومما جاء في الذكاء والفهم) * ما حكي عن المأمون انه غضب على
عبد الله بن طاهر وشاور أصحابه في الإيقاع به وكان قد حضر في ذلك
المجلس صديق له فكتب اليه كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم يا موسى
فلما فضله ووجد ذلك تعجب وجعل يطيل النظر اليه ولا يفهم معناه وكانت
له جارية واقفة على رأسه فقالت له يا سيدي اني أفهم معنى هذا فقال
وما هو قالت انه أراد قوله تعالى يا موسى ان الملا * يأترون بك ليقتلوك
وكان قد عزم على الحضور الى المأمون فثنى العزم عن ذلك واعتذر
للمأمون في عدم الحضور فكان سبب سلامته وأحسن من ذلك
ما ذكره ابن خلكان قال ان بعض الملوك غضب على بعض عماله فأمر
وزيره أن يكتب له كتابا يشغفه به وكان لا وزير بالعامل عنابة فكتب
اليه كتابا وكتب في آخره ان شاء الله تعالى وجعل في صدر النون
شدة فغضب العامل كيف وقعت هذه الحركة من الوزير اذ من عادة
الكتاب ان لا يشكوا كتبهم ففكر في ذلك فظهر له أنه أراد ان الملا *
يأترون بك ليقتلوك فكشط الشدة وجعل مكانها ألفا وختم الكتاب
وأعاده فلما وقف عليه الوزير سر بذلك وفهم انه أراد ان لا ندخلها أبدا
ماداموا فيها انتهى وفي تاريخ بغداد ووفيات الاعيان أن أبا حنيفة
رضي الله عنه كان له جار اسكا في يومئذ نهاره فاذا رجع الى منزله ليلا

تعشى ثم شرب واذا دب الشراب فيه غنى وقال

أضاعوني وأى فتى أضاعوا * ليوم كرهته وسداد ثغر

ولا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه السوم وأبو حنيفة يسمع صوت كل ليلة وكان أبو حنيفة يصل الليل كله ففقد أبو حنيفة صوته فسأل عنه فقبل أخذه العسس من ليال فصلى أبو حنيفة الفجر من غده ثم ركب بغلته وأتى إلى دار الأمير فاستأذن عليه فقال أذنوا له وأقبلوا به راكبا ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط ففعل به ذلك فوسع له الأمير من مجلسه وقال ما حاجتك قال أشفع في جاري فقال الأمير أطلقه وكن من أخذني تلك الليلة فحلوهم أيضا وذهبوا وركب أبو حنيفة بغلته وخرج إلى السكا في عشي وراه فقال له أبو حنيفة يا فتى هل أضعناك فقال بل حفظت ورعيت جزاك الله خيرا عن حرمة الجوار ثم تاب الرجل ولم يعد إلى ما كان يفعل وقال الشافعي قلت لما لك هل رأيت أبا حنيفة قال نعم رأيت رجلا لو كلمت في هذه السارية أن يجعلها ذهبًا لقام بحجته (فائدة) إذا عسر على المرأة ولادتها وليكتب لها بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون (فائدة أخرى للصداع) ذكر في حياة الحيوان أن مسلمة بن عبد الملك لما حاصر عورية حصل له صداع فلم يركب في الحرب فقال أهل عورية للمسلمين ما لا ميركم لا يركب فقالوا عرض له صداع فأخرجوا النار نسوا وقالوا ألبسوه له نزول عنه ما يجد قلبسه فشفى ففتشوا فيه فلم يجدوا فيه شيئا غير بطاقة مكتوب فيها هذه الآيات بسم الله الرحمن الرحيم ذلك تخفيف من ربكم ورجة بسم الله الرحمن الرحيم يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا بسم الله

الرحمن الرحيم الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا بسم الله
الرحمن الرحيم كهيص بسم الله الرحمن الرحيم جمعسق بسم الله
الرحمن الرحيم واداسألك عبادى عفى فاني قريب أجيب دعوة الداع
ادادعان بسم الله الرحمن الرحيم ألم ترالى ربك كيف مذل الظل ولو شاء
لجعلهم ساكنا بسم الله الرحمن الرحيم وله ما سكن في الليل والنهار وهو
السميع العليم فقال المسلمون من أين لكم هذا انما نزل على نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم قالوا وجدنا هذا محفوظا في حجر في كنيهتنا قبل أن
يبعث نبيكم بسبع مائة عام انتهى قال الحافظ ابن عساكر ويكتب
لله صداع أيضا بسم الله الرحمن الرحيم كهيص ذكركم ربك عبده
ذكر يا اذ نادى ربه نداء خفيا ألم ترالى ربك كيف مذل الظل ولو شاء
لجعلهم ساكنا كهيص جمعسق كم لله من نعمة على عبد شاكر
وغير شاكر وكم لله من نعمة في قلب خاشع وغير خاشع وكم لله من نعمة
في كل عرق ساكن وغير ساكن اذهب أيها الصداع بعز عز الله بنور
وجه الله وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم ولا حول
ولا قوة الا بالله العظيم صلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله
وصحبه أجمعين فانه نافع وعن أبي الدرداء قال صلى بنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فربنا كلب فمابلغت رجله يده حتى مات فلما فرغ
صلى الله عليه وسلم قال من الداعي على هذا الكلب آتقا فقال رجل
من القوم أنا يا رسول الله قال فما قلت قال قلت اللهم اني أسألك بأن لا
الجلد الا له الا آت الخنان المنان بديع السموات والارض ذو الجلال
والاكرام اكفنا هذا الكلب بما شئت فقال صلى الله عليه وسلم لقد
دعا الله بالاسم الاعظم الذي اداعى به أجاب واذا سئل به أعطى
وهذا الحديث في السنن الاربعة ومسنند أحمد وكتاب الحماكم وابس

حبان قيل وكانت صلاة العصري يوم الجمعة وإن الرجل الداعي سعد بن
 أبي وقاص انتهى من حياة الحيوان (فائدة منه أيضا) نكتب هؤلاء
 الكلمات وتجعل في أنبوبة وتدفن في الزرع والكرم فإنه لا يؤذيه الجراد
 بإذن الله تعالى وهي بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد
 وعلى آله وصحبه وسلم اللهم اهلك منارهم واقتل كبارهم وأفسد
 بيضهم وخذب بأفواههم عن معاشنا وارتزاقنا إنك سميع الدعاء اني
 توكلت على الله ربي وبربكم ما من دابة الا هو أخذ بناصيته ان ربي على
 صراط مستقيم اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
 واستجب مناي أرحم الراحمين وهو عجيب مجرب (فائدة) قال القرافي
 اتفق الناس على تكفير بليس بقضيته مع آدم عليه السلام وليس
 مدرك الكفر فيها الامتناع من السجود والالكان كل من أمر بالسجود
 وامتنع منه كان كافرا وليس كذلك ولا كان كفره بكونه حسد آدم عليه
 السلام على منزلته من الله تعالى والالكان كل حاسد كافرا ولا كان
 كفره بعصيانه وفسوقه والالكان كل عامس وفاسق كافرا وقد
 أشكل ذلك على جماعة من الفقهاء وينبغي أنه انما كفر بنسبة الحق
 جل جلاله الى الجور والتصرف الذي ليس بمرضى ويظهر ذلك من فحوى
 قوله تعالى أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ومراده أن
 الزام العظيم الجليل بالسجود للحقير من الجور والظلم وهذا وجه كفره
 لعنه الله تعالى وقد أجمع المسلمون على أن من نسب الله تعالى لذلك
 فهو كافر انتهى من حياة الحيوان ومنه قول الشاعر

خليلي ان قالت بينة ماله آتانا بلا وعد فقولا لها

سهى وهو مشغول لعظم الذي به

ومن بات طول الليل يرعى السها سهى

بنيسة تزرى بالغزالة في الضحى * اذا برزت لم يبق يومها بها
 لها مقلة كحلا وخذ مورد * كأن أباهما الغابي أو أمهاتها
 دعتي بود قاتل وهو متلني * وكم قتلت بالمرج من ودها دها
 هي من مزج الغف بنون وغين معجنتين مقتوحتين ثم فاء دود يكون
 في أنف الابل والغنم الواحدة تنفقه انتهى عن الاصمعي وقال أبو عبيدة
 هو الدود الأبيض يكون في النوى وما سوى ذلك الدود ليس بنغف
 وروى مسلم عن الثؤاس بن سمعان في حديثه الذي رواه في الدجال
 وبعث الله بأجوج ومأجوج فيرسل عليهم الغف في رهاهم فيصبحون
 فرسى كموت نفوس واحدة ومعنى قوله فرسى قتلى وقيل لأواحدة فريس
 من فرس الذئب الشاة واقتربها قول الهامة روى أبو نعيم في الحلية عن
 ابن مسعود قال كنت عند كعب الاحبار وهو عند عمر بن الخطاب
 فقال كعب الاحبار يا أمير المؤمنين ألا أخبرك بأغرب شيء قرأته
 في كتب الانبياء أن هامة جاءت الى سليمان بن داود وعليهما السلام
 فقالت السلام عليك يا نبي الله فقال وعليك السلام يا هامة أخبريني
 كيف لا تأكلين من الزرع قالت يا نبي الله ان آدم أخرج من الجنة
 بسببه قال فكيف لا تشربين الماء قالت لانه غرق فيه قوم نوح فمن
 أجل ذلك لا أشربه فقال لها كيف تركت العمران وسكنت الخراب
 قالت لان الخراب ميراث الله فأنا أسكن ميراث الله تعالى قال الله
 تعالى وكم أهلكتما من قرية بطرت معيشتها فقلت مساكنتهم لم تسكن
 من بعدهم الا قليلا وكما نحن الوارثين فالدنيا ميراث الله كلها قال سليمان
 فيما تقولين ادا جلست فوق خربة قالت أقول أين الذين كانوا يتنعمون
 فيها قال سليمان فاصيا حلك في الدور اذ امرت عليها قالت أقول
 ويل لبني آدم كيف ينامون وأمامهم الشدايد قال سليمان عليه السلام

فما بالك لا تخرجين بالنهار قالت من كثرة ظلمي بني آدم لانفسهم قال
 فأخبريني ما تقولين في صياحك قالت أقول تزودوا يا عافين وتهيئوا
 لسفركم سبحان خالق النور فقال سليمان ليس في الطيور طير أنصح
 لبني آدم ولا أشفق عليه من الهامة وما في قلوب الجهال أبغض منها
 والهامة بتخفيف الميم على المشهور طير الماء انتهى من حياة الحيوان
 (وفي كتاب فردوس الحكم) قال آية من كتاب الله تعالى من
 قرأها يأمن من الهوام اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة
 الا وآخذ نسابتها ان ربي على صراط مستقيم (قائدة) اليمور
 حمار الوحش وفي كتاب العرائس لابي الفرج بن الجوزي ان بعض
 طلبة العلم خرج من بلاده فرافقه شخص في الطريق فلما كانا قريبا من
 المدينة التي قصدوها قال له ذلك الشخص قد صار لي عليك حق وذمة
 وأنا رجل من الجبان ولي اليك حاجة قال وما هي قال اذا أتيت مكان
 كذا وكذا فانك تجد فيه دجاجة بينهن ديك أبيض فاسأل عن صاحبه
 واشتره منه واذبحه فهذه حاجتي اليك فقلت له يا أخي وأنا أيضا سألك
 حاجة قال وما هي قلت اذا كان للانسان مارد لا تعمل فيه العزائم
 وألح بالآدمي منا ما دأوه قال يؤخذ له وتر قدر شبر من جلد اليمور
 ويشد به اسهاما المصاب من يده شدا وثيقا ثم يؤخذ من دهن السداب
 البري ويقطر في أنفه الايمن أربعا وفي الايسر ثلاثا فان المارد به يموت
 ولا يعود الى أحد بعده قال فلما دخلت المدينة أتيت الى ذلك المسكان
 فوجدت الديك لعجوز فسألتها ببيعة فأبت فاشتريته منها بأضعاف
 ثمنه فلما اشتريته وملكته تمثل لي من بعيد وقال لي بالاشارة اذبحه فذبحته
 فخرج على عند ذلك رجال ونساء فجمعوا يضربونني ويقولون يا ساحر
 فقلت لست بساحر فقالوا انك منذ ذبحت الديك أصيبت شابة عندنا

بجنى وانه مذهب مسكهم لم يفارقها فطلبت منهم وتراقد رشب من جلد
 يحمور وشيأ من دهن السداب البرى فأتوا به ما فسدت ايهامى يدى
 الشابة شذا وثيقا فلما فعلت بها ذلك صاح وقال أنا علمت على نفسى ثم
 قطرت من الدهن فى أنفها الأيمن أربعاً وفى الأيسر ثلاثاً فخر من وقته
 ميتا وشفى الله تلك الشابة ولم يعاودها بعده شيطان (فائدة) دم
 الربوع يؤخذ ويطلق به الشعر الذى ينبت فى الجفن بعد أن يلتف
 يذهب باذن الله تعالى (فائدة) عين المهدد اذا علمت على صاحب
 النسيان ذكر مانسيه وريشه اذا جملة انسان وخاصم غلب على خصمه
 وقضيت حوائجه وظفر بما يريد ونحوه اذا كل مطبوخ انفع من القولنج
 ودمه اذا قطر فى البياض العارض فى العين أذهب به وان نجر بمنحه برج
 حمام لم يقربه شئ يؤذيه والله أعلم (وحكى القاضى شهاب الدين بن
 فضل الله) فى كتابه مسالك الانصار فى ممالك الامصار فى ترجمة
 الحاكيم بأمر الله أبى على منصور قال فبينما هو فى موكبته قبل بركة
 الحبش اذ مر برجل على بستان له وحوله عبيده فاستقاه ماء فسقاه ثم
 قال يا أمير المؤمنين قد أطمعتنى فى السؤال فان رأى أمير المؤمنين
 أن يكرمه بنزوله لا حظى بتمام السعد فأجاب له لذلك فنزل بجيشه فأخرج
 الرجل مائة بساط ومائة قطع ومائة وسادة ومائة طبق فاكته ومائة
 جام حلوى ومائة زبدية أشربة سكرية فبهت الحاكيم وقال أيها الرجل
 خبرك عجيب هل علمت بنا فأعدت هذا قال لا والله يا أمير المؤمنين
 وإنما أنا تاجر من رعيتك لى مائة محضية فلما أكرمتنى بالنزول عدت
 أخذت من كل واحدة شيئاً من فرشها وزائد أكلها وشربتها فان لكل
 واحدة فى كل يوم طبق طعام وطبق فاكته وجام حلوى وزبدية شراب
 فسجد أمير المؤمنين شكر الله تعالى وقال الحمد لله الذى جعل فى رعايانا

من يسع حاله هذا ثم أمر له بما في بيت المال من الدراهم المضروبة في تلك السنة فكانت ثلاثة آلاف ألف وسبع مائة ألف ولم يركب حتى أحضرها وأعطاهما للرجل وقال له استعن بهذا على حالك ومروءتك ثم ركب وانصرف * (وحكى اسحاق بن ابراهيم الموصلي) * قال دعاني يحيى بن خالد فدخلت عليه فوجدت الفضل وجعفر ولديه جالسين بين يديه فقال لي يا أبا اسحاق أصبحت اليوم مهموما فأردت الصبح لانتسلي فغنى صوتا على أرتاح له فغنىته

إذا زلوا بطمأنينة أشرفت * يحيى والفضل بن يحيى وجعفر
فما خلقت الأجود أكفهم * وما خلقوا إلا عواما — بر
فسر وارتاح وأمر لي بمائة ألف وأمر لي كل واحد من ولديه بمائة ألف
فحمل المال جميعه بين يدي فأخذه وانصرفت استهي * (وحكى عن
مخارق) قال أصبحت السماء مغمية وأصبح الرشيد مع حريمه فأمرنا
بالانصراف وأذن لنا أن نقيم في منازلنا ثلاثة أيام ففضى المجلس
أجمعون إلى منازلهم فقلت والله لا ذهاب إلى أستاذي ابراهيم الموصلي
فأعرف خبره ثم أعود وأمرت من عندي أن يهشوا لي مجلسا إلى وقت
رجوعي فبحثت إلى دار ابراهيم وقلت للبواب أخبر أستاذك فأخبره
فقال أدخل فدخلت فإذا هو جالس في رواق وبين يديه قدر
تفرغ وأباريق تزهروستارة منصوبة والجواري خلفها فقلت
ما بال الستارة لا أسمع من ورائها صوتا فقال أقعد ويحك اني
أصبت على ما ترى فأنا في خبر ضيعة بجواري وقد كنت طلبتها
زمانا وتمنيتها فلم أملكها وقد أهمل فيها إلا أن مائة ألف فقلت
وما يمنعك منها وقد أعطاك الله أضعاف هذا المال قال صدقت
ولكن نفسي غير طيبة بأخراج هذا المال وقال خذ هذا القضيبي

ونقر بقعيب في يده على المدورة وألقى عليه
 نام الخليون من وهم ومن سقم * وبت من كثرة الاخران لم أنم
 يا طالب الجود والمعروف مجتهدا * اعمد ليعي حليف الجود والكرم
 قال فأخذته وأحكته ثم قال امض الساعة الى باب الوزير يحيى بن خالد
 وادخل عليه وحدثه بما رأيت واذكر الضيعة وعرفه اني صنعت له
 هذا الصوت فأعجبني ولم أجدم يستفقه الا جاريته دنانير واتي ألفتيه
 عليك لتلقيه عليها وأنتى بما يكون من الخبر قال فجئت الى الباب
 واستأذنت وأعلمه فأمر بنصب الستارة وألقيت الصوت على الجارية
 مرار حتى أحكته فقال لي تقيم عندنا وتصرف قلت أنصرف أطال
 الله بقاء مولانا الوزير فقال يا غلام احمل معه عشرة آلاف واجعل الى
 ابراهيم مائة ألف فحملت مالى وأتيت الى منزلى فنزلت على من عندي
 من الجوارى دراهم من تلك البكرة وأكلت وشربت ببقية يومى ولما
 أصبحت قلت والله لا ذهبن الى أستاذى وأعرفن خبره فأتيت ودخلت
 فوجدته على مثل ما كان عليه بالامس فقلت له ما الخبر ألم يأكل المال
 قال ذم عيرانه لما دخل منزلى بخلت نفسى باخراجه وألقى على صوتا
 آخر أتيت به الفضل بن يحيى وحدثته بما كان من أبيه بالامس فأمر
 أن يحمل معى عشرون ألفا ولا ابراهيم مائة ألف وفعلت مثل ما فعلت
 بالامس وغدوت اليه لما أصبحت فوجدته على مثل حاله بمثل عذره
 وألقى على صوتا غيره أتيت به جعفر بن يحيى وأخبرته بما كان من أبيه
 وأخيه فأمر أن يحمل معى ثلاثون ألفا والى ابراهيم ثلاثمائة ألف
 فحملت معى اليه فبكى ابراهيم وقال وصلت الى ستمائة ألف وأنا جالس
 فى مجلسى لم أبرح منه فعلى مثل هؤلاء بكى فرحم الله أرواحهم
 أجمعين * (وقال اسحاق) * غدوت يوما وأنا منحصر من ملازمة

أمير المؤمنين فعرضت نفسي على أن أطوف في الصحراء والفرج وقلت
لعلني إذا جاء رسول الخليفة أو غيره فلا تعرفوه مكاني فذهبت وعدت
وقد حى النهار فوقفت في فناء أستريح فلم ألبث أن جاء خادم يقود حمارا
فأرسله وعليه جارية راكبة عليها فاخر الثياب ورأيت لها قواما حسنا
وظرفا فأنقا فحدثت نفسي أنها مغنية ثم دخلت الدار التي أنا واقف عليها
ثم لم ألبث أن جاء شابان جميلان واستأذنا فأذن لهما فدخلوا ودخلت
معهما فظننا أن صاحب الدار دعاني وظن صاحب البيت أنني معهما
وجلسنا فأتى بالطعام فأكلنا وبالشراب فوضع ودخلت الجارية
وفي يدها عود فغنت وشربنا فأسألهما صاحب المنزل عني فأخبراه أنهما
لا يعرفاني فقالوا هذا طفيلي لكنه ظريف فأجلا عشرين فشر بنا ودار
الكاس فغنت الجارية تقول

ذكرتك إذمرت بنا أم شاذن * امام المطايا وهي بالشرب تسمع
من المولعات الرمل قد أبدتغرها * شعاع الضحى من وجهها يتوضع
فأدته أداء حسنا ثم غنت أصواتا من القديم والحديث تقول
قل لمن صدعائبنا * ونأى عني جانبنا
قد بلغت الذي أرد * ت وإن كنت لا عبا

فاستعدته منها لاصححه عليها فأقبل على أحد الرجلين يعنفني ويقول
مارأنا طفيليا أصفق وجهك لم نرض بالتطفيل حتى اقترحت وهذا
غاية المثل طفيلي ويقترح فأطرق وجعل صاحبه يكفه وهو لا يلتفت
ثم قاموا إلى الصلاة وتأخرت بعدهم قليلا وأخذت عود الجارية
وشددت طبقة وأصلحته أصلا محكما وكما وعدت إلى موضعي وعادوا
وأخذ ذلك الرجل في عربته علي وأنا صامت وأخذت الجارية العود
وجسته فأبكرت حاله وقالت من جس عودي قالوا ما جس أحد

قالت بلى والله لقد حسه حاذق متقدم وشد طبعته وأصلحه إصلاح
 متمكن من الصناعة قلت لها أنا فقالت بالله خذ واضرب فأخذته
 وضربت ضرباً عجيباً فيه نقرات محرّكة فمات في منهم أحد الاوثب وجلس
 بين يدي وقال صاحب المجلس أقسم بالله ان لك في هذه الصناعة
 أصواتاً غريبة فبالله عليك الا عرفت نفسك فقلت أنا اسحاق الموصلي
 والله اني لانيه على الخليفة ادا طلبت وانتم ترون صاحبكم هذا يسمعي
 ما أكره لكوني تأدبت معكم وحللت عندكم والله لانا طقت بحرف
 ولا جلست حتى تخرجوا هذا المقوت فقال له صاحبه من مثل هذا
 خفت عليك وأخذوا بيده وسحبوه وأخرجوه وعادوا فبادرت وغنيت
 الاصوات التي غنيتها الجارية من صنعتي فقال له الرجل دل لك في خصلة
 قلت ما هي قال تقيم عندي أسبوعاً والمكافأة الجارية والجهاز لك قلت
 نعم أفعل وأقمت عنده أسبوعاً لا يعرف أحد أن أنا والمأمون يطالبن
 في كل حين وكل موضع ولم يقع أحد على خبري فلما انقضت الايام تسلمت
 الجارية والجهاز والخادم وجمعت بذلك الى منزلي وركبت من وقتي الى
 المأمون فلما راآني قال يا أباه اسحاق ويحك أين كنت فأخبرته الخبر فقال
 على بالرجل الساعة فدللتهم على موضعه فأحضروه وسأله المأمون
 فأخبره القصة فقال أنت ذومروة وسبيلك أن تعان عليها وأمره
 بمائة ألف وقال له لا تعاشر ذلك النذل المعريد انتهى ومن كلام
 الاحوص في حضرة يزيد غمته جارية بين يديه

اذا رمت عنها سلوة قال شافع * من الحسن ميعاد السلوة المقار
 نيبقي لها في مضمرة القاب والحشا * سريرة حب يوم تبلى السرافر
 فطرب يزيد وقال لمن الشعر قالت لا أدري قال ابعثوا الى الزهري وكان
 قد ذهب من الليل شطره فأقْبى به فلما صعد اليه قال لا بأس عليك لن

ندعوك الاخير فاجاس وسأله عن قاتل هذا الشعر فقال الاحوص قال
ما فعل به قال قد طال حبسه فأمر بتغذية سبيله وأن يدفع له أربعمائة دينار
ثم قدم عليه بعد ذلك فأجازه وأحسن اليه احسانا جزيلا وكانت المعية
جارية يزيد بن عبد الملك انتهى (وحكى مسرورا الخادم) أن الرشيد
قصده الركوب في غير وقت عادته فقلت له أين تريد يا امير المؤمنين
في هذا الوقت قال الى منزل ابراهيم الموصلى قال فضى حتى انتهى الى
منزل ابراهيم الموصلى فخرج وتلقاه وقبل حماره وقال يا امير
المؤمنين في مثل هذه الساعة تظهر قال نعم شوق طرق بي اليك ثم نزل
وجلس في طرف الايوان وأجلس ابراهيم فقال له ابراهيم ياسيدي
استببط شيئا تأكله قبل اشرب قال نعم فجاء بمطعمهم كأنما كان
معدا له فأصاب منه يسيرا ثم عاد بشراب حمل معه فقال له الموصلى
ياسيدي أغنيك أم تغنيك اماؤك قال بل الجوارى فخرجن جوارى
ابراهيم فأخذن صدر الايوان وجانيبه فقال ابراهيم أين ضربن كلهن
أم واحدة واحدة فقال بل يضربن اثنتان اثنتان وواحدة واحدة تغني
قال فضربت اثنتان وغنت واحدة منهن فقالت

ادادع باسمها داع يحذثنى * كادت لها مهجتي من حرها تقع
لو أن لي صبرها أرعدت هاجرعى * لكنت أعقل ما آتى وما أدع
لأجل اللوم ميار الغرام بها * ما كابر الله نفعا غير ما تسع
ثم غنت أخرى فقالت

طارقتك زائرة فحي خيالها * بيضاء تخاطب بالجمال دلالها
هل يطمسون من السماء نجومها * بأكفهم أويطمسون هلالها
شهدت من الانفال آخر آية * فأردتمو بمحالكهم ابطالها
ثم غنت أخرى فقالت

شطت سعاد وأضحى البين قد أبدى * وأورثك سقاما تصدع السكبا
فما احتيا لك اذ جد الرحيل بهم * وخلفوك غداة الب — بن منفردا
لا أستطيع لهم مبرا ولا جلدا * ولا تنزل أحاديثي بهم — م جددا
قال فقام حتى وصل صدر الايوان وأخذ بجانيبه والرشيديسمع ولا نصت
لشي من غنائهن الى أن غنته صبية من صدر الايوان من حاشية الصفة
هذين البيتين لابي نواس

يامورى الزند قد أعيت قوادحه * أقبس بما شئت من قلبي بمقباس
ما أئج الناس في عيني وأسمجهم * اذ انظرت فلم أنظرك في الناس
فطرب الرشيد لغنائها واستعاد الصوت مرارا وشرب ارطالا وسأل
الجارية عن صانعه فأمسكت فاستدناها فتناعست فأمر بها
فأقبلت بين يديه فأخبرته بشئ أسرته اليه فدعا بجهاره فركبه
ثم التفت الى إبراهيم الموصلي فقال له ما ضرك أن تكون خليفة فكادت
روحه تخرج حتى دعاه بعد ذلك وأدناه قال وكان الذي أخبرته به سرا
أن الصنعة في الصوت لاخته عليها بنت المهدي وكانت الجارية لها
فوجهتها الى ابراهيم الموصلي بطارحها ومن قول أبي نواس

دع عنك لومي فان اللوم أغراء * وداوني بالتي كانت هي الداء
صفراء لا تنزل الا حزان ساحتها * لومسها حجر مسته سراء
من كف ذات حرفي زى ذى ذكر * لها محبان لواط وزناء
قامت بإيريقها والليل معتكر * فلاح من وجهها في البيت لا لاء
فأرسات من قم الابريق صافية * كأنما أخذها للعقل اخفاء
رقت على الماء حتى لا يلائمها * لطافة وخفي من شكها الماء
فلو مزجت بها نورا لما زجها * حتى تولد أنوار وأضواء
دارت على فتية ذل الزمان لهم * فما يصيبهم موالا بما شاؤا

فقل لمن يدعي في العلم توسمة * حفظت شيئا وغابت عنك أشياء
وقال الشاعر

كعصفورة في كف طفل يمينها * تذوق طعم الموت والطفل يلعب
فلا الطفل ذوعقل يرف لحالها * ولا الطير مطوق الجاحين يهرب
وروى البيهقي في الشعب عن مالك بن دينار قال مثل فراء هذا الزمان
مثل رجل نصب فخا فجاء عصفور فوقع في فخه فقال مالك متغيبا
في التراب فقال للتواضع قال فهم حنيت قال من طول العبادة قال فما
هذه الحبة التي في فيك قال أعددتها للصائمين فلما أمسى تناول الفخ
في عنقه فقال العصفوران كان العبادة يخنقون خنقتك فلا خير في هذه
العبادة اليوم انتهى قال الشافعي رضي الله عنه أربعة أشياء تزيد
في الجماع أكل العصافير وأكل الاطريقل الكبير وأكل الفستق
وأكل الجرجير (وأربعة أشياء تزيد في العقل) ترك الفضول
من الكلام والسواك ومجالسة الصالحين والعمل بالعلم (وأربعة
توهي البدن) أكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع
ولبس الكتان (وأربعة توهي البدن) كثرة الجماع وكثرة الهنم وكثرة
شرب الماء على الريق وكثرة أكل الحموضة انتهى من حرف العين
ودخل ابن الخياط المسكي على المهدي ومدحه فأمر له بخمسين ألف
درهم فسأله أن يأذن له في تقبيل يده فأذن له فقبلها وخرج فما انتهى
إلى الباب حتى فرقه جميعا فعوتب في ذلك فأنشده يقول

لمست بكفي كفه أبنتي الغنا * ولم أدر أن الجود من كفه يعدى
فلا أنا منه ما أفاد ذوى الغنا * أدت وأعداني فألتفت ما عندى
ذغني بهما المهدي فأمر له بخمسين ألف دينار انتهى ولبعضهم تغزل
في ملج

أقول لمقلتيه حين نامت * وسهر النوم في الاجفان ساري
تبارك من توفاكم بليل * ويعلم ما جرحتم بالنهار
* (الامام أحمد بن حنبل ومناقبه رضي الله عنه) *

مات سنة مائتين واحدي وأربعين وحرر من حضر في جنازته
فكانوا ثمان مائة ألف ومن النساء ستين ألفا وأسلم يوم موته رضي الله
عنه عشرون ألفا من اليهود والنصارى والمجوس انتهى وقال الامام
النووي في تهذيب الاسماء واللغات ان المتوكل أمر أن يقاس الموضع
الذي وقف الناس فيه للصلاة على الامام أحمد فبلغ مقام ألفي ألف
وخمسائة ألف وقد خزن عليه رضي الله تعالى عنه المسلمون واليهود
والنصارى والمجوس وقال محمد بن خزيمة لما بلغني موت الامام أحمد
ابن حنبل رضي الله عنه اغتممت غما شديدا فرأيت في المنام وهو
يتبخر في مشيته فقلت يا أبا عبد الله ما هذه المشية فقال مشية الخدام
في دار السلام فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي وتوجني وألبسني ثيابا
من ذهب وقال يا أحمد ذاب قولك القرآن كلامي غير مخلوق ثم قال الله
تبارك وتعالى يا أحمد ادعني بتلك الدعوات التي بلغتك عن سفيان
التي كنت تدعوهم في دار الدنيا فقلت يا رب أسألك بقدرتك
على كل شيء أن لا تسألني عن شيء واغفر لي كل شيء فقال جل وعلا
يا أحمد هذه الجنة فادخل فيها وأنشد بعضهم في تاريخ موت الأئمة
الأربعة ومولدهم الامام أبي حنيفة والامام مالك والامام الشافعي
والامام أحمد بن حنبل رضي الله عنهم أجمعين

تاريخ نعمان يكن سيف سطا * ومالك في قطع جوف ضبطا
والشافعي ص — بين يري ند * وأحمد بسبق أمر جعد
فخذ على ترتيب نظام الشعر * ميلاده — م فوهم فالعمر

وكذا في تاريخ الأئمة الخمسة المحذنين الامام الترمذى وأبو
داود والامام مسلم والنفساء والامام البخارى وقد جمع ذلك بعضهم
في بيت واحد فقال

اذا رمت الحديث فلذب نجس * تكن مثل المشافه في الحياة
تعطرد عسه مارص فسمج * نور للحمى حدث للوفاة
بيان ذلك التاء اشارة الترمذى واندال اشارة لابي داود والميم
اشارة للامام مسلم واليون للنفساء والباء للبخارى والله أعلم
ويحكى انه أتى برجل مدنى سكران الى بعض الولاة فأمر بإقامة الحد
عليه وكان الرجل طويلا والجلاد قصيرا فلم يتمكن من ضربه فقال
الجلاد للمدنى تقاصر لينالك الضرب فقال ويحك الى أكل الفالودج
تدعوني والله لوددت ان أكون أطول من عوج بن عنق وأنت أقصر
من يأجوج ومأجوج فاستظرفه الامير وخلي سبيله انتهى من حادثة
الذكيت ومن قول ابن المعتزل

وجاءني في قبض الليل مستترا * يستعمل الخيل من خوف ومن حذر
ولاح ضوء صباح كاد يفضنا * مثل القلامة قد قدت من الظفر
وكان ما كان مما استأذكره * فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

ولبعضهم عفا الله عنه

جرى دمعي من الحال الذي بي * كجرى الماء في أول أيب
ومع هذا فلا أقطع رجائي * لان الله ألطف من أبي بي
ومن كلام الشافعي رضي الله عنه

لم يدر الفقير من هو في غنى * ومصص الأعضاء ليس كبتي
كم فاقة مستورة بمرءة * وضرورة قد غطيت بجهل
وتباسم من تحته قلب شجي * قد صادفته غمة لا تنجلي

والناس جمعاً عند كل كفؤه * وألهم مفترق وما أحد خلى
 لو سؤد ألهم الملابس لم تجدد * بيض الثياب على امرء في محفل
 وإذا أراد المرء يجلو همه * عن نفسه من نفسه لا ينجلي
 ومن كلام الماروف بالله تعالى الشيخ عبد الرحيم البرعي رحمه الله فارضى
 اليمين

رياض نجد بكم جنان * فضية نورها احسان
 وترب واديكو فنجدد * مسك وحسباؤها جان
 والروض من شعبكم عبير * والزهر ورد وزعفران
 والجار في ربكم عزيز * والحر في أرضكم يسان
 فكم سقتم دمي ودمعي * أما على القاتل الضمان
 ورمت أخفى الهوى ودمعي * من شدة الوجد ترجان
 بالاثم أن أقصر وأملأ * رفقا بمن قلبه ملآن
 لا تذكروا الظاعنين عندي * فلي ولا ظاعنين شان
 قالوا هو اهم عليك حتم * قلت عهد الهوى يسان
 قالوا فكم تكتم التصابي * قلت المعنى بهم معان
 قالوا فقد فارقوك ربعا * قلت هم الناس حيث كانوا
 قالوا فدعهم فقلت كلا * لعل دهر اقسى فلانوا
 ليت الصبا الحاجر يني * عن جيرة البان يوم بانوا
 هل عهدهم عهدهم نجد * باق أم استؤمنوا فخانوا
 يا محسنا يا زمان ظنا * هل تدري ما يفعل الزمان
 لا تتبع النفس في هواها * ان اتبع الهوى هو ان
 وانجلتني من عتاب ربي * ان قيل أسرفت يا فلان
 الى متى أنت في الملاهي * تصير مرخي لك العنان

لو خوفك الجحيم بطاشي * وشوقت قلبك الجنان
 عندى لك الصفع وهو برى * وعندك السيف والسنان
 ما تستحي كاتبا كريما * يحصى به الفعل واللسان
 واستحي شية تراها * في البار مسهوبة تهان
 أنت شهاع على المعاصي * وأنت عن طاعنى جبان
 لم ينهك الشيب عن حدودى * ولا رسولى ولا الفران
 ترضى بأن تنقض الأيالى * ما تنقض حربك العوان
 أى أو ان تتوب فيه * هل بعد قطع الرجا أمان
 آثرت غيرى على اسكن * — ما يدس الفتى يدان
 ياسيدى هذه عيوبى * وأنت فى الخطب مستعان
 يامن له فى العصاة شان * البر والعطف والحنان
 يامن ملا بره السواحى * لم يخل من بره مكان
 عفا فانى رهين ذنب * حاشاك أن تغلق الرهان
 فاغفر لعبد الرحيم والطف * بخائف ماله أمان
 وسامح الكل من ذنوب * غدا بها يشهد البنان
 وصل يا ذا العلا وسلم * على من أخلاقه حسان

وهذه قصيدة الامام الولي العارف بالله تعالى أبي محمد بن أبي عمران
 المشكوري نفعنا الله به قال العلامة بدر الدين بن فرحون أحد أصحاب
 ناطقه ان بعض الصالحين رأى النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام قال
 البدر واشك هل كان هو الشيخ أو غيره وأنشد هذه القصيدة فلما بلغ
 آخرها قال النبي صلى الله عليه وسلم رضيناها ارضيناها وهى هذه
 دار الحبيب أحق أن تهواها * ونحن من طرب الى ذكرها
 وعلى الجفون اذا هممت بزورة * يا ابن الكرام عليك أن تغشاها

فلا فت أنت اذا حلت بطيبة * وظالت تردع في ظلال رباها
 معنى الجمال من الخواطر والتي * سلبت عقول العاشقين حلاها
 لا تحسب المسك الزكي كثيها * هيهات أن المسك من رباها
 طابت فان تبغى لطيب يادتي * فأدم على الساعات لثم تراها
 وابشر في الخبر الصحيح تقررا * ان الاله بطيبة سماها
 واختصها بالطيبين اطيبها * واخارها ودعا الى سكنها
 لا كالمدينة منزل وكفى بها * شرفا حلول محمد بقناها
 خصت بهجرة خير من وطى الثرى * وأجلهم قدرا وأعظم جاها
 كل البلاد اذا ذكرن كأحرف * في اسم المدينة لاخلامعناها
 حاشا مسمى القدس فهي قريبة * منها ومكة انها اياها
 لا فسرق الا أن ثم لطيفة * منها بدت يحلو الظلام سنأها
 جزم الجميع بأن خير الارض ما * قد حاز ذات المصطفى وحوها
 ونعم لقد صدقوا بساكنها علمت * كالنفس حين زكت زكاما وها
 وبهذه ظهرت مزية طيبة * فغدت وكل الفضل في معناها
 حتى لقد خصت بهجرة حبه * الله شرفها به وحبها
 ما بين قبر للنبي ومنبر * حيا الاله رسوله وسقاها
 هذى محاسنها فيل من عاشق * كلف شهي نازل بنواها
 اني لارهب من توقع بنها * فيظل قلبي موجعا أوها
 ولقما أبصرت حال مودع * الا رثت نفسي له وشجها
 فلكم أراكم فافلين جماعة * في اثر أخرى طالبين سواها
 قسما القديس فيؤاذي بينكم * جزعا وفجرت مقلتي مياها
 ان كان نزعكم طلاب فضيلة * فالخير أجمعه لدى مثواها
 أو خفتم ضرابها فتأملوا * بركات بلغتها فما أرضكاها

أف لمن يبغي الكثير لشهوة * ورفاهة لم يدر ما عقباها
 فالعيش ما يكتفى وليس هو الذي * يطغى النفوس الى خسيس منهاها
 يارب أسأل منك فضل قناعة * ييسرها وتحصنا بحماها
 ورضاك عني دائما ولزومها * حتى توافي مهجتي أخرها
 فأنا الذي أعطيت نفسي سؤلها * فقبلت دعواها فيا بشرها
 يحوار أوفى العالمين بذمة * وأعز من بالقرب منه بياها
 من جاء بالآيات والنور الذي * داوى القلوب من العمى فشاها
 أولى الأنام بخطة الشرف التي * تدعى الوسيلة خير من يعطاها
 اسان عين الكون شرف جوده * يس اكسير المحامد طاها
 حسبي فليست أفى ببعض صفاته * لو أن لي عدد الورى أفواها
 كثرت محاسنه فأعجز حصرها * فعدت وما تلي لها أشباها
 انى اهتديت من الكتاب بآية * فعلت أن علاه ليس بضاهها
 ورأيت فضل العالمين محمدا * وفضائل المختار لا تنهاها
 كيف السبيل الى تقصى مدح من * قال الاله له وحسبك جاها
 ان الذين يبايعونك انما * يقال انما يبايعون الله
 هذا الفخار فهل سمت بمثله * واهل انشائه الكريمة واهها
 صلوا عليه وسلوا فبذلكم * تهدي النفوس لرشدها وغناها
 صلى عليه الله غير مقيد * وعليه من بركاته أنماها
 وعلى الأكابر آله سرج الهدى * أكرم بعترته ومن والاها
 وكذا السلام عليه ثم عليهم * وعلى صحابته التي زكاها
 أعني الكرام أولى النهى أصحابه * فمة التقي ومن اهتدى بهداها
 والحمد لله الكريم وهذه * نجزت وظني أنه يرضاها
 وهذه آخرها والحمد لله وحده وابعضهم شعر

لله في ملكه خاتم * تجرى القادير على نقشه
 لا تبش الشر تبش لي به * واحذر على نفسك من نبشه
 مصارع الدهر لها سطوة * تنزل السلطان عن عرشه
 ادا طغى الكبرش يلهم الكلا * أدرج رأس الكبرش في كرشه
 اذ ابغى المرء على جنسه * لا بد أن ينكب في فرشه
 قوله صلى الله عليه وسلم أنت ومالك لابیك دكر العلامة الشمن
 العلفى في حاشيته على اجماع الصعير عن جابر قال جاء رجل الى النبي
 صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان أی أخذما لی فقال النبي
 صلى الله عليه وسلم للرجل اذهب فأتني بأیك فنزل جبریل على النبي
 صلى الله عليه وسلم فقال ان الله عز وجل یقرئك السلام ویقول لك
 اذا جاء الشیخ فاسأله عن شی قاله فی نفسه ما سمعته أذناه فلما جاء الشیخ
 قال له ایی صلى الله عليه وسلم ما بال ابك يشكوك أترید أن تأخذما له
 فقال يا رسول الله هل أمقة الاعلى احدى عمااته أو خالاته أو على نفسی
 فقال له علیه الصلاة والسلام ای الشیخ دعنا من هذا أخبرنی عن شی
 قلته فی نفسك ما سمعته أذناك فقال الشیخ والله یا رسول الله ما نزل
 الله عز وجل بزیدنا بك یقینا لقد قلت فی نفسی شیاً ما سمعته أذناى
 فقال له قل فأنا أسمع فقال

غدتك مولودا وعلتک یا فعا * أعل بما یحبنى عليك وینهل
 اذ الیلة ضافلك بالسقم لم أبت * لسقمك الاساهرا أتمل
 کانی أنا المعروق دونك بالذی * طرقت به دونی وعینای تمهل
 تخاف الزانفسی عليك وانها * لتعلم أن الموت شی مسهل
 فلما بلغت السن والغاية التي * لها مدة قد كتفیک أو مل
 جعلت جرای غلظة وقضاظة * کأنک أنت المنعم المتفضل

فليتك اذ لم ترع حق أبوقى * جعلتك كالجار المجاور يفعل
قال فحينئذ أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاب ابنه وقال له
أنت ومالك لا يليك انتهى وحكى الأصمعي قال خرجت في طلب
الاعاجيب من الأحاديث فلاحته لي بلد بيضاء كأنها الخماسة قد خلتهما
فأداهي خراب وليس بهاديار ولا أنيس فينا أنا وأور في نواحيها
إذ سمعت كلاماً فطار قلبي فأنصت فإذا به كلام موحش فسالت سفي
ودخلت ذلك المكان فإذا أنا رجل جالس وبين يديه صنم وفي يده
قضيب وهو يبكي وينكت به الأرض ويقول

أما ومسيح الله لو كنت عاشقاً * لمت كما مات وما ضمني لحدى
وكم أتسلى بالحديث وبالمنى * وبالعبرات السائلات على خدى
وانى وان لم يأتني الموت سرعة * لأمسى على جهد وأضحى على جهد
قال فلما سمعت ذلك منه هجم عليه فلم يشعر بي إلا أن قلت له السلام
عليك فرفع رأسه وقال وعليك السلام من أين أنت ومن جاء بك إلى
هذا المكان فقلت الله جاءني قال صدقت وهو الذى أفردني في هذا
المكان فقلت له ما بالك تشير إلى هذا الصنم الذى بين يديك فقال لي
إن حديثي عجيب وأمرى غريب فقلت له حدثني به ولا تخفى منه شيئاً
فقال لي أعلم أننا كنا قوم من بني تميم وكنا على دين المسيح وكان دعاؤنا
مستجاباً وكانت هذه الصنمة ابنه عى وكنت أنا وأياها فلما كبرت حجها
عى عني فكنت أحبها سرافينما أنا ذات ليلة وأنا عندها إذ سمعت عى
يدق الباب فأدخلتني سرداباً وقامت هي فتفتت الباب ودخل عى
فقال لها ابن عبد المسيح فقالت اني لم أراه فقال لها اني سمعت كلامه
عندك فقالت لم تسمع شيئاً وإنما خيل لك فقال لها والله ان لم تصدقيني
والادعوت عليك ان كنت كاذبة فيمسح الله حجراً فقال له اذا

كنت كاذبة فرفع طرفه الى السماء وقال اللهم يارب الاولين والاخرين
ان كنت تعلم ان انتى هذه كاذبة في قولها فامسحها حجرا فمسحها الله حجرا
ولى اربعون سنة في هذا المكان وأنا اناة تقوت من نبات الارض وأشرب
من هذه الانهار واتسلى بالنظر الى هذه الصنمة الى أن يحكم الله بالموت
ثم بكى وأنشد يقول

وحق الذى أبكى وأضحك والذى * أمات وأحيى والذى خاق الخلقا
لئن قات ان الحب يقتل الفتى * وان الفتى بعد التفريق لا يبقى
لقد قلت حقا وأسأل العبرة التى * تسيل وسيل الدمع لا يرقى
قال الاصمعي ثم قام ذلك الشاب وتوارى عني بجدار من تلك الجدران ونزع
المسح الذى كان عليه ولم يبق عليه الا ما يوارى سوءته فتأملته فاذا عيناه
تدورنى أم رأسه فقلت فى نفسى هذا أراد أن يطلعنى على نحول جسده
ثم أقبل على وهو عريان وقال لى يا فتى اننى قاتل ثلاث آيات وكان منى
ما كان فاذا أنا مت فكفنى أنا واياها فى هذه الجبة وادفنا فى هذا
الجون وضمننا بالتراب واكتب على قبرنا هذه الآيات وأنشد يقول
من لم يكن يحسب ان الهوى * قاتل فلينظرن الى مخمعي
لم يبق لى حيل ولا قوة * الا خيال الشمس فى موضعى
أشكو الى الرحمن جهد البلا * اشارة بالطرف والاصبع
قال الاصمعي هذا وأنا أنظر اليه واسمع شعره وأعجب منه ومن أمر الصنمة
واذا به وقع على الارض مستلقيا على قفاه وشهق شهقة فارقت روحه
جسده قال الاصمعي فكفنتهما ودفنتهما فى ذلك الجون وكتبت على
قبرهما تلك الآيات وتوكلت عليهما وانصرفت وأنا متعجب غاية العجب
انتهى ولما عزم احد بن طيلون على بناء الجامع المعروف به فى مصر
ابقاهة أنفق عليه مائة الف دينار ورتب فيه للعلماء والقراء وأرباب

الشعائر والبيوت في كل شهر عشرة آلاف دينار والصدقة في كل
 يوم مائة دينار وكان مشتملا على خصال حميدة منها ان فقيرا كان
 بحواره وله امرأة وبنت وكانا يغزلان الصوف للسوق لتجهيز البنت وان
 البنت لم تفارق البيت وما نظرت الى السوق قط ولا خرجت فسألت
 أمها وأباها أن تخرج معهما الى السوق فواعداها بذلك فلما قصدا بيع
 الغزل خرجت معهما الى السوق فمروا بباب الأمير المسمى بالفيصل
 وتمادى الأب والأم وتركاهما ولم يشعرا بوقوفها فبقيت البنت حائرة
 لا تدري أين تذهب وكانت ذات جمال عظيم فخرج الأمير المسمى بالفيصل
 فلما رآها افتتن بهما فسكها ودخل بهاتم أمر الجوارى أن يغسلوها
 وينظفوها ويلبسوها أحسن الملبوس ويطيبوها بأنواع الطيب
 ويجلوها له ففعلن ذلك فدخل عليهما وأزال بكارتهما هذا وبواها قد خرنا
 عليهما ولم يزا الا يطوفان عليهما جميع الاماكن فلم يقعا لها على خبر فلم يزا
 ريكنا عليهما فلما جئ الليل واذا بشخص يطرق الباب فخرج أبوها وفتح
 الباب فتمال الرجل لايهها ان الأمير المسمى بالفيصل أخذ ابنتك وأزال
 بكارتهما فلما سمع ذلك كاد يجن وكان لا يجد بن طيلون مؤذن وكان قد
 عاهد على انه اذا حدثت فاحشة من الفواحش يؤذن في غير الوقت
 ليحضره ويستغفم منه الواقعة وكان المؤذن بينه وبين أبي البنت صداقة
 فجاء اليه وأخبره بخبره فصعد وأذن فسمعها أحمد بن طيلون فأرسل
 خلفه فأخبره بالقضية فاستدعى بأبوي البنت وخباهما في خزانة وكان
 وقت مجيء الفيصل للخدمة فلما دخل على عاتقه قال له هنشك بالعروس
 الجديدة فقال ومن أين لي عروس جديدة قال أتذكرني وهذا
 أموات تجارية وأمهات وأخرجهما اليه فلما رآهما نكس رأسه خجلا من الامراء
 الحاضرين فقال له أحمد بن طيلون ارفع رأسك ثم قال لا يهاتزوج

ابنتك مملوكي هذا على صدق قدره ألف دينار مقدمة وخمسة دينار
موجلة فقال نعم فأمر باحضار الشهود وعقد العقد بينهما ووضعوا
خطوطهم ثم بعد انصراف الشهود أمر اسحاق بضرب عنق الفيل
فرماه بين يديه وقطع رأسه وقال أحمد بن طيلون لابي الجارية ابنتك
ورثت زوجه وقدم كسنتها مما بقي من تركته فامضوا مع السلامة
فانصرفوا شاكرين لانعامه داعين له على أفعاله فانظر الى هذا العدل
العظيم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ومما نقل عن بعضهم
توق ربك الله تسعاً من البشر * فحجبتم نفسي الى البؤس والضرر
وهم أحول مع أعرج ثم أحذب * كذا وسج تلون شاطم الكدر
واياك والانف الطويل وأصفر * فانه مايت الحيانة والخطر
كذائرا الصدغين خارج جبهة * كذا أزرع العينين فاحذرا الحذر
توقاهم وتحي سليمان من الردا * وباعدهم وماذا القراصة والنظر

قد تم طبع هذا الكتاب المستطاب بمطبعة ملتزمه الواقع بربه المعين *
الشيخ محمد شاهين * بمجروسة مصر * وقاها الله كل خير وشكر *
ما بمعرفة الفقير الى ربه الدائم * المدعو بالسيد أحمد قاسم *

وذلك في أوائل شهر ربيع الآخر سنة ١٢٧٩

تسع وسبعين ومائتين بعد الالف * من

هجرة من له غاية العز والشرف * وصلى

الله على سيدنا محمد وعلى آله

وصحبه وسلم

عليه رئيس تشغياله الواقع بربه المعين * مصطفى شاهين

